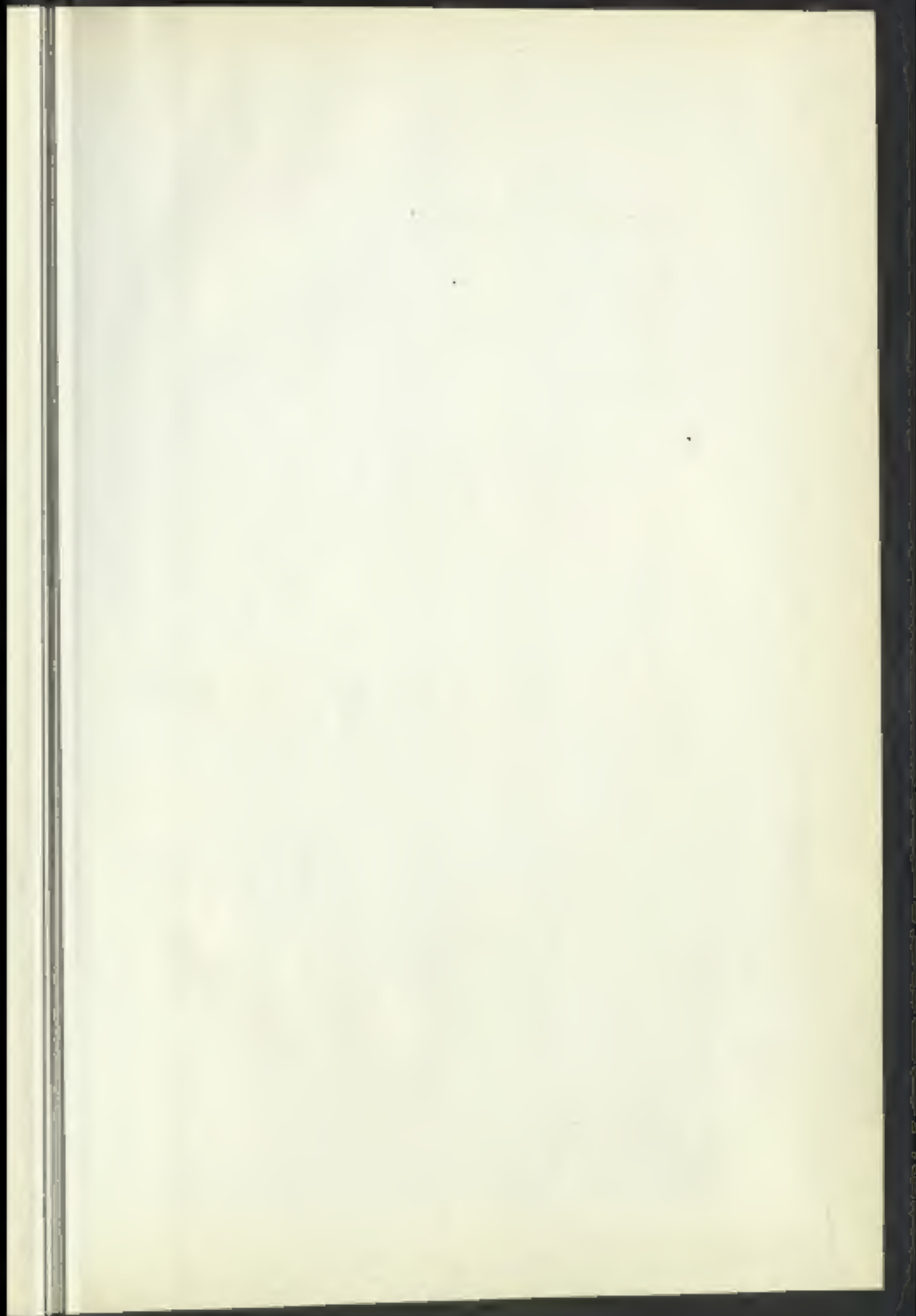
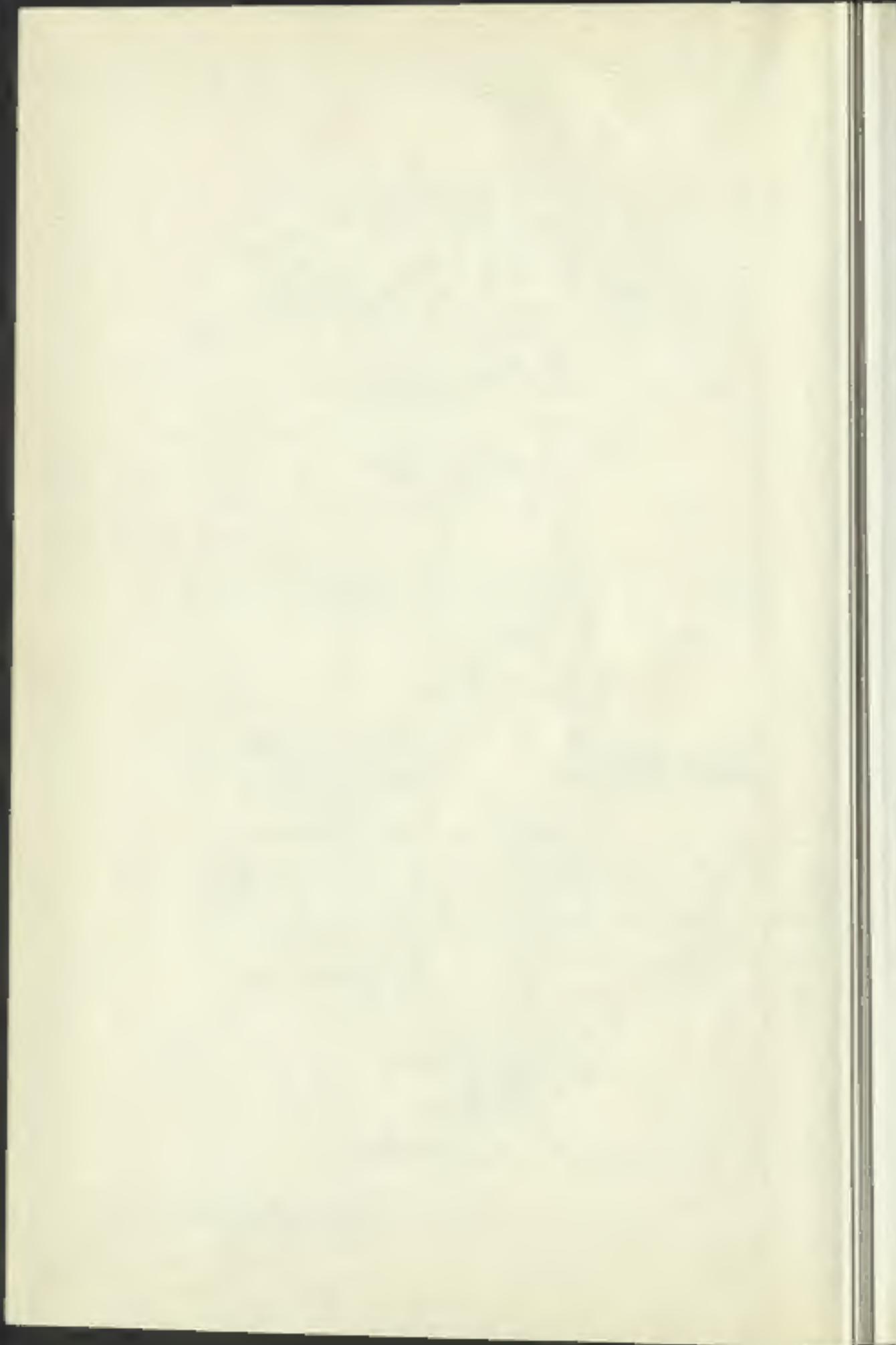




A.U.B. LIBRARY

1871





Published by Carl Vogel 1913

السِّيَادَةُ الْعَرَبِيَّةُ

وَالشَّيْخَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ

فِي عَهْدِ بَنِي أُمَيَّة

(تأليف فان فلوتن)

La Domination Arabe, le Chritisme et les Croyances Messianiques sous le Khalifat des Omayyades. Par G. Van Vloten.

ترجمه عن الفرنسية وتقدمه وعلق عليه

محمد زكي إبراهيم

الدكتور إبراهيم حسن

الحائز لشهادة العالمية ،
وأجازة التاريخ والأخلاق من
كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية
والمترجم بمصلحة المساحة .

دكتور في الفلسفة (Ph.D.) ،
ودكتور في الآداب (D.Lit.) في التاريخ
الإسلامي من جامعة لندن ، وعضو الجمعية
الاسيوية الملكية بالانجلترا (M.R.A.S)
والاستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية

الطبعة الاولى سنة ١٩٣٤

58674

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمترجمين ﴾

بمطبعة النفاذ بكوبري محافضة مصر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

ظالما كان يشير الأستاذ المرحوم السيرونماس أرتولد في محاضراته بجامعة لندن إلى كتاب « فان فلوتن » حين كنت طالبا بقسم التاريخ الاسلامي بهذه الجامعة . ولما انصرفت للبحث وإعداد رسالتي لامتحان الدكتوراه ، كان هذا الكتاب من أهم المصادر التي اعتمدت عليها ولاسيما فيما كتبتة عن الشيعة . ولما ذهبت إلى مدينة ليدن بهولندا للبحث والاطلاع على بعض المخطوطات أردت اقتناء نسخة من هذا الكتاب لنفسى . فلم أستطع تحقيق هذه الأمنية ، على حين أنه لم يعش على طبعه إلا ثلاث وثلاثون سنة . ولم أجده منه سوى نسخة واحدة بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن . فلما أتممت دراستى وعدت إلى مصر في أوائل سنة ١٩٢٨ نذيت لتدريس التاريخ الاسلامي بقسم التخصص بالجامعة الأزهرية حيث يفرض على طلبة السنة النهائية تقديم بحث في الموضوع الذى يشخصون فيه . وقد اختار شريكى الشيخ محمد زكى ابراهيم « الدولة الأموية بين عوامل الانحلال والقضاء » موضوعا لرسالته ، فأشرت عليه بالرجوع إلى كتاب « فان فلوتن » والاعتماد عليه في بحثه . وهكذا استفاد كل من الأستاذ والتلميذ من هذا

(ب)

الكتاب في رسالته . لذلك اتفقت رغبتنا على نقله إلى اللغة العربية ليستفيد منه الناطقون بالضاد .



وقد عالج المؤلف في كتابه ناحية من نواحي التاريخ الاسلامي فلما سبقه اليها أحد من المستشرقين . ولاغرو فقد أمدنا بطائفة فيحة من المواضيع الجديرة بالبحث في تاريخ الدولة الأموية ؛ من ذلك ما كتبه عن الخوارج ، وحالة الموالي السياسية والاجتماعية ، وسياسة عمر بن عبد العزيز نحوهم وأثرها ، ثم عن الثورات التي أذكى نارها الخوارج . كما أفرد باباً مطولاً عن الشيعة ، وعقائدها ، وطوائفها المختلفة ، وعن غيرها من الفرق الدينية كالخرمبة والراوندية ، وبين إلى أي حد استفاد العباسيون من قيام هذه الطوائف المختلفة في نشر دعوتهم في العراق ثم في خراسان . وقد فطن المؤلف إلى ما لم يفتن اليه غيره من المؤرخين من أسباب سقوط الأمويين ، فأفرد باباً طويلاً نكلم فيه عن العقائد غير الاسلامية التي أخذها المسلمون عن المسيحية واليهودية وغيرها من العقائد الفارسية القديمة - وهو ما يسميه علماء المسلمين « الاسرائيليات » - ولا سيما ما يتعلق منها بالنبيؤ بمصير العالم ، ورجعة عيسى بن مريم وظهور الدجال . كذلك ناقض الكلام عن عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الاموية . وبالاختصار فقد أرجع « فان فلوتن » سر انتصار العباسيين إلى ظهور ثلاثة عناصر هامة : (١) الكراهة المستأصلة التي كان يكنها أهل البلاد المغلوبة للمغاضين من العرب (٢) الشيعة و « أنصار أهل البيت » (٣) انتظار محمّد من أو هاد (Messiah) .

وقد سلك المؤلف في بحثه هذه الموضوعات طريقة تحليلية دقيقة ، كما ناقش المصادر العربية ومحص ما ورد فيها من الحقائق التاريخية تمحيصاً يدل على دقة البحث وسعة الاطلاع ، كما يتبين لنا ذلك من هذه المصادر العربية والأجنبية الكثيرة التي اعتمد عليها . ومما يمتاز به هذا الكتاب أن

مؤلفه لم يقتصر في بحثه على الكتب التاريخية خصب ، بل استعان في كشف
بعض المسائل بالقرآن الكريم وكتب السنة والأدب والمذاهب .



ولم يقتصر عملنا على مجرد نقل الكتاب إلى اللغة العربية ، بل عينا في
في الوقت نفسه بنقد بعض ما ذهب إليه المؤلف من الآراء التي لا تتفق
والبعض التاريخي الثري . من ذلك ما ذهب إليه من القول بأن الإسلام قد
انتشر عن طريق الأعراب لا عن طريق الأقباط بالطبعة والدليل . كذلك
ما ذكره من بعض أهالي البلاد التي فتحها العرب للإسلام ومحاولة الارتداد
عنه ، وأن المسلمين كانوا يصعدون أهالي البلاد التي فتحوها ، وهو
مألا يتفق مع روح الإسلام وخلق الرسول ثم خلفائه من بعده . يؤيد ذلك
قوله تعالى في زينة (وابتك لمن خلق عظيم) (فيما رحمت من الله لنت لهم .
وكنتم قفا غليظ الغلب لا تقضوا من حديث) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما علمتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ، ثم قوله عليه الصلاة
والسلام : ألا أكلمكم راع وكل راع مسئول عن رعيته . فالراعي الذي على
الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم ، وراجل راع على أهل بيته وهو مسئول
عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع
على مول سيدة وهو مسئول عنه . وكلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته ،
ثم ما ذكره ابن عبد الحكم : من أن رجلا من أهل مصر أتى في عمر بن
الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين : عائدتك من الغنم . قال : عفت بمعاذ . قال :
سأقت ابن عمرو بن العاص فسيقتة ، فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن
الأكرمين . فكذب عمرو بن عمرو بأمره بالتقدم عليه وتقدم بآبائه معه ،
فتقدم . فقال عمر : أين المصري ؟ خذ السوط واضرب ، فجعل يضربه بالسوط
وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين . ثم قال للمصري : ضعته على صلعة
عمرو . قال : يا أمير المؤمنين : إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه .

فقال عمر لمعرو : مذكم تعبدتم الناس وفقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟
قال : يا أمير المؤمنين ! لم أعلم ولم يأتني .

كذلك عينا بشرح بعض ماورد بالكتاب من المسائل مما قد يستعمل
على القارى فهمه . من ذلك شرح مذاهب الاشرافية أو الالاءدية ، والماتوية
والبابية ، والاسرائيليات ، ثم شرح بعض الالفاظ العربية وبيان بعض البلدان ،
كما رجعنا الى المصادر العربية التى أخذ عنها المؤلف مما مكنتنا من تصحيح
ما أخطأ فى نقله . كذلك حرصنا على نقل العبارات الغريبة بنسخها من
المصادر العربية . وقد اقتصر المؤلف على تقسيم كتابه الى ثلاثة أبواب . كل
منها يشتمل على فصول اکتوا بالاشارة الى كل منها برقم لاتينى . لذلك
عينا بوضع عناوين لكل فصل من فصول الكتاب ، حتى يسهل على القارى
معرفة الموضوع الذى ينسكه عنه المؤلف ، كما يسهل على الباحث أيضا
الاهتداء الى المسائل التى يريد بحثها ، وقد أشرنا الى النقد والتعليقات والشروح
التي أنبأنا عليها بعلامة X أو X . ولما يؤخذ على الكتاب خبوء من
فهرس يسهل على القارى استقصاء ما اشتمل عليه من الحوادث التاريخية .
لذلك عينا عناية خاصة بعمل فهرس للأعلام والمصادر والبلدان وغيرها من
الاسماء التى تدل على حوادث تاريخية هامة . وقد أعطينا عند شديدا فى نقل
الكتاب وضع المؤلف له باللغة الفرنسية ، تلك اللغة التى لا يحسن التعبير
بها كما صرح بذلك فى مقدمته .



وبالرغم من ذلك ظلت كتاب فى حملته كثر ثمين يدل على مامتاز به المؤلف
من دقة البحث وسعة الاطلاع وتعمق الحقائق . وهو مما لا يستغنى عنه
المشتغلون بالتاريخ الإسلامى فى مصر والشام وفلسطين ، والهند وبلاد العرب
والمراق ، وبلاد المغرب وغيرها من الأقطار الإسلامية ، كما يستفيد منه
المستشرقون ولا سيما من تلك الزدود والتعليقات التى ألقت قبا من النور

على الكثير من المسائل التي تصدى المؤلف لبحثها . وقد استعنا في ذلك بالكثير من كتب التاريخ والفقه والحديث والمذاهب ، وكذا المصادر الأفرنجية مما يزيد — بلا ريب — في قيمة الكتاب من الوجهة التاريخية . على أننا نترك للعلماء والباحثين في التاريخ الاسلامي استدراك ما عسى أن نكون قد تركناه من الزدود . وإنما اقتصرنا في ردنا وتعليقنا على هذا القدر لئلا نخرج عن القصد ولكيلا يفرق الكتاب بين التعليق والزود .

٢٥

وقد تحررنا بهذه الأمانة في النقل وتبهم المسائل التاريخية وشرحها في ضوء المصادر الأصلية التي أخذ عنها المؤلف . ونرجو أن نكون قد وفقنا بعض التوفيق في نقل ما كتبه بعض المستشرقين عن التاريخ الاسلامي ورأيهم في الاسلام والمسلمين ، حتى يكون القارئ عسى بينة من رأى هؤلاء في المسلمين بوجه عام والمستشرقين بوجه خاص . ومما يزيد في قيمة هذا الكتاب ندرته ، حتى أنه لا يوجد منه الاثنى عشر نسخة واحدة بدار الكتب الملكية ، وهي النسخة التي نقلنا عنها .

ولعل هذا يثير اهتمام وزارة المعارف والخاصة إلى العناية بدراسة التاريخ الاسلامي في مصر والشرق . وبحللة الصلح اللائق به بين الدراسات المختلفة . ففي دراسته نعرف تاريخ المدينة الاسلامية التي أشرقت شمسها على العالم في الوقت الذي كانت فيه أمم الغرب لا تزال يغمرها الجهل ونعمها القوضى في كل ناحية من نواحي الحياة . وقد عرفت الأمم الأوروبية فضل هذا النوع من الدراسة ، فسبقت إلى الاهتمام به . وأنشأت الكراسي بجامعة آي . ولم تأل جهداً في تشجيع المستفيدين بالتاريخ الاسلامي بالألقاب والمناصب والمال ، حتى يبرز فيه الكثيرون من المستشرقين وحتى أصبحنا نأله عليهم فأخذ عنهم تاريخ بلادنا وقوميتنا . كما نرجو أن ينبه ذلك إدارة المعاهد الدينية إلى أهمية ما كتبه المستشرقون عن الاسلام بوجه خاص ، فتعمل عسى ترجمة

(و)

الكثير من مؤلفاتهم التي كتبت بمختلف اللغات والرد عليها إذا ما مالت
عن الحق أو انحرفت عن الصواب .



ونفتخر للقارئ على وفور بعض أغلاط مطبعة أشرنا إليها في آخر
الكتاب .



ونقدم جزيل شكرنا لحفزة الأستاذ الدكتور أحمد ضيف لتفضله
بمراجعة جزء من هذا الكتاب .

القاهرة في ٤ شوال سنة ١٣٥٢ هـ - ٢٠ يناير سنة ١٩٣٤ م

حسن إبراهيم حسن - محمد زكي إبراهيم



(ز)

محتويات الكتاب

صفحة

١

مقدمة المترجمين

١

مقدمة المؤلف

الباب الأول

السيادة العربية

٥

١ - كيف انتشر الاسلام ؟

٢١

٢ - الفتنوات الاسلامية في نظر بني أمية

٢٦

٣ - الخوارج

٣٥

٤ - حالة الموالى السياسية والاجتماعية

٤٤

٥ - الحالة في خراسان

٥٦

٦ - سياسة عمرو بن عبد العزيز نحو الموالى وأثرها

٦٠

٧ - ثورة الحارث بن سريج

الباب الثاني

الشيعة

٦٨

١ - نشأة الفرق الاسلامية

٧٤

٢ - عقائد الشيعة

٧٩

٣ - طوائف الشيعة

٩٠

٤ - الهاشمية

٩٦

٥ - الحرورية والراوندية

١٠٣

٦ - انتقال الدعوة العباسية من العراق إلى خراسان

(ج)

الباب الثالث

الامراتيليات

صفحة

- ١ — التنبؤ ببعض الأشخاص وأحوالهم الممينة ١٠٧
- ٢ — التنبؤ بتعصير العالم ١١٤
- ٣ — رجمة عيسى بن مريم وظهور الدجال ١١٩
- ٤ — عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الأموية ١٢١
- ٥ — قيام الدولة المباسية ١٢٧
- ٦ — حاتمة ١٣١

تذييل

- ١ — الثننن المالية في خراسان وإصلاحات نصر بن سيار ١٣٥
- ٢ — الأمويون يمثلون الجماعة الإسلامية ١٣٧
- ٣ — أسباب ثورة أهل إفريقية ١٣٨
- ٤ — الخوارج في عهد الأخيرين من خلفاء بني أمية ١٤٠
- ٥ — المهديون من غير آل البيت ١٤٢
- ٦ — سليمان بن كثير والكفنية ١٤٦

فهرس الكتاب

- ١ — الفهرس العربي ١٤٨
- ٢ — الفهرس الأفرنجي ١٦٤
- حفظاً وصواب ١٦٧

مقدمة الكتاب

سنعرض في هذه المقدمة لدراسة تاريخ الحزب العباسي ومدى نشاطه ،
محسناً تقدمه لمقارنائه طائفة قيمة من الأسباب السياسية والدينية التي انتهت
بسقوط العرش الأموي ، إذ لا نستطيع فقد أن ننكر أن سقوط ذلك العرش
لم يبدأ إلا منذ اللحظة التي قام بها أنصار البيت النبوي من دماء العباسيين
ليجتاحوا محل الأمويين ، أو بالأحرى منذ الوقت الذي نادى خراسان بحزب
كان على تمام الاستعداد لممارسة الدعوة العباسية بكل ما فيه من قوة .

فهمتنا إذ آنحصر في حين تلك المعضلة ، وهي تعرف الأسباب التي
دعمت الخراسانيين في أن يشاءوا البيت النبوي ، قد يبدو ذلك سهلاً لأول
وهلة . فقد تذكر مؤرخو العرب الذين ستنبرعنا بقلوبنا في هذه المسألة ،
عن قيام الدعوة العباسية التي هيأت النفوس لحكم بني هاشم (أهل البيت) ،
وأنشأ أنما قد أتممت واجتاحت حين بين مقارنائه كيف قامت تلك البداية وكيف
وجدت مربيها في النفوس .

وقد حاولت جهدي حين تلك المعضلة في رسالتي التي كتبها عن أصل
الحزب العباسي Die Abkunft der Abbasiden in Khorasan (1890) معتمداً على ما نقله مؤرخون فيما يتعلق بالدعوة لبني العباس .
وقد تابعت جهد المصطلح هذه الحركة منذ نشأتها في خراسان حتى اعتلاء
الحزب الجديد كرسي الخلافة .

وأما فيما يتعلق بموضوعنا الذي نحن بصدده فلا يسعى إلا أن أصرح
بأن لا أستطيع أن أحسن أسياجه تحليلاً تاريخياً مرضياً ، إذ أنني مقتنع تمام
الاقتناع أن ما ذكره مؤرخو العرب في ذلك الموضوع ليس سوى تكرار

لحوادث لها نصيب قليل أو كثير من العسفة ، ربما تسيطر الحقيقة أكثر من أن تكشف القناع عنها . وذلك لتأثرها بالبلاد في بغداد .

عني أن تلك البحوث المتقدمة لم تكن عديمة الجدوى ، فقد مكنتني من أن أكون لي رأيا في القيمة النسبية للمصادر العربية ، كما كشفت المثلثات عن شيء هو أهم من هذا ، وهو وجود ثلاثة عناصر لها قيمة كبيرة في نظر من يريد أن يتعرف سر انتشار المبعشرين وهي : (١) الكراهة المتأصلة التي كان يكنها أهل البلاد المغلوبة لمقاتلين من العرب الذين يختلفون عنهم في الجنس والدين كانوا يفضونهم ويسومونهم الخسف (٢) الشيعة وهم أنصار أهل البيت (٣) انتشار مخلص أوهاد (Moussu) .

وفي موضوع مثل هذا في حاجة مناسبة إلى بحث أدق وأعمق مما نحن . وكان زعمنا عينا . ولأشياء إذا سكننا مريفاً غير الطريق الذي سلكه مؤرخو العرب ، أن معنى بوجه خاص يتعرف حال الشعوب الخسفة وعلاقتها بالشعب الحاكم . وأن يبحث بعد ذلك أثر تلك العلاقات في انتشار الدعوة الشيعية ، ثم نبحث في أي حد كان أثر اعتقاد الناس بالأسرار النبوية . وفي أي حد ساعد ذلك الاعتقاد بأنفسهم في الأسباب الخسفة الذكر عني الدعوة لبني العباس .

وفي القارئ خلاصة تلك البحوث الجديدة . عنها تعدل الذي الكثير مما كان يذهب إليه المؤرخون في الحكم على العصر الأموي ، والتي لا تعرض للفرق بين القبائل التي عني به مؤرخو العرب ثم مؤرخو الفرنجة عناية كبيرة والذي لم يكن له إلا مكان ثانوي بين تلك العوامل الكثيرة التي انتهت بسقوط الأمويين . فانه ذلك الفرع وإن ساعد في المعطاة الأخيرة من نجاح

(١) المعتقد غير الإسلامية — وبخاصة اليهودية والمسيحية والمجوسية والبابية — التي تأثر بها المسلمون في أواخر القرن الأول هجري . ولعله يقصد من بين تلك المعتقدات عفيفة المهدي المنتظر ، وهي يهودية الأصل — المرقمجان .

الدعوة العباسية - فلم يكن له أثر ما في تلك الحالة الجديدة التي ظهرت عقب قيام الدعوة العباسية. ولي تقتصر بحثنا على دراسة الحالة في بلاد خراسان. فان بحث حال تلك البلاد. وإن كان يفسر لنا ما كان يجري في غيرها من الولايات الأخرى. فقد كان لبعض الطوائف التي ستمرض لها علاقة وثيقة بالجزء الذي في من الدولة الإسلامية بوجه عام وبلاد العراق بوجه خاص. وذلك التوسع في البحث. وإن كان يزيد في الصعوبات التي تواجهها في مهمتنا هذه. إلا أنه سيزيد بلا ريب ما علمنا بعض الشيء في دراسة هذا العصر قدر ما يتبع لنا مجال هذا البحث. ولي ننقل على القارىء تقديم المراجع التي اعتمدنا عليها فقد ذكرناها قبل. ومن أهمها القارىء (سبعة مسير في غوريه) ثم ما كتبه أشهر مؤرخي القرون التاسع والعاشر (البلاديين) - كالبلاد في البطارقي. والمحمودى. وابن عبد البر. وكذا بعض مؤرخي الملاحير. كما صاحب كتاب الميون وابن الأثير والمقرئ. وأما فيما يتعلق بالمعلومات على مدى بعض المعلومات القيمة لكتاب القارىء الكبير لمقرئ. وكتاب الضقات "الكبرى" لابن سعد التي كت أخرج إليها. وذلك عند جزء كبير من مجموعة *Legatum Warnerianum*. ويرجع الفضل في ذلك إلى سخاء القائمين بدرة المكتبة الأهلية بباريس. وكذلك مكتبة *Duclos de la Roche*. ولي لأدين بالشكر لأستاذى العزيز مسير في غوريه *Dr. G. G. G.* إذ فقد أنهر اهتمامه الشديد بما فئت به من البحوث وسند خطاى في مدانى التاريخ الإسلامى ففصح الألام. تلك - ما الذى كان حقا معاشرى لا يزال في العهد. كما عني ترجمة هذا الكتاب قبل مبعده وأمدنى بمعلوماته القيمة

ليبين أمدى بعد ذلك. لا أن أعتمد على جرائى في كتابة هذا البحث باللغة الفرنسية التي لا أحسن التعبير بها تمام. وهذا ضعف أعترف به عن ضيق نفس. ولرب حظوظ إلى الكتابة بهذه اللغة لأنى أرد أن يكون

هذا الكتاب خاصاً بزملائي العلماء شبيب . بل أردت أن يكون في متناول
المستشرقين من الذين يعنون بثمار الدراسات التي يقوم بها علماء الغرب .
وأكبر غنى أن الوقوف على قيام الحركة العباسية وما كان لها من أثر
ليس خلواً من النفع بشرق الحديث ، فضلاً لاحتثت ثمة توافقاً غريباً بين
ما كان يجري في عهد عبد الملك وهشام وبين ما نشاهده اليوم من الحوادث
في الشرق . ولعل أن يكون في ذلك ما لم يكن يعتد به .

ليدن — أغسطس سنة ١٨٩٢

سبحانك يا ذا الجلال والإكرام

الباب الاول

السياسة العربية

كيف انتشر الاسلام

هناك فرق عظيم بين انتشار المسيحية وانتشار الاسلام . فقد انتشرت المسيحية انتشاراً وثيقاً وسعياً واسعاً من الاضطهادات والآلام . كما يدل على ذلك ما أثر عن عيسى عليه السلام من تلك السمات . انه في ملكه ليس من هذا العالم . وقد استطاعت المسيحية ان تحتل بمطاميرها وغم السيف اقروا عدة بين شعوب محتمة ومدييات راقية . أما الاسلام فكان في العكس من ذلك . من محمداً عليه الصلاة والسلام لم يأت أن المسيح له نفوذ روحي وزمني عظيم بعد سنين فلاث من الجهاد والاضطهاد كما يدل على ذلك غير آية من القرآن . وذلك تحول أهل المدينة إلى الاسلام . وقد أصبح الاسلام بفضل ذلك النفوذ الذي كان يتمتع به الرسول ديناً قوياً . ثم بعد سيف و نشر بين الشعوب عن طريق الأندلس واورشليم . ولم يكن اعتناق أهل جزيرة العرب للاسلام . أو بالأحرى حصوله له . نتيجة دينية . صفة واحدة . فقد أرغم ما كان مشى من قوة ونفوذ بعض القبائل العربية من أهل البدو على الدخول في الاسلام . كما لم يكن اعتناؤها حين ارتدت عنه بعد وفاة رسول عن طريق الاقتاع والمحاكاة بكتاب الله

بل بقوة السيف . فقد أرغمهم خالد بن الوليد (سيف الله) إلى الرجوع إلى الاسلام (١) .

(١) هذا لا يتفق مع مخرج قوله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) . أنصف إلى ذلك مناقته لما رواه الثقة من المؤرخين عن بدء انتشار الاسلام . فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة بعض أصحابه ممن كان يشق بهم ، فأسلم أبو بكر وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وتبعهم غيرهم . وعالمًا كان يمرض الرسول نفسه في موسم الحج على الخيول داعيًا من أقبل إلى مكة من سائر العرب إلى الاسلام . وكان من هؤلاء جماعة من الأوس والخزرج من أهل المدينة ، فأسلموا إلى ما دعاهم إليه من اعتناق الاسلام ثم رجعوا إلى المدينة ودعوا قومهم إلى هذا الدين ، فلم يبق دار من دور أهل المدينة إلا وظهر فيها الاسلام . مضى ذلك في جزيرة العرب دون أن يستل النبي صلى الله عليه وسلم عدوًا . كذلك اتبع الرسول الطرق السلمية في نشر الاسلام خارج جزيرة العرب . وإلى الغاري ما كتبه الرسول إلى كسرى بدعوه إلى الاسلام ، ذلك الكتاب الذي أسوده روح السلم والمودة : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وإن لا إله إلا الله ، وإنى رسول الله إلى الناس كافة ليندر من كان حيًا أسلم أسلم ، فإن ثبت فعليك إثم الجحوش » . فزق كسرى كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال الرسول : « مزق الله ملكه » . على أن كسرى لم يمت عند تلك الألفاظ ، بل كتب إلى ماذان عامله على اليمن : « ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحداد وجلب من عندك جلد من فانيأني به » . فبعث ماذان وسوارين يحملان كتابا إلى الرسول بأمره فيه أن ينصرف معهما إليه ، فخرجا حتى قدما قائف فوجدوا رجلا من قريش ، فأسلماه عن الرسول فقالوا : « هم بالمدينة » . واستبشروا بهما وفرحوا . وقال بعضهم : « ابشروا فقد نصب له كسرى ملك لمعرك » . كثرتهم الرجل . فشرح الرجلان حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له : « إنه كسرى قد بعثنا إليك لتطلق

لم يتردد النبي (عليه الصلاة والسلام) في رمي أهل الكتاب بالكذب والتفليل واتهامهم بالشحريش في كتبهم حين رأى أن دينه الذي كان يرمى معناه . فصرخ في الرسول على أن يمودا اليه في الغد . فأتى رسول الله الخبير من السماء . أن الله قد سخط على كسرى ابنه شيرويه فضله . ففما قدم الرسول أن أخبرها الرسول هذا الخبر فقال له : « إنا قد نقصنا عليك ما هو أيسر من هذا . فكتب هذا عنك وخبره الملك » . قال ونعم ! أخبراه ذلك عني وقولاه إن ديتي وسلفاني سينع ما بلغ منك كسرى وقولاه إنك إن شئت تعطيني ما تحت يديك وملكك على قومك من الأبناء . فعاد الرسول أن يذان فقضا عليه ما نبت به النبي فقال : « والله ما هذا بكلام ملك . وبي لا ترى رجلا » . كما يقول . ولشعرون ما قد قال . فلقن كان هذا حقا فانه النبي مرسل . وبي لم يكن قسري فيه وإنما . فلم يلبث باذان أن قد عليه كتاب شيرويه . ثم بعد ما قد قلت كسرى . ولم أقتله إلا غضبا لغارس لما سجد من قتل أمراءهم . وذا جاءك كتابي هذا اخذ لي الساعة من قتل وانظر الرجل الذي كتب كسرى كتب فيه إليك (يعني الرسول عليه الصلاة والسلام) . فلا تبخه حتى يأتيك أمرى فيه . فلما انتهى كتاب شيرويه إلى يذان قال : « إن هذا الرجل رسول » . فأسلم وأسلم من كان معه من القوم ببلاد اليمن (القاري ج ٣ ص ٩٠) .

كذلك كتب الرسول إلى هرقل أمير بطور الدولة البيزنطية (القاري ج ٣ ص ٨٧) وإلى الخوفاير عامه على مصر كتابين يدعوها إلى الإسلام بالوسائل السلمية دون أن يلجأ إلى إكراه أو حرب .

وإن ما ذهب إليه المؤرخون المتأخرون أيضا مع ما سار عليه الخلفاء الراشدون مع أهل الديانات التي فتحوها واحترامهم حريتهم الدينية ومخالفتهم على حقهم المدنية . يدل على ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيلياء الذي نقله عن القاري (ج ٢ ص ١٥٩) : « هذا ما عني عبد الله من خير المؤمنين أهل إيلياء من الأماقي . أعظامهم ماء لا نكسهم ومو خيرهم ولا نكسهم وصابانهم وسقيعهم وبريتهم وسائر مائتهم . لا نكسكن كتابهم ولا نكسهم . ولا ينقص

إلى نشره بادي دى بده بين مواضيه بى رضى اليهود كما لم يرقى النصارى .
وهكذا استطاع الاسلام أن يحاج أهل الكتاب بتصريجه أنه أرقى الأديان
منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شئ من أمواتهم ، ولا بكرهون
على دينهم ولا يقار أحد منهم . . .

من هذا يظهر أن الاسلام لم ينتشر في جميع أدواره بحمد السيف
والأرهاب . وإلا فإذ يقول فان غرق في انتشار هذا الدين في القرن السابع
المهجري في الوقت الذي ضمت فيه الدولة الإسلامية زوايا الخلافة العباسية
وسقوط بغداد في يدي التتار ؟ وإلى انقارى كيف وجد ذلك الدين السمع
الطريق إلى نفوس هؤلاء القاطنين المتبررين من المغول ، يقول الأستاذ
المرحوم السير توماس أرنولد The Preaching of Islam, pp. 218 - 219
في كتابه : لا يعرف الاسلام من بين ما نزل به من الخطوب والويلات
خطبا أشد هولاً من غزوات المغول . فالتقى السابغ حيوئى حنكبرغان
السياس الملوخ من فتن الجبال واكتسحت في مدينتها المواقم الإسلامية
وأثمت على ما كان لها من مدنية وثقافة . . . على أن الاسلام لم يلبث أن نهض
من تحت أنقاض عظيمة الأولى وظلال محدة الناء . واستأنف بواسطة دعاة
أن يجذب أولئك القاطنين المتبررين ويخضعهم على اعتناقه . ويرجع الفضل في
ذلك إلى حماس الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعوبات أشدها
لناهضة منافقين عظيمين هما المسيحية واليهودية ، وكما يحاولون جرار قصب
الحق في ذلك المضمار . وليس في تاريخ العالم تغير لمثل المشهد القريب وتلك
المعركة الحامية التي قامت بين اليهودية والمسيحية والاسلام — كل دينة تنافس
الأخرى لتكسب قلوب أولئك القاطنين الذين دسوا بقدمهم تلك المديانات
العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقاليم والأقمار . . . ويقول السير
توماس أرنولد في مكان آخر (ص ٢٢٦ — ٢٢٧) عند كلامه عن انتشار
الاسلام في بلاد الصين وبارغم من هذه المضايك التي نفيها دعاة المسلمين ،
فقد أذعن المغول لدين هذه الشعوب الإسلامية التي ساموها الخسف وجعلوها

وأنه وحده هو الدين الحق . وكان من أثر استخدام الرسول باليهود النصارى في بلاد العرب أن مرود اليهود من المديسة وشتت الغارات على المسيحيين في مواضع أقدامهم . ولا بد أن يكون هناك كثير من النصارى الذين قد انتشروا في منول أمبراطورية المغول وعرضها مجاهدين في طي الخفاء لجذب هؤلاء الكفار إلى حظيرة الاسلام . ففي عهد أجنائى (١٢٢٤ — ١٢٣٩ هـ و ١٢٠٦ — ١٢٢٧ م) تحول كرتز khartaz وإلى بلاد فارس من قبل المغول من اليهودية إلى الاسلام . كذلك كانت آنتدا Ananda حفيد كوبيلاى (٦٥٥ — ٦٩٣ هـ و ١٢٥٧ — ١٢٩٤ م) ووالى قن صو kuan su مسلماً متحمساً قد حذا به إلى حين الكثيرين من أهل تانجوت Tangut وعداداً كبيراً من جنده إلى اعتناق الاسلام .

أضف إلى ذلك ما كان لنجار المسلمين الذين أصبحوا يسمون دعاة للاسلام من أثر انتشار هذا الدين . فقد كان راجى خان (١٢٥٦ — ١٢٦٧ م) أول من أسلم من أمراء المغول . وكان رئيساً لجمعية الذهبية في روسيا . ويقال في سبب سلامه إنه أتى يوماً ليعارة آتية من تغارى ، فأخذى بناجرين مهاوياًهما عن الاسلام ، ثم رماه مفعماً فنهى به إلى اعتناق هذا الدين والأخلص له .

كذلك كان تكودار احمد ثالث خانات المغول في بلاد فارس أول من اعتنق الاسلام . وقد شب على المسيحية واعمد في صباه وتسمى باسم ليقولاه ثم اعتنق الاسلام عند ما فرس ارشد ، وذلك عن أثر التماس المسلمين الذين كان كاسيم . وتسمى اسمه حمد خان . وقد بذل قصارى جهده في تحويل كافة المغول إلى الاسلام ، فأسم على يده كثير منهم . ثم بعث تكودار احمد نقيباً لاعتنقه الاسلام إلى قلاوون (١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) سلطان المنيك في مصر في كتاب طويل يعنى وافية تاريخية تبين منها كيف انتشر الاسلام بين المغول . وإلى القارىء بعض ماورد في هذا الكتاب نقلًا عن القاضى شندى (صبيح الأعتنى ج ٨ ص ٦٥ — ٦٨) ما بعد وفات الله سبحانه وتعالى

بلاد بيزنطة في المحطة التي انتقل فيها الرسول إلى جوار ربه . وقد ترك الذي خلفائه بتمام مهمته ، وذلك باخضاع الكفار . ولنعرض الآن لبيان أثر

بما سبق عنايته ، ونور هدايته ، قد كان رشدها في عقوبات الصبا وربيعان الحداثة إلى الاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدةانيته ، والشهادة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام . يصدق نبوته وحسن الاعتقاد في توالياته الصالحين من عباده وبريته (١) أن يرد أنه في يهديه يشرح صدره للإسلام) .

وقد علق الأستاذ السير توماس أرنولد على ما كان للإسلام من أثر في تهذيب نفوس المغول — ذلك الأثر الذي وضع وضوحا جليا في كتاب تكود راجد إلى سلطان المماليك بهذه عبارة دوان من يدرس تاريخ المغول ليرتاح عند ما يتحول حجة من قراءة ما اقترفوه من الفتناء وما سفكوه من الدماء إلى اسمى عوطف الإنسانية وحب الخير التي أضلت عن نفسها في تلك الوثيقة التاريخية التي كتبها تكودار أحمد إلى سلطان المماليك في مصر ، والتي يدهش الإنسان لصدورها من مثل ذلك المغول .

بقي أن نقول كلمة عن انتشار الإسلام في أوروبا ، كان أوبك خان (Obek Khan) الذي كان زعيما ثقيفية الذهبية (١٣١٣ — ١٣٤٠ م) والذي اشتهر بأهمه الشديد للدين الإسلامي وحرصه على تحويل الكثيرين من الأهلين إليه . أول من جدد في نشر الإسلام في كافة أرجاء بلاد روسيا ، ويدكر لنا التاريخ أنه رغم نعمه للدين الإسلامي وتغانيبه في الاخلاص له كان كليل التسامح نحو رعاياه من المسيحيين ، فقد منحهم الحرية التامة في إقامة شعائرهم الدينية ، وذهب في تسامحه معهم إلى أن بعد من هذاه فقد منح لهم بالتبشير لدينهم وفشروا في بلاده . وما يدل على ذلك التسامح تلك الوثيقة التاريخية التي كتبها المرحوم الأستاذ السير توماس أرنولد (Thomas Arnold) في ١٨٤٢ — ١٨٤٣ م عن كرم من (Ivanov) ، وقد جاء فيها :
 « إن كنيسة بطرس مقدسة ، فلا يحل لأحد أن يتعرض لها أو لأحد رجالها بسوء ، ولا أن يستولى على شيء من عقايرها أو مناعها ، ولا أن يتدخل في

الحروب التي شنها المسلمون في نفوس القبائل العربية التي كانت تعتبر الاسلام
ثيراً ثقيلاً عليهم حتى عصر الفتوحات الاسلامية الأولى . فثبت الحال لم
أمورها ، ومن خالف مرة هذا بالشك في عليها فهو مجرم أمام الله وجزاؤه
منا القتل . (ج ١ ص ٣٩١ — ٣٩٢) .

ولم يكن هذا المرسوم ككلمات جوفاء ، ومجرد « خير على وري » . فقد نشر
ذلك التسامح وفتحاً جليلاً في كسب رسالة البشارة الثانية والمشرور في
سنة ١٣١٨ م إلى أن يشكر له عطفه على رعيه من المسيحيين ورشى على
تلك المعاملة التي كان يعاملهم بها أرباب .

وقد حاول نشر الاسلام في جميع بلاد الروسيا انصار من المسلمين الذين
كانوا يقيمون على مذهب غير المذهب حول القوقاز العشر الميلادي والذين
يدينون بالاسلام انصار من المسلمين الذين كانوا يترددون على بلادهم بتجارة
القرام وغيرها من السلع . حتى انه يظهر ان هؤلاء انفسهم قد دخلوا الاسلام
قبل ذلك الحين . فلهذا رسل اليهم الخليفة عباسي المقتدر (٩٠٨ — ٩٣٢ م)
بعض من العلماء لتعليمهم اصول الاسلام وعقائده . ثم سؤل هؤلاء ان ينشروا
تحويل فلاديمير (Vladimir) ملك روسيا في ذلك الحين في الاسلام . وكان
يدين بالدين الوثني . ولم يقف في سبيل تحويله هو ورعاياه إلى هذا الدين إلا
الخنان وتحريم احرش المسلمين .

Book by Thomas Madden

Teaching of Islam, PP. 242 — 243

هكذا سلت حركة الدعوة للإسلام في بلاد الروسيا نصيلة حتى سنة ١٩٠٥ ،
حتى صدر مرسوم حرية الدين في الامبراطورية الروسية . ومن ثم نشطت
حركة الدعوة إلى الاسلام في تلك البلاد ، وأخذ الكثير من الروس يدخلون
في هذا الدين . ويرجع الفضل في هذا إلى القوة المعنوية التي كان ينادي بها
المسلمون في هذه البلاد .

Book, pp. 244 — 245

وقد أدخل تزار القرام من المسلمين في الاسلام الكثير من سكان بلاد
اليونان والبالقان الذين كانوا يقيمون في شبه جزيرة القرم . ويحدثنا أحد

يلت أن تغير . فقد بدأت تلك القبائل تعتبر ذلك الدين ، الذي كان يلازم مواهبهم الحربية ويشبههم عليها ثواباً عظيماً في الدنيا والآخرة ، غرضهم الرخايل في القرن السابع عشر الميلادي أن تنار القوم هؤلاء كانوا يبذلون جهدهم لتحويل مواليهم إلى الاسلام . وكانوا يعدونهم الحرية إذا ما دخلوا في دينهم . وقد نشطت الدعاية للاسلام بين تنار القوم أيضاً على أثر مرسوم حرية الدين الذي صدر في سنة ١٩٠٥ .

ومن أثر حدوث في تاريخ الدعوة لاسلامية تحول القرغيز في بلاد آسيا الوسطى إلى الاسلام على أيدي المولوية من تنار الذين نشروا تعاليم هذا الدين بينهم في القرن الثامن عشر ميلادي . ومن ثم انفلت الأموال الفخمة لبناء المساجد . وفتح عدد كبير من المولوية بنشأ المدارس وتعلم الأطفال عقائد الاسلام . وفي مثل هذا القرن التاسع عشر كان السواد الأعظم من القرغيز الذين كانوا يقبضون في تلك السهول المسيحية الممتدة بين تاسك ولاد التركستان لا يزالون على الوثنية . وقد فكرت الحكومة الروسية في إغناء هذه من المباشرين نشر الدين المسيحي بينهم . على أنه قد صرفها عن هذا ما كانت ترمحه من وحشية هؤلاء وعجزهم عن فهم الانجيل . واتهم جماعة من المصلحين هذه الفرمسة فقولوا جميع تلك القبائل إلى الدين الاسلامي .

وفي القرن الثامن عشر نشطت الحكومة الروسية من جديد في تحويل القبائل الوثنية من المغول إلى الدين المسيحي . وفي سنة ١٧٧٨ أمرت كاترين الثانية بأن يوقع كل من هؤلاء حديثي عهد بالمسيحية على إقرار كتابي يشهدون فيه بترك الوثنية دينهم القديم وتبنيك بالدين المسيحي وعقائده . وعلى الرغم من ذلك فإن الذين تعمدهوا من المغول لم يدعوا لمسيحية إلا ظاهراً ولم يكونوا مسيحيين إلا بالاسم فقط . وسرعان ما انحسروا من الكنيسة الأرثوذكسية واعتنقوا الاسلام . ولم يكن هذا الدخول في المسيحية إلا خطوة تمهيدية لدخولهم في الاسلام . وقد نجح المسلمون في تحويل أهل

الوطني الأسمى غداة انتصاراتهم الأولى على الكفار من الشعوب الأخرى. وبذلك جسدوا في نشره بدافع وطني أكثر منه ديني حتى حدود إفريقية جميع القرى من بلاد الروس. وبخاصة القرى الواقعة في الشمال الشرقي من هذه البلاد — على الرغم من القوانين الشديدة التي سنتها الحكومة الروسية في ذلك الحين. نخص بالذكر من ذلك القانون الذي كان يقضي على كل من يحاول تحويل أي مسيحي إلى الإسلام بطلب مدة تتراوح بين ثمانية وعشرة أعوام وحرمانه من جميع الحقوق المدنية. (Prachina of Islam, PP. 216-217). وقد ظهر بين الروس إلى الإسلام والدخول فيه على أثر مرسوم حرية الدين الذي صدر في سنة ١٩٠٥. ففي سنة ١٩٠٩ اعتنق الإسلام إحدى وتسعون أسرة في قرية نوميكا (Nomsa) كما اعتنق هذا الدين ٥٣٠ نسمة بين سنتي ١٩٠٤ و ١٩١٠. ويقول الأستاذ السير توماس ارنولد: « ويرجع الفضل في اعتناق هذا العدد الكبير للدين الإسلامي إلى رقي المستوى الأخلاقي في تبيئات الإسلامية، وإلى حماس الناشئين بنشر الإسلام في تلك البلاد والدعوة إليه. فقد نصب كل مسلم — حتى الأمي منهم — نفسه داعياً لذلك الدين. ومن ثم لم يستطع الوثنيون من تلك القبائل أن يقاوموا تيار تلك الدعوة الجارف، ولم يلبثوا أن دخلوا في الإسلام أفواجا. وفي النساء كان يذهب الكثيرون من أهل قرى مسيحية سابقة إلى البلدات الإسلامية وممرعان ما كانوا يدخلون في الإسلام ثم يعودون إلى قراهم على أشد ما يكونون تحمساً والدعوة إليه بين ذويهم. وقد وجه المروية من أهل تورق وغيرهما من بلاد آسيا الوسطى وكذا التجار من قران وجوههم نحو مسيحية لنشر الإسلام فيها. وبذلك انتشر الإسلام لأول مرة في هذه البلاد بين سكان (الدين) كانوا يقيمون في البلاد الواقعة بين نهري إرتس و نوب). ومع أن الكثيرين منهم كانوا لا يزالون حتى مطلع القرن التاسع عشر على الوثنية، فإنهم لم يلبثوا أن اعتنقوا الإسلام جميعاً ولا يزالون على ذلك إلى اليوم. وما تاريخ إسلام القبائل الأخرى

الشمالية وفي أكثر مقام آسيا.

لم تنتشر المسيحية إلا بعد قرون عدة من الشدة والالام. أما الاسلام فكان على العكس من ذلك، إذ لم يكدر يفتى عن نهوره اثنا عشر عاماً حتى اعتنقه شعب بأ كمله على تمام الاستعداد النفسية والقيام بأعباء الفتح. حتى أن هناك ظاهرة أخرى. دلت أنه بينما كانت المسيحية تنتشر بين الشعوب المتحضرة وتوحد سكانها بين الأمم ذات المذنبات الرقيقة كان الشعب العربي لا يزال على بدوته الأولى رغم اعتناقه الاسلام. نعم كان الجيش الاسلامي لا يتخو من بعض القبائل المتعددة. كما كان يضم الكثير ممن لم يكونوا يعبدون كل البعد عن المذنبات والأفكار الدينية التي كانت مائدة بين الشعوب المتحضرة. لا أن روح انصراجه وعوالمه البدوية لم تزال تماماً

في بلاد سيبيريا انه لا يزال قائماً. على أنه يطلب على النفس أن اعتناق هذه القبائل للاسلام إنما يرجع الى عهد قريب.

من هذا يتبين لنا أن الاسلام لم يأت وحده طريقه إلى القلوب وحاطت بشاشته النفوس عن طريق الحجة والافتاح. سوف الى ذلك أن النفوس كانت تنطلق منذ مطلع القرن السابع الميلادي الى مصراع جديد. فقد انصرف الفساد الى جميع مناحي الحياة ومال من ان العدل بين الناس ببلاد العرب والفرس والروم. ومن ثم يادر الناس الى الاسلام لما امتاز به من الديمقراطية السمحة والمساواة الحقة (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم. سورة الزوه آية ١٣٠.

وما يبرحه قال فونق ه من أن عبارة أبي بكر لمن ارتد من المسلمين بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام كان نكراً لمدين بحد السيف فهو غير صحيح، إذ لم تكن تلك الحروب سوى فتح لثورة داخلية أراد بها بعض من لم يخالق الاسلام فوجبه انفضاه عليه وهو لا يزال في مهده. لذلك لم يكن بد لأبي بكر من التمسك عليها جهده حتى لا تنسحق وكان الوحدة العربية

— كما لا يخفى — من بين المستعمرين وسكان المدن منهم .

لم تكن المسألة مسألة دين انتشر وبسط نفوذه فحسب على بلاد
سورية وجزء عظيم من ممالك فارس القديمة . فقد كان هناك أمر آخر ،
ذات أن شعباً غريباً غير متفق قد استطاع بحاله من قوة وبأس أن ينفذ في
الولايات المسيحية ويؤسس سلطانه بين أنصار دين زردشت في بلاد فارس .
وكانت القوانين التي كان يرفع اليها في تنظيم العلاقات بين العرب وأهل
البلاد التي فتحوها نافية في البسامة . وهي مستنبطة من بعض كتب الملوك
التي كان يكتونها الرسول لمن ينضم إليهم . وكانت تمنح الشعوب التي تنسج
أبوابها لأمسين حرية التسدين ومساكنة الأرس . كما كانت لانتقال بلا
باجزية (التي كانت تسعى أيضا خراج جزية) . وهي الضريبة التي كان يدفعها
الشعوب الخالصة للمسلمين نظير حمايتهم لها . بينما كان المسلمين يخضعون في
تأريث البلاد التي كانوا يفتحونها غنوة وقتل رعاياها وحسب نفسها . على أن
المسلمين كانوا يمدون ترك الأرض لأهل تلك البلاد يستغوبها لمصلحة
القائمين .

لم يكن الغرض من الفروقات الإسلامية على هذه الدورية هو دماج
شعب في شعب أو العمل على نشر دعوة دينية معينة . وإنما هو احتلال
بقوة السيف (١) . وتظهر هذه الظاهرة بوضوح في السنة التي سنها عمر بن

وتتفرق كلمة المسلمين في المرحان .

(١) إن جميع أفعال الرسول المشهدة بأن الغرض الأول من دعوته إنما هو
التشاور الذين . وإن تعوزنا لأهمية الكتابة بتدليل على ذلك الرأي . فقد
روى الطبري (ج ٣ ص ١٢٣ — ١٢٤) أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث
خالد بن الوليد بعد فتح مكة داعياً إلى الإسلام ، ولم يبعثه مقاتلاً . فسار
خالد حتى نزل على جذيمة . فلما رآه أتوه خذوا سلاحهم واستعدوا لقتال ،
فقال لهم خالد : « ضعوا سلاحكم فإن الناس قد سلموا » . فلما وضعوها

الخطاب الخليفة الثاني لتشجيع تلك الفتوح .

وكانت تغني الفواعل التي سنها عمر بأن يكون كل مسلم جندياً من

أمر بعضهم فقتلوا . فلما بلغ الرسول ذلك رفع يديه إلى السماء وقال : هاتهم
إني أبرأتكم مما صنع خالد بن الوليد . ثم واصل على بن أبي طالب عمله
فودى لهم الدماء (دفع لهم الديارات) وما شيدوا به من أموال . وإن المتابع
لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ليرى أن غزواته وسراياه إنما كانت بدود
عن الاسلام والدفع عن نفسه وقومه . فقد ذرت فريش قتله حين خافوا
خروجه عليه الصلاة والسلام إلى المدينة . لاسيما وقد رأوا أنه قد أصبح
له شعبة وأصحاب من غيرهم . فاجتمعوا في دار الندوة حيث تشاوروا في أمره
عليه الصلاة والسلام . وانتهى بهم الرأي إلى أن يأخذوا من كل قبيلة
فتى جلد وأن يأمي كل منهم سيفاً حارماً فيضربوه ضربة رجل واحد
وبذلك يتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يحاربوا العرب
جميعاً (ابن هشام ج ١ ص ٧٣ — ٧٤) .

هذا إلى ما أذافوا النبي وأصحابه من مصروف العذاب وضروب الأذى مدة
إقامتهم بين شمرانهم بمكة . وقد شاء الله أن لا تجمع حولهم في هجرة الرسول
فهاجر إلى المدينة . إلا أن العرب . فنوا يبدرون له المكائد ويتراصون
به الدوائر . ولاسيما اليهود من أهل يثرب (وكانوا من قبل يستنجدون
على الدين كفروا . فعما جاءهم ما عرفوا كفروا به — سورة البقرة . آية ٨٩)
وقد أجمع المؤرخون على أن السبب في إحصاء يهود بني النضير إنما يرجع
إلى تأمرهم على قتل الرسول . فقد جاءهم الرسول يستنصهم في دية بعض
القتلى . فوعدهم بذلك . ثم حلا بعضهم إلى بعض فقالوا : إنا لن نجدوا
هذا الرجل على مثل حاله هذه . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم
بالس إلى جنب جدار من بيوتهم . فقالوا : من يعمد على هذا البيت
فيلقي صخرة فيقتله بها فيريحنا منه . فقال عمرو بن الجحاش : أنا لذلك .
فصعد ليلقي بالحجر على الرسول . فأتى الرسول الخبير من السماء بما أراد

جنود الاسلام ، على أهبة الاستعداد لتلبية داعي الجهاد في كل لحظة دفاعاً عن دينه وأن يمنح من بيت مال المسلمين عطاء معيناً مقابل خدماته . وكان القوم ، فعاد الى المدينة ، ثم خرج الى قذالهم وأجلالهم عن ديارهم .

كذلك كان الحال في « بئر معونة » . فقد ذكر ابن هشام (ج ٣ ص ٤٤ — ٤٥) أن أباه عامر بن ميثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرض عليه الرسول الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ، ثم قال لرسول الله : يا محمد لو بعثت رجلاً من أصحابك الى أهل نجد فدعوه الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسول الله : في أخشى عليهم أهل نجد ، فقال أبو براء : يا لهم جار فبعثهم فليدعوا الناس الى أمرك . فبعث الرسول المنذر بن عمرو في أربعين رجلاً من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، فبعثوا أحدهم بكتاب رسول الله الى عامر بن المثيل . فلم ينظر فيه وهدأ على الرجل فقتله ، ثم استعرج عليه بني عامر ، فأبوا أن يجيبوه وقالوا : إن نحقر أباه وقد عقد لهم عقداً وجواراً . فاستعرج عليهم قبائل من بني سليم فأجابوه الى ذلك وخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم وهم في رحلهم ، فلما رأوه أخذوا سيوفهم ثم قاتلوه حتى قتلوا عن آخرهم . وكانوا — رضى الله عنهم — من شمر الفراء والحفاظ .

أنفذ الى ذلك ما كان من « سرية بني الرجيع » (سنة ٤ هـ) . فقد قدم على رسول الله وفد من عضل والقارة فقالوا : يا رسول الله إنا فينا إسلاماً وخيراً ، فبعث معنا نفرأ من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرءوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام . فبعث رسول الله ستة من أصحابه . فلما أتوا على الرجيع (وهو ماء غليل) غدروا بهم ، فأخذوا سيوفهم ليقاتلوا القوم . وما زالوا يدافعون عن أنفسهم حتى قتل بعضهم وأسرى البعض الآخر فكانت نهاية القتل . فكان ذلك سبب غزوة بني الحنظلة (ابن هشام ج ٣ ص ٤٩ — ٦٠ والنسفي ج ٣ ص ٢٩ — ٣٣) .

وأما غزوة الحندق (سنة ٥ هـ) فيرجع سببها الى أن بعض اليهود

المسلمون يوزعون جنودهم فيها كانوا يفتحونه من الولايات — كوردية والعراق
ومصر — على المعاقل الهامة . كذلك كان الحال في الأميرة السورية الفارسية

قد تقضوا الخلف الذي كان بينهم وبين الرسول ، ثم خرجوا إلى مكة فدعوا
قريشا إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدهم أن يكونوا معهم
حتى يقضوا عليه وعلى دعوته . ثم جاءوا غطفان فدعوه إلى مثل ما دعوا
أهل مكة . فلما سمع الرسول بما أجمعوا عليه أمرهم ، حفر الخندق حول
المدينة وتحصن وراءه هو وأصحابه للدفاع عن أنفسهم ، ثم صد عليه الغلاة
والسلام إلى المدينة فأسل إليهم من أوقع الخلاف بينهم ، فمادوا فدرجهم
راضين من الغلبة بالأياب (ورد الله الذين كفروا بقبضهم لم ينالوا حيرا وكفى
الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) (ابن هشام ج ٣ ص ٦٨ — ٧٠) .
وأما بنو قريظة فأنظف فيهم شدة ، فانهم ساعدوا الأحزاب حتى جمعوا
الرسول في شدة مواقف الحرج .

وأما فتح مكة فيرجع إلى تقض قريش ما كان بينها وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلح الحديبية (سنة ٦ هـ) . ففي السنة السادسة للهجرة
خرج النبي عليه الصلاة والسلام بالحجرة في ألف وأربعمائة من المسلمين ،
فوقف القرشيون في طريقه على مقربة من مكة . ثم دارت المفاوضات بين
المسلمين والقرشيين الذين خشوا بأس المسلمين ، وطلب القرشيون الصلح على
أن تعقد بين الفريقين هدنة أمدها عشر سنين . على أن أهل مكة لم يلبثوا
أن تقضوا هذه الهدنة ، وذلك بمساعدتهم بكرأ على خزاعة المخالفة للرسول .
فاستجارت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فصار إلى مكة في عشرة آلاف .
فلما علم أهلها بتقدمه خرج قدسهم ليلتموا . ولما تم له فتحها عني أهلها
ورغم ما أذاقوه من مصحابة من منوف الاضطهاد .

من كل هذا يشين لنا أن الغرض الأول الذي كان يسعى إليه الرسول
جهده هو نشر الإسلام بكل الوسائل السلمية ، وأن تلك الحروب التي قامت
بينه وبين الكفار داخل جزيرة العرب أو خارجها إنما ابتدأها بها أعداؤه

القديمة وبلاد ميديا وخراسان وغيرها من الولايات التي كانت تخضع لهما
الفتوحات الإسلامية .

وكانت حياة العرب تتفق تمام الاتفاق مع تلك الزعة الخريبة ، فقد كان
محرمًا عليهم ملكية الأرض . وكانوا يعيشون من العطاء (وهو أحر تدفعه
اليهم الحكومة) والمعاون (وهي ضريبة تدفع عيناً عن البلاد المفتوحة)
ثم القنطرة والأشغال التي كان لا بد من القيام بها ، طالما كانت هناك بلاد تفتح
وأقاليم تستغل . ويظهر أن تلك الزعة لم تكن عند العرب في ذلك الوقت ،
فقد كانوا لا يرأون منقسمين إلى قبائل . ولا لغزو فقد كانت حياة البدو
— بما فيها من بؤس وشقاء وحول لا تشاء — والتعريب والأخذ بالثأر —
لا تزال على حالها الأول بين القبائل في شرق البلاد وغربها . ولا سيما في تلك
الفتحات التي كانت تصعب فيها السيطرة المركزية عن فرد الأمن في أصابعه .
وهكذا يعود لنا الاحتلال العربي بوجه عام شعباً يعيش على حساب
شعب آخر . وهذا هو نفس ملاحظته فيون كزيمر فيقول : " كان أهل
الولايات المغلوبة يحرقون ويبعدون ويسمون بدمودون ولا يحمل لهم سوى
الحرب وشن الغارات " . (١) وتبين لنا هذه الكلمات ببيان يكاد يكون قاطعاً
حال السيادة الإسلامية في الأقاليم التي فتحها المسلمون ، على أن المسلمين
طالما كانوا خيراً من غيرهم من " الفتيان " ، ولا شرو من أهل مصرية ومصر ،
الذين أقتل الرومن كاهلهم بالفرائب الفدحة قبل الفتح العربي . لم يقاوموا
الفاحين من العرب مقاومة تذكر . وكذلك كان الحال في سواد العراق الشام
واضمروه " بها اضفواراً " — المزدحان .

(١) *Cat. des manuscrits de l'Orient*, I, 171

وتوجد نفس هذه الفكرة في إحدى خطب عمر بن الخطاب — الطبري

٢٧٦٩ : ٣ وما يليه .

(٢) Van Berchem, *La Propriété territoriale et l'impôt foncier sous les premiers khalifes*, p. 25 .

وقد احتفظ المسلمون بالنظام القديم الذي سته عمر لجباية الضرائب وأقاموا على جبايتها موظفين من أهالي تلك البلاد . ولم تكن الضرائب التي فرضها عمر فادحة على مذهب اليه بعض المؤرخين . وهذا إلى ما كانت تقوم به الحكومة العربية من بناء الطرق وحفر الترع وتوسيد الأمن وما إلى ذلك من دروب الإصلاح .

وينبغي أن لا يفوتنا أن الفتح العربي على حاله هذه . وإن كان معقولا في بادئ الأمر . فقد كان لزاما أن يصبح غير محتمل لهم لا قدره . كان يوجب به من الشرط الجديدة التي كان يقتضيها ذلك الفتح نفسه . فغلطة الفاتحين من العرب دني ، وعلى رأسهم الخلفاء ، هي تلك الحقيقة . وإذا قصدنا للتدليل على أن السيادة العربية لم تبق بغير مطلقا المذهب التي أخضعها ، فلكي تبين أن العرب قد أبوا في الوقت الملائم قبول التطورات التي كانت تقتضيها حال تلك الولايات .

• أرض الدولة (الأملاك الأميرية) والخرصة المقارية (الخراج) في عهد خلفاء الراشدين •

هذا بخلاف ما جمع عليه المؤرخون من أن الفتح العربي كان خيرا على أهالي البلاد التي فتحها المسلمون . من ذلك عهد عمر لأهل إيلياء ، وكذلك عهد الصلاح بن عمرو والمقوفس . وقد جرى عمرو بن العاص فحار هذه السياسة في مصر ، فألف بين القبط والمسلمين ، وكتب كتاب الأمان إلى بنيامين بطريق القبط وردده إلى كوسيه بعد أن غلب على البلاد زهاء ثلاث عشرة سنة فراراً من عسف الروم وخمهم ، ومنحه السلطان المطلق لأدارة شئون الكنيسة . ناهيك بامتلاك عمرو حرية المعتقدات الدينية للمصريين وعدم التعرض لهم في عاداتهم وعقائهم على مواضع وفنائهم ولأدمهم ، وما قام به من دروب الإصلاح وتنظيم الإدارة وتنصيب القضاة ورسم الخطة الجبائية الخراج ، إلى العناية بالري مما زاد في ثروة البلاد ورفاهيتها . وقد خفف عمرو

الفتوحات الإسلامية في نظر بني أمية

إن ما أثر عن الفاتحين من العرب في صدر الإسلام ، وإن كان يدل على ما كان عندهم من النزاهة والزهد في حطام الدنيا والاخلال بمصلحة العامة ، فإن الأنانية والجشع لم يلبثا أن وجدا شريقتي التي تفوس العرب واستوليا على قلوبهم لما كان يداهل عليهم من كل ناحية من التعميم والثراء — ذلك الثراء الذي لم يكن مأثوما لهم والذي كان أقرب إلى فساد النفوس منه إلى تهذيب الأخلاق .

في مدينة الكوفة جمعت الأسرات البارزة منذ أوائل الفتح العربي مبالغ ضخمة مما كانت تدره عليهم الغنائم والأعطيات السنوية ، حتى إن

عن المعمرين عبء الضريبة التي أنقلت كاهنهم في عهد الرومان ، وسأوى فيما بين الأهالي . وسار على هذه السياسة من جاء بعده من ولاة المسلمين في هذه البلاد .

سوف أتى ذلك سائفة المؤرخ محمد ، فقد ذكر في صفحة ٣ . أن أهل سورية ومصر ، الذين ثقل الرومان كاهنهم بالضرائب الفادحة قبل الفتح العربي لم يقاوموا الفاتحين من العرب مقاومة تذكر . وكذلك كان الحال في سائر العراق . . . هذا إلى ما كانت تقوم به الحكومة العربية من بناء السارق وحفر الترع وتوطيد الأمن وما إلى ذلك من ضروب الإصلاح .

وإذا كان بعض هذه الشعوب قد شكت يوما من أمرها المسلمين وإنما في ذلك بعد صدر الإسلام الذي يمثل الإسلام تمثيلا صحيحا . وما حدث بعد ذلك انحصار من الحطام ، يترجع إلى سيرة الأمراء لا إلى مبادئ الإسلام نفسه — المرحوم .

كوفيا رحل إلى الحرب ومعه أكثر من ألف رجل حاشيته ومشاعه (١) . وكان الصحابة أنفسهم يملكون الضياع والنفوس والثروات الكبيرة ، أضف إلى ذلك ما كانوا يمنحونه من المنح العظيمة (٢) . وكان من أثر ذلك أن تار أبو ذر في بلاد الشام ودنا الأغنياء ودوى البسار إلى الغزول عن جزء من ممتلكاتهم (٣) .

وإذا ما كان يقشو الترف وينتشر الفساد تاركاً وراءه الكثير من الحاسن الجديده والباطل من مذات الحياة الملهمة . وكانت الاستدانة هي الوسيلة المفضلة لاشباع تلك الحاسن (٤) . تلك الوسيلة التي مهدت السبيل لقيام المتمردين كما كانت الحال في رومة . ومن ثم كانت الثورة ضرورية لارضاء جميع الدائنين . ولا غرو فبكنية ما كانت تعدد ذريعة للاستيلاء على ما في بيت المال من الأموال (٥) .

على أنه كانت هناك وسيلة أخرى وأشرف من ذلك كثير . وهي الغزوات وشن الغارات على الكفار . وإذا ما كان الدافع على ذلك هو زرع الولاء والقواد أكثر من الرغبة في نشر الدين ، كما يظهر لنا ذلك في بلاد حراسان خاصة .

(١) الطبري ٢ : ١٨٠٦ س ٨ وما يليه .

(٢) المسعودي : مروج الذهب (حاشية : Harbier de Meynar)

ج ٤ من ٦٥٣ وما يليها . Weh, Geschichte der Khalifen, I .

Von Kremer, Gesch. d. herrschendenh. o. P. 230, 52, 106

Web, I. 170, Von Kremer I. 1. p. (٣) الطبري ١ : ٢٨٥٨ .

ibid. Hud. ann. 13

(٤) الطبري ١ : ٢٧٥٥ س ١٢ وما يليه (٢٨١١ س ١٦ وما يليه) ،

٢ : ١٠٢٧ (س ١٢ وما يليه) ١١٨٩ (س ٢ وما يليه) ، البعقري (حاشية

Houtsma) ٢ : ٢٨١ : ٣٠٠٤ وما يليها .

(٥) الطبري ٢ : ١٠٢٨ (١٨) ١٠٢٩ (٤) .

وقد عقد معظم البلاد المناخنة لتلك الولايات - طبرستان وبلخارستان وبلاد ماوراء النهر - المحالفات مع المسلمين منذ الصدر الأول للدولة الأموية. وكانت هذه المحالفات تسكن لهم حرية الدين وتنتجهم الاستمتاع بشئ من الاستقلال كما كانت تعرض عليهم ضريبة مقررة. وما لا ريب فيه أن هؤلاء الكفار كثيراً ما كانوا يخرجون عن تلك المعاهدات مما كان يضطر المسلمين إلى شن الغارات عليهم من جديد وتخريب بلادهم وسبي نساءهم. ودالما كانت تغرق الغنائم (بعد استيلاء بيت المال على الخمس) بعض الثاقبين فيشنون الغارات على بعض الولايات قبل أن يعينوا الحرب عليها. يؤيد ذلك ما كتبه البلاذري (١) عن حرب جرجان وخراسان. وأما ما يسميه مؤرخو العرب فتوح يزيد فلم تسكن في الواقع إلا عمرة من تلك الحملات التي يجرد بها قطاع الطرق عن البلاد الآمنة لمخاضة تلك الفتوح التي أسقط ما ارتكبه فيها من القسوة والفساد الثموب التي لم تكن تشهد غير السلم.

وفيما حدث لعمرفند مثلاً حياً. فقد فتحت تلك المدينة أبوابها لعمد ابن عثمان بعد أن أبرمت بينه وبينها معاهدة ودفعت له سبعة ألف درهم كما قدمت إليه مائة ألف من سكانها رهاً (٢). ثم استولى عليها فتية بن مسلم فمردأهاها واحتلت جنوده مساكنها - كما روى ذلك مؤرخو العرب - على الرغم من أن سكان هذه المدينة لم يخرجوا عن تلك المعاهدة التي كانت بينهم وبين عمدة بن عثمان (٣). ولما ارتقى عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة شكاه أهل عمرفند إليه تلك الحالة الجارية. فأمر أحد قضاته بالنظر في هذه المسألة.

(١) فتوح البلاذري (تأليف دي غويو De Goye) ص ٣٣٤ وما يليها.

الطبري ٢ : ١٣١٧ وما يليها.

(٢) الطبري ٢ : ١٢٤٦ و ١٢٤٥ (ص ١٨).

Cf. Neshakhi, Description de Bokhara, ed. Schefer, p. 48. (٣)

et suiv.

فقضى بينهم بحكم يكاد يخفى ما انطوى عليه من الظلم حتى عرّض أشد الناس
نزاهة، وذلك أن يتقابل الفريقان من العرب ومن أهل سمرقند تحت أسوار
المدينة، وأن يؤخذوا بالقوة أو أن تعقد معهم محالفة جديدة، ومعنى ذلك
أنه إذا انتصر العرب (وهو ما كان راجحاً، فإن سكان سمرقند كانوا
لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم في أسوارهم) دأبوا أهل سمرقند بمعاملة من
فتحت بلادهم عنوة أنهم لا إذا قضوا قبول ما عسى أن يفرض العرب عليهم
من الشروط. ومن الجلي أن حكم ذلك القاضي لم يغير تلك الحالة في شيء^(١)
وتبين لنا تلك الحوادث الكثيرة^(٢) فكرة العرب ورؤسائهم عن مهمتهم
في الشرق. فقد كان كل واحد منهم يجعل نصب عينيه مصلحة الشخصية
قبل كل شيء. أما الإسلام والعمل على نشره فقد مثل أمراً ثانوياً. من ذلك
أن يزيد بن المهلب لم يفتح ولاية بلاد العراق التي كانت لا تقبل بحمايته، ولم يفتح
في ولاية خراسان لما عساه أن تدره عليه من الثروات الضخمة والأموال
الكثيرة. وقد أشد أحد الشعراء عند وفاة المهلب بن أبي صفرة:

ألا ذهب الغزو المقرب مخفى ومن السني والجود بعد المهلب^(٣)
ولا غرو فقد كان - جاء ذلك النبي (المهلب) وبذخه عظيمين، حتى إنه
على الرغم من تجريدته من جميع ممتلكاته حين اعتزل الأندلس، مثل مدينتي
لبيت المال بليون درهم، دفع منها مائتي ألف - ثمن ما باعته من مجوهرات
ومنفولات زوجته - ثم سدد عنه أحد موالي أسرته (وكان دأباً في بيت

(١) الطبري ٢: ١٣٦٤، البلاذري من ٤٢٠ و ٤٢٢.

(٢) تشير أيضاً إلى المراجع التالية ليرجع إليها القارئ إذا أراد:

البلاذري من ٤١٨ (موسى بن خازم وأعلى ترمذ)، الطبري ٢: ١٧٩.

(٣) (س ١٧٤، ١٦) البلاذري من ٤٢٠ و ٤٢٢. Schiefel, Ghos.

tomahis Persane, I. p.28

(٣) الطبري ٢: ١٣٥١

المال) ثلثائة ألف دينار . وأما ما بقي فقد أداه عنه محم والى مدينة إصطخر
في ذلك (١) . وبلغ ما كان يحتاجه قس يزيد بن المهلب ستة ملايين من الدراهم
لم يستوف الحجاج منها سوى ثلثائة ألف (٢) .

من تلك المثل نرى أن ما كان يحتاجه الخلفاء أو أشد من البساطة
في العيش قد تغير تمام التغير في عهد من أتى بعدهم من خلفاء بني أمية .
وليس من العدل أن نشبه الأمويين وحدهم بذلك في الوقت الذي كان أبناء
هؤلاء أرجال الذين تم على أيديهم فتح القادسية واليرموك متأثرين بنفس
هذه التربة التي تأثروا بها ، إذ لا يمكن أن يكون هناك ثمة أثر عكسي لتلك التغيرات .
وسلك ما حدث فعلاً . و في التاريخ ما كتبه المسمودي عن النتائج الضخمة
لتلك الفتح ، تلك العبارة التي تعتمد فريدة في بابها . وقد ظهر أثر ذلك
لأول مرة في عهد عثمان بن عفان ، مما حدا بذلك المؤرخ العربي القزويني أن
يقول : « ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب ، بل كانت مدة واضحة
ومؤثرة بينة . فأين عمر نحن ذكركم وأين هو عما وصفنا (٣) » .

وقد فعل رندي (أمير سحستان) يوم الأحمدي : « ما فعل قوم كانوا
يأتون خماسي البطلون - وود التوحيد من الصلاة بمائة يوم » . فقد
كانوا أوفى منك عهداً وأشد تأميراً كنتم أحسن وجوهاً (٤) .

ومع هذا فقد كان الأمويون يشارون بماله وولاتهم من بين أولئك

(١) شعري ٢ : ١٠٣٤

(٢) شرحه ٢ : ١٢١٣

(٣) المسمودي (مروج الذهب) ج ٢ ص ٢٥٥ / لا ٢٥٠ كما ذكر
المؤلف وما يليها .

(٤) يعني جبالاً .

(٥) البلاذري ص ٤٠٠ وما يليها .

المعبد في النعمة والرفعة . والذين تعودوا الاستمتاع بما في الحياة من عبث وطور دون أن يدوروا عناء العمل ومشقته .

لذلك لا ندهش إذا كانت الروح التي سادت في عهد بني أمية ووحا غير دينية . ولي تموزنا الأدلة على صحة ما تقول . فقد كان في الحملات التي جردوها والقارات التي شنوها في الكفار أكبر شاهد على صحة ما ذهبنا إليه . حتى عانيت بعد ذلك أن تعرض لتلك الروح التي كانت تسيطر على النظام الإداري في الولايات الإسلامية في عهد بني أمية .

الخزاج

لم ينقل نظام الضرائب الذي سسه عمر بن الخطاب كاهن الأهالي عن ما ذهب إليه الأستاذ فون كريمر (Von Kriemer) . وقد أضاف إلى ذلك أن الذي كان يسمى أهان السواد (١) وزيد في حلقهم إنما هي الضريبة التي كان يسكنها عمال الخزاج في حيازة تلك الأموال . يبين لنا هذا أيضا ما حدث في مصر . فقد كانت خزائنها مليئة من الدراهم (٢) في ولاية عمرو بن العاص . ولم يستفد الخزاج أن يبلغ أربعة ملايين من الدراهم (٣) في

وبعزى إلى دينار أمير المؤمنين مثل هذا الرشي عن العرب وقيمهم ليرشوة .
الخطري ١ : ٢٦٣١ (ص ١٧ وما يليه) .

Stiefenge mit dem gebiete des Islams, p. 19 (١)

٢ : قد أخذت طاق فورت في نقله عن البلاذري . فشكل ما ذكره البلاذري أن عمرا « حتى خزاج مصر وجزيرتها إلى ألف وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة آلاف ألف . والمردجها هنا الدنانير دون الدراهم . فقد ذكر البلاذري في مكان آخر أن عمرو بن العاص ومنع الخزاج على مصر فجعل على كل جريب ديناراً وتلاثة رادب طعاماً وعلى رأس كل حاكم دينارين » .

ولاية خلفه (١). ويتضح من ذلك أن عمر بن الخطاب لم يضع نظاماً ثابتاً لتلك الضرائب . ويرى فون كيرمر أن خراج مصر إنما زاد هذه الزيادة على أثر تعديل الجزية يجعلها أربعة دنانير بدلاً من دينارين (٢) . ولا أدري أين ذكر هذا التعديل . على أن ما ذكره البلاذري يفسر لنا ذلك حيث يقول : « قال عثمان لعمر بن الخطاب بعصر بعدك قد دبت ألبانها » . فقال عمرو « لأنك أعفتم أولادها » .

وكان الحال أسوأ من ذلك بكثير في عهد بني أمية . إذ لم يكن لإمام في نظر هؤلاء الخلفاء ولا في نظر ولاية الأقاليم أن يراعوا التواضع التي فرضها أسلافهم . وقد كتب معاوية إلى وردان واليه على مصر « أن زد على كل امرئ من النصف غير ما » . فكتب إليه وردان : كيف أزيد عليهم وفي عهدك أن لا يزد عليهم (٣) .

على أن ما ذكره البلاذري بعهد التمديق ، إذ لو حصصنا جزيرة الروم من مليوناً اقتضى أن يكون عدد من فرضت عليهم الجزية خمسمائة ألف إذا فرضنا أن من فرضت عليهم الجزية كانوا ربع السكان . ولا غرو أن الجزية لم تفرض إلا على البالغين دون الصبيان والنساء والامهات .

وأبعد من هذا ما ذكره ابن عبد الحكم (فتوح مصر من ٧٨) من أن عدد من ضرت عليهم الجزية من المصريين في عهد عمرو بن العاص كان ثمانية آلاف ألف (٨٠٠٠٠٠) . وعلى ذلك يكون عدد سكان مصر ٣٢ مليون نسمة . وهو غير معقول . إذ لو كان هذا العدد صحيحاً لكانت جزيرة الروم وحدها ١٦ مليون . ونحن نعلم أن الألف لم يروا المقرري (الخلفاء ج ١ من ٩٩ - ١٠٠) من أن خراج مصر بلغ في ولاية عمرو بن العاص ١٢ مليون من الدنانير . في ذلك جزية الروم - المترجماني .

(١) البلاذري من ١١٦ و ٢١٨ .

Culturgeschichte, I - ٥١

(٢)

Von Hammer - Peltz die

(٣) البلاذري من ٢١٧ :

ومن هذا يتبين لنا أن الأمويين كانوا يتجاوزون حدود الضرائب التي فرضتها النظم القديمة . ولم يكن الخان ببلاد اليمن خير من ذلك . فقد ارتكب فيها أحد أخوة الحجاج شراً أنواع الجور والفساد . فكان يصادر أملاك الأهالي وأموالهم ، كما أنار حنتهم وسحقهم بفرضه عليهم ضريبة معينة (وظيفة) ، وذلك عدا العشر الذي قرره الإسلام^(١) . وإن حدوث هذا في ولاية عربية محضة له معناه ، فهو يبين لنا أن الحالة كانت أسوأ من ذلك بكثير في البلاد التي فتحها العرب . وقد اعتاد حياة الخراج في بلاد فارس تقوم بالحاصل قبل زمن الحصاد وإزعام المزارعين على الثروة لهم عنها شمس أقل من الثمن الذي يتبايع به الناس^(٢) . وإن ما ورد من التفاصيل في كتاب الخراج لأبي يوسف ليكشف لنا عن نظام الإدارة ببلاد الجزيرة في عهد بني أمية . فقد

Landesverwertung unter dem Khalifat, p. 83 (ouv. Karabagochi, das Arabische Papia (Mithel) and Papia (Luz, Rome I, 1901

الطبري ١ : ٢٥٨٤ ، كان يكتب الخلفاء الأمويون إلى ولايتهم ، يحرمون هذه البلاد قد فتحت عبوة وقت أهلها أرقه ، بالحكومة الحق و أن تزيد في مقدار الجزية المفروضة عليهم ، وأن تعاقبهم كما تريد . انظر أيضاً .

Dozy, Histoire des Musulmans d'Espagne, I, 234

(١) البلاذري ص ٧٣

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات ١ : 242 (1718) .
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة باليمن أن عمالك يحرمون (الخرس الحرز وهو الشجر أو الحسك بالنخل) الثمار على أهلها ثم يقومونها بسعر دون سعر الناس الذين يتبايعون به في بلادهم قرية (القرف القشر . وقرف الخبز ما ينقشر منه ويبقى في الثمر . وقرف الأرض ما ينقطع منها مع البقول والعروق وحاء الشجر . والمزاد أخذ شيء بقيمة نافعة) على قيمتهم التي قوموها ، وأن موافق من الأكراد يأخذون "عشر من الطريق .

أضاف زياد بن نغم الصهرى وإلى هذه البلاد في عهد عمر بن الخطاب من تلقاء نفسه ديناراً فوق الضريبة المقررة التي كانت تؤخذ عينا (١). على أن ذلك لم يكف لسد جوع الصعاليك بن عبد الرحمن وإلى هذه البلاد في عهد عبد الملك. فقد أمر بعمل أحشاء جديد يسكن عامة، وكلف كل شخص بسداد ما فرض عليه من الضريبة. ومعنى ذلك أن كل فرد كان ملزماً بأن يبين قيمة كسبه من ثلث الداء. فترك الواوئ ثم الكسوة والغذاء وبعض النفقات الضرورية. ثم استولى على ما بقي باسم بيت المال. وكان من أثر ذلك أن زادت حصة كل شخص ثلاثة دراهم عما كانت عليه من قبل (٢). كذلك كان الحال في بلاد العراق حيث كانت تؤيد الضرائب الاستثنائية في عبء ما كان يشتمل الأهالي من الضرائب المقررة. وقد أمر عمر بن عبد العزيز جبلة الخراج أن لا يأخذوا من الأهالي من الدراهم ما زاد وزنه عن أربعة عشر فيراماً (٣). وهو ما أمر به عمر بن الخطاب وقد رأى أن العرب كانوا يأخذون دواهم أثقل وزناً من تلك الدراهم التي فرضها الخليفة الثاني مما كان يزيد زيادة ماحقة في الضرائب التي كان يدفعها الأهالي. ويدين لنا من ذلك النظام الذي أقروا عمر بن الخطاب أن الأهالي كانوا يدفعون عدا الضريبة المقررة ثلث النفقات والتعود وضربها وكذا ثلث النفقات الرسمية ومرتبات

(١) كتاب الخراج (طبعة بولاق سنة ١٣٠٢ هـ) ص ٢٣ (في النهاية).
وتؤخذ من قول أبي يوسف: فلم يبلغنى أن هذا على صلح ولا على أمر أمته
ولا برواية عن الخلفاء ولا بسناد ثابت، أن النظام الذي أدخله عمر لم يتناول
بلاد الجزيرة كما ذهب إلى ذلك فون كرىمر (Culturgeschichte, I. P. 60).
(٢) كتاب الخراج (ص ٢٣).
(٣) شرحه ص ٤٩ والطبري ٢: ١٣٦٦ و Fragmentalhistoriarum و

نحوال الإدارة . هذا عدا هدايا النيروز والمهرجان التي لم تلبث أن أصبحت عينا على عبء^(١) .

على أن تلك الأموال المقررة والضرائب الاستثنائية . وبني أتقلت كاهل أهالي البلاد المغلوبة . لم تكن وحدها كل ما في النظام الإداري من نقص . ذات النظام الذي لم يكن يرمي إلا إلى غاية واحدة هي حياة الأموال . فقد كان ثمة ما هو أدهى من ذلك وأخطر . ذلك هو ما عرف عن هؤلاء العمال من الخيانة والعبث بأموال الدولة وبيع بيت المال وانفاقه الأموال عن سعة — تلك المثالب التي لا تقل خطورة عما تقدم . ولا غرو فقد كانت تتخذ مرة بعدى الولايات وسيلة للحصول على الثروة وجمع المال من باب غير شريف . يدل على ذلك أيضا ما شاع على الألسن في تلك الولايات « أكل ولاية أو خفيها كما تحب الساقه » — تلك العبارة التي مانا كانت تشتمل بدلالة على ذلك المنصب^(٢) .

وماننا قدمت الشكايات الكثيرة منذ أيام عمر بن الخطاب سيد الولاة وعمال الخراج الذين كانوا يجمعون لأموال أنفسهم باسم الدولة . وقد نقل لنا البلاذري (ص ٣٨٤) قصيدة غاية في القرابة بينهم فيها صاحبها عددا كبيرا من الخافقين وحكام الرساتيق والمدن في خوزستان وهرس وميديا الذين كانوا — كما يقول — « يبيعون مال الله في الأدم الوفير » . تذكر منها هذا البيت :

تؤوب ذا أمرا وتغزوا ذا غزوا فأنى لهم وفر ولستنا أولى وفر
وقما كانت يجد الولاة عناء في إخفاء خيانتهم واختلاسهم . فترى بعض الحكام في أواخر عهدهم بالولاية يفتنون من الخليفة أن يعفى من كان

(١) انبغوني ج ٢ ص ٢٥٨ وما يليها ، الطبري ٢ : ٦٥ (ص ٩) ، ١٦٣٦ ،

ابن الاثير ج ٣ ص ٩٩

(٢) الطبري ٢ : ١٠٢٩ (ص ٢٦) ، البلاذري ص ٩٤ ، ٢١٦ ، ٤١٤

تحت إشرافهم من الموظفين من أن يقدموا بياناً دقيقاً عما جمعوه من الأموال أثناء ولايتهم لتلك الأقاليم^(١). وقد سن عمر بن الخطاب نظاماً ملافاً تلك المثالب الإدارية، فوضع نظاماً «المقاسمة»^(٢) وذلك بعض احصاء دقيق لتروة الولاية قبل توليهم ثم إزمجه عند اعتزالهم أئما هو يدفع نصف الأموال التي جمعوها أثناء ولايتهم والتي لا تسمح به روايتهم^(٣). وعلى هذا رد معاوية إلى بيت المال نصف التروة التي جمعها، لينصف له الباقي^(٤). وقد تبع معاوية مع موظفيه نفس هذه الطريقة (المقاسمة) عند مدول الخلافة^(٥). ولم يكن الرؤساء وحدهم الذين يفرون على حساب بيت المال، فقد كان هناك فائضة من مقدار الموظفين لا يمكن إلا أن تتركها بحتلان أموال الدولة وحاجتهم كل ما يصلح أن أيديهم. وكان من أثر تلك الصعوبات التي كانت تعترض الحكومة في سبيل استرداد تلك الأموال أن فكر واثي المراق (عبيد الله بن زياد) في استبدال أولئك العمال من العرب بغيرهم من الفرس. ومن ذلك الحين كان يعهد إلى الدهاقين (كبار ملاك الأراضي من هؤلاء) بحماية الخراج. ولا غرو فقد كان هؤلاء الدهاقين «أبصر بحماية وأوفى بالأمانة»^(٦). غير أن بعض الموظفين قد استمتع بازغف من ذلك جمع التروات الضخمة، إذ كانوا يضعون الأموال التي يجمعونها أمانة عند أسدقهم أو ذوي قرباهم. وكان بعض الولاة من ذوي المآثر الشخصية في الإبقاء على

(١) الطبري ٢ : ٦٩.

(٢) البلاذري من ٨٢ و ٢١٧ و ٣٨٥ : الطبري ١ : ٢٨٦ : ٤.

وقد تسكلم البيهقي (ج ٢ من ١٨١) عن بعض نواحي الضعف في هذا النظام.

(٣) الطبري ٢ : ٢٠٢ (س ٦ وما يليه).

(٤) البيهقي ج ٢ من ٢٦٤.

(٥) الطبري ٢ : ٤٥٨ و ٤٩٥ (س ١٩).

بعض خلصاتهم في تلك المتناسب الشعبية يعضون أعينهم عن كل ما كان يرتكبه هؤلاء مع الأهلين من حور وعسف (١).

قد يتناقص كيف كان الخلقاء الزائدون يحاولون أن يستردوا إلى بيت المال ولو جزءاً يسيراً من ذلك الأموال التي كان يجمعها العمل ظناً ، أما الأمويون فقد بنوا نظاماً غريباً في الدقة للأشراف على جباية تلك الأموال . في عهد عبد الملك بن مروان كان يعمل تحقيق دقيق مع الجباة وموظفي الخراج عند اغترافهم أموالهم الإدارية ، وكانوا يمدحون حتى يثروا بأسماء من أودعوا عندهم ودائعهم وأموالهم ويردوا إلى بيت المال ما أبوه من الأموال ، وهو ما يسمى بالـ « خراج أو النكشيف » (٢) . وكان التحقيق مع هؤلاء أما كن حصة تسمى « دار الخراج » ، وكان ذلك التحقيق لا يثبت أن يتجاوز الحدود المقررة ويندو من ذر ورائل الأحسد بالثأر والانتقام الشعب . ذلك الانتقام الذي كان يعبه عليهم حتى أولئك العمل المستبدون وبعضهم نخوة ونهبهم المال . وقد عم الفساد في آخر عهد بني أمية ، حتى كان أول ما يقوم به نوابي من الأعمال حسن سائقه ومن إليه من الموظفين والعسائير والأتباع ، ثم جلاق من حبسهم ودين عليهم ذلك نوابي السابق ، وكان خالد بن عبد الله القسري ووالي العراق يتناول راتباً سنوياً قدره ٢٠ مليوناً من الدراهم . فيما كان ما يخلت يتجاوز المائة مليون . وقد حده يوسف بن عمر هو وثلاثة وخمسين من موظفيه . وبذلك استطاع أن

(١) راجع أيضاً ما ذكره أبو يوسف من المعلومات الطريفة في كتاب الخراج من ٦١ (س ١٦ وما يليه) .

(٢) الطبري ٣ : ٥٠٢ : انقذ القريد (طبعة القاهرة سنة ١٢٩٣) ج ١ ص ١٧٩ وج ٣ ص ١٣ . وتدل كل من كلمة « توظيف » (اليعقوبي ج ٢ ص ٣٨٨) وكلمة « استيفاء » (الطبري ٢ : ١٤٦٠) على شيء واحد .

يتردد منه أكثر من ٧٠ مليوناً (١).

كل هذه الأموال الكثيرة والثروات الضخمة تحمل الإنسان على أن يبحث عن الوسائل والطرق التي جمعت بها ، كما أنها تسهل عليه في الوقت نفسه إدراك النتائج السيئة لذلك النظام الذي كان متبعاً في جباية الخراج . كانت الموفقون وعمال الخراج ، الذين لا يرتابون فيما يتقربهم عند اغترابهم أعمالهم والذين لم يريدوا أن يدعوا تلك التركة للأثراء وجميع الأموال الضخمة تمر بهم دون أن ينتهزوها ، لا يترددون في أن يرهقوا الأهالي وينقلوم بأنواع الضرائب المختلفة . وهكذا كانوا يستطيحون وقت التحقيق منهم أن يؤدوا إلى الحكومة جزءاً من تلك الأموال ليغيب لهم الاستمتاع بجزء كبير من تلك الثروات التي كسبوها . وثما لا ريب فيه أن عبء تلك الجور الذي كان يتراد من حين إلى آخر إنما كان يقع على كاهل تلك الشعوب المقهورة عن أمرها ، التي فيما كانت تصل شكايها إلى السلطة المركزية للحكومة (٢) ، والتي كانت تجني منها تلك الأموال بكل وسائل المصنف والتعذيب .

وكانت الطريقة التي تجني بها هذه الأموال مخجلة على ما ذكره الفقهاء . في اليوم المحدد لجباية تلك الأموال كان يذهب المطالبون بها إلى ديوان الخراج حيث يجلس عامل الخراج على أريكة عالية ، ثم يشهد إليه هؤلاء أذلاء صميمين ، فيمدوا واحد منهم يده التي يعمل فيها الدورية فيدفعها بحيث تكون يد عامل الخراج فوق يده . ثم يعضه بعض الخاضعين صفة يشيعه بها إلى الباب . وكان عامة الشعب يحضرون تلك المنابر التي كانوا يعشرونها

(١) الشيرازي ٢ : ١٥٨١ و ١٧٦٤ و ١٨٤١ ؛ يعقوبي ج ٢ ص ٣٥٥

(٢) يرجع إلى الشيرازي (٢ : ١٣٥٤ أو الملحق رقم ٣) لمعرفة أعمال

السفراء الذين كانوا يوفدون إلى مقر الخلافة ليستجيب تلك الشكايات .

وَمَرَأَ لَا تَتَعَارُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكُفَارِ (١).

وأما من عجز عن تأدية الخراج فكان الحياة يسلكون معه بعض وسائل التعذيب . من ذلك تعريضه بمشمس المحرقة ، ذلك التعذيب الذي كان يضاعف أحيانا بصب الزيت على الشخص الممذب .

وكانوا يزموهم بحمل بعض الحجارة أو جرار الماء في رقابهم ، كما كانوا يوقنونهم على قدم واحدة ساعات طويلة ثم يوثقونهم بحيث لا يستطيعون السجود للصلاة (٢). وفي بلاد ماوراء النهر كان يدع عمال الخراج الدهاقين في النهر نازعين عنهم ثيابهم ثم يرمونهم برؤسهم في وجوههم (٣) X .

(١) Karabueck, das Arabische, P. 87

(٢) كتاب الخراج ص ١٨ و ٦١ و ٧٠ و ٧١

(٣) النظر الطبرى ٢ : ١٥١٠

X نشتك كثيراً في صحة ما نقله فان فتون عن كتاب karabueck, das Arabische Papier, p. 87 فيما يتعلق بالعرفنة التي كان يجبي بها المسلمون الخراج . والذي يغلب على الظن أن هذا مذكور من على فقهاء المسلمين ، لا سيما وأنه لم يذكر لنا المرجع العربي الذي أخذ عنه صاحب هذا الكتاب .

على أن هذا على فرض صحته لا ينهض دليلاً على ما ذهب إليه فان فتون ، إذ أن ما ذكره لم يمس أن يكون رأياً من آراء بعض الفقهاء . ولم تكن أقوال الفقهاء وآراء المشرعين في يوم من الأيام حجة للحكم على شعب من الشعوب بحكم من الأحكام ، وإنما يعتمد على الحوادث الجزئية والأمنلة التاريخية في تقدير تلك الآراء والحكم بصحتها . وقد أدلى المؤلف برأيه أعزل من كل دليل معطلا من كل حجة ، إذ لم يذكر لنا عادة معينة تدل على أن المسلمين كانوا يجبون الأموال من أهالي البلاد التي فتحوها على هذا النحو . ولا نعوزنا المثل الصحيحة على قساد ذلك الرأي ، ولاغرو فان كتب الحديث حافلة بالنهي عن المثلة والمطف على الضعفاء والفقير بالحيوان بله الانسان .

أضف الى ذلك وصايا الخلفاء الراشدين لأمرأه الجند . من ذلك وصية

حالة الموالي السياسية والاجتماعية

أخشي أن يتمنى القارى حين أقدم له تلك العودة السوداء لحكم بنى أمية بأننى أحول أن أمتق تلك المثل التى أتينا على ذكرها عن جميع الاقاليم التى كانت تحت سلطان الأمويين . أو على الأقل سيرة عهد بنى أمية . على أن ما ذكرته من نفس وعيب فى حكم الأمويين لا يمكن استعراضها لتلك الحوادث التى تروىها لنا المصادر التى اعتمدنا عليها . ومع ذلك فلا مندوحة من التسليم بصفة هاتين الملاحظتين : (١) لا نعلم إلا الجزء اليسير مما نزل بالشعوب المحكومة من أمه وحيف وغل التسخيم بمראה المصادر العربية وعدم تحيزها فيما يتعلق بحالة تلك الشعوب (٢) لا تروى لنا تلك المصادر معهم كان ناقصاً ومضيقاً به يرد رأى الذى ذهبنا اليه ، وذلك بتأييدها الحكم الذى ذكرناه آتفاً عن بنى أمية وحكمهم : ذلك أن المسألة لم تصبح بعد فى إطار مسألة دنيا دينية بل مسألة شيم وتخريب ينشوبه شئ من النظام . ولكن قد يتساءل المرء : ألم تكن ثمة وسيلة لمن فرس عنهم الحزبة يتفادون بها ذلك الخراج وتلك الضرائب ؟ ألم تكن هناك تلك الوسيلة

أبى بكر الصديق لأسماء بن زيد وجنده عند رحيلهم الى الشام (الطبرى ج ٣ ص ٢١٣) : يا أيها الناس اقفوا أوصكم بمشرا حفظوها عنى ، لا تخونوا ولا تقفوا (تخونوا) ولا تغدروا ولا تقتلوا ولا تقنوا متغلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة . ولا تعقروا ثمل ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة منيرة ولا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كره . وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له .

كذلك عهد عمر لأهل إيلياء (الطبرى ج ٤ ص ١٥٩) . انظر ص ٨٠٧

بها من هذا الكتاب — المترجمان .

الفذة ، وهي خروج المفكرين عن أملاكهم العقارية واعتناقهم الاسلام
والانضمامهم إلى صفوف الناجحين من العرب بشؤونهم تلك الغنائم التي كانوا
يدفعونها اليهم من قبل ^(١).

بلى ! وذلك ما فطن له واستغله منذ لحظة الأولى معظم الدهاقين وهم
ملاك الأراضي من العرب ، وقد أكسبهم ما كان لهم من السيادة أيام حكمهم
الأولى نفوذاً كبيراً على أربابها من صفاد الزواجر ، ومن ثم لم يلبث هؤلاء
أن أسندت اليهم المناصب الإدارية هامة وحماية الأموال الأميرية ،
وذلك بفضل ما كان لهم من معرفة تامة بثلث البلاد وحمل أهلها ، ولذلك
أصبح هؤلاء الدهاقين بمثابة الحكومة ، تتخذ منهم الخواصين والمفكرين
السياسين ^(٢) . وهكذا احتضنت مائة النبل لأفصاحين من أهل فارس بما
بقى لهم من سلطان باعتناقهم لاسلام . كما جموع الثروات الضخمة وتمتعوا
بنفوذ كبير وذلك باستشارهم بحماية الخراج ^(٣).

نرى علينا أن نبين حال الطبقة الدنيا من هؤلاء الذين كان يسميهم
مؤرخو العرب المالوج . وفي ما كتبه مؤرخون لم يدع في نفس القارى
شكاً في حالة هؤلاء ، فإن اعتناقهم الاسلام لم يأت لهم بخير ، اللهم الا ذلك
الأمل الضائع والفشل المر ، فقد وقف ضلع العرب وكبرياؤهم ثم لم يهجم
ونهمهم عقبة كأداء في سبيل إصلاح ذات العنصر المضمهد رغم اعتناقه
الاسلام . وهذا ما تعرض له ، بادئين بذكر الحالة الاجتماعية لأولئك الجدد
في الاسلام أولاد معقبين عن ذلك الكلام عن حقوقهم السياسية .

أما أولى تلك المسائل فسوف لا يصعب علينا معالجتها ، وذلك بفضل

(١) الطبري ٤ : ٤٩٢

(٢) Von Kremer, Streifz. geogr. ١٤ et ١٥٠ n. ٤. (٣)

البحوث التي قام بها كل من الأستاذين فون كريمر وجولدزير^(١)، لا يخفى أن المسلمين من غير العرب قد أحقوا منذ اعتناقهم الاسلام ببعض القبائل العربية على أن يكونوا موالى لتلك القبائل، ومن ذلك الحين ترى أن حالة الموالى التي كان لا يشوبها أية شائبة من شوائب الخسة أو الانحطاط قد عدت على النقيض من ذلك منذ اللحظة التي ابتداءً يزيد فيها عدد من فرحت عليهم الجزية من أولئك الموالى زيادة كبيرة. هذا إلى ما كان من احتقار العرب الذين كانوا لا يحترمون سوى مهنة الحرب أولئك الموالى واعتبارهم أبناء مائة متعفة لا تكاد تختلف عن مائة الرقيق في شيء، وذلك لامتناعهم منقبات العمل التي نفا منها هؤلاء، وزدادتهم تلك المهن التي كانوا يزاولونها، وليس بعيداً — عن ما يظهر — أن يكون لما في كلمة مولى من معنى — تلك السكامة التي مائت كانت تطلق أيضاً على الرقيق المعشق — أثر كبير في احتقار العرب لتلك الطائفة، ولا غرو فقد شاع عند العرب إطلاق لفظ عبد أو رقيق على المولى^(٢). كما كانوا يعدون ذلك نادونهم بالقبائل دون أسماهم كما ينادون الرقيق^(٣)، وبذلك ما أرادوا الزواج فلم يكن يدمن الزواج إلى أسيادهم الذين كان لهم حق المعارضة في تلك العقود، وكانوا يعزل عن باقي الجيش، هم رؤساؤهم المأخوذ بهم، وكذلك لا يبعد أنهم كانوا

(١) Von Kremer, Culturgeschichte II, 154 su v. ;

Streifzuger, p. 15 suiv. ; Goldziher, Islamische

Studien, I, 104 suiv.

(٢) كتاب الألفاني ج ٥ ص ١٥٥ : الطبري ٢ : ١٨٤ ;

Mokaddim, p. 152

Dozy, Histoire Musulmans d'Espagne, II, 72 ; I.

ليس من المحقق أن ما ورد في الطبري ٢ : ١٨٦ : ١١ ص ١٨٨ ;

١٢٣ (ص ٥) له أية علاقة بالموالى .

(٣) العقد التريدي ج ٢ ص ٩٠ .

بمخاربون راجلين (١). وكانوا يقيمون بأحده الأماكن وأردنيا في الاجتماعات ولا يدخلون مساحة العرب : إذ كانت لهم مساجد خاصة بهم x x .
 حبنا تلك المثل النافعة فأنها وحدها تكفي لأن نعدنا بفكرة واضحة عن حالة أولئك المواق الاجتماعية . ونحيل القارى المتعطر للاستفادة في هذا الموضوع ان مؤلفات الاساذين فون كرينر وجولدت تزيهر التي أشرنا اليها قبل . ونسعى الآن في استقضاء حالتهم السياسية لنبين أن جور الحكومة معهم قد انتهى ان عده اعترافها لهم بشئ من الحقوق التي كانت لأخوانهم من العرب . ولا يفوتنا أن نذكر أن النظام الذي أقره عمر ، والذي يحده القارى في كتاب (فتوح البلدان) لابلاذرى ص ٢٦١ :
 Von krenet. Gutturgeschichte. I. 197 arab.
 دون اسمه في سجلات الحكومة (الديوان) مكافأة سنوية عن خدماته الحربية (وهى المضاء) : عدا ما كان يمنحه من الاجر (فريضة) لآبائه . لا فرق في ذلك بين العرب والموالي .

على أن هناك أمرا آخر جديرا بالملاحظة : ذلك أن عدد هؤلاء لم يكن كبيرا في عهد هذا الخليفة . لذلك أصبح المضاء وقتا على الدهاقين الذين

(١) الطبرى ٢ : ١٩٢٠ (ص ٤) . قال أمير خراسان لأحمد العرب من حاشيته : « وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يفتحهم أعناقهم ويحلبهم في الرجالة » . ويظهر أن هذا كان خاصا بالدميين (أنظر مقدمة كتاب البلاذرى والطبرى ٢ : ١٢٥٢ (٤) ، والعقد الفريد ج ٢ ص ٩٢ وما يليها) . ويقلب على شئ أن الجند الرجالة لم يكونوا غير الموالى أنفسهم .

Opkomst der Abbasiden. pp 98-105 (u 1)

x x هذه مسألة قومية بحثة لا دخل لمدن فيها . ولا غرو فقد دعا الاسلام إلى المساواة بين جميع المسلمين لا فرق بين عربى ومولى وإحلال العصبية الدينية محل العصبية القومية مع المترجمان .

ساعدوا العرب في فتوحاتهم (١). ويمكننا أن نستخلص مما ذكره البلاذري أن العرب في ذلك الوقت لم يكن يحفظهم أن يقاسمهم غيرهم ممن دخلوا في الاسلام من غير العرب نصيبهم من الغنائم (٢). وقد ذكر اليعقوبي أن عليا وحده هو الذي تملك بالقواعد القديمة (٣). ولا نعلم تمام العلم إلى أي حد اتبع الأمويون الطريقة التي خطها عمر فيما يتعلق بالأعطيات السنوية. على أنه لا مندوحة من أن تفرض ذلك الفرض، وهو أنهم قد أنقصوا نقصا كبيرا أعملية هؤلاء الذين باءوا بسخطهم (كالموليين مثلا) كما استبدوا بما في بيت المال من الاموال يبدونها لأفراد أسرهم (٤). ومع ذلك فقد كان الأمويون على جانب كبير من الحكمة وبعد النظر لتلافي ما عساه يجره عليهم ذلك النظام الذي كان يفضي بنقص عطائ رعاياهم من العرب عن القدر الذي قرره لهم عمر بن الخطاب. ولا غرو فقد عرفوا سلطان المال على النفوس. وسرى إلى أي حد كانوا يحسنون استخدامه ويشترون به حبة خبثهم. أما الموالى فكانوا على العكس من ذلك. فقد زاد عددهم في المدن، وبخاصة في بلاد العراق، للأسباب التي سنذكرها. كانت البلاد التي يفتحها العرب غنوة (كسواد العراق كله تقريبا وكذا سورية ومصر) لتصبح وقفا على المسلمين. فكان الأهالي (الرداع) يفتنون في زراعتها على أن يقدموا للمناحين جزءا من الفلة ضريبة عقارية (خراج). بينما كانوا يستمتعون بحرية التدين وحماية المسلمين لهم نظير مبلغ معين يدفع عن رأس كل فرد يسمى جزية (وهي الضريبة الشخصية) (٥). وكانوا يمدون من تلك الجزية إذا اعتنقوا

(١) البلاذري ص ٤٧ في النهاية.

(٢) شرحه ص ٥٧ : (٣).

(٣) اليعقوبي ج ٢ ص ٢١٣.

(٤) الطبري ٢ : ٤٣٤ و ١٠٢٠ (١١).

Von kremer, Gesch. der herrsch. Idee v. p. 336 suiv. 393 suiv.

(٥) يجب ألا تخلط بين هذه الضريبة المصاة جزية الرؤوس وبين الخراج

الأسلام مع يقاضهم على دفع الخراج (١). ومن ثم لا ندهش أن ترى الملم
الغفير منهم يفضل ترك ما يملكه من الأوس والرحيل إلى المدن والأقاليم بها
جنباً لجنب مع العرب ليعاونهم إذا ما طلبوا مساعدتهم، ولا سيما بعد وقوعنا
على ما كان في نظام الخراج وحياتنا من سوء ونقص.

وكان زاماً أن تعرف تلك المشكلة. مشكلة توزيع أجور تلك النجيدات
الجديدة. ومن السهل علينا أن ندرك في أي حد كانت تختلف وجهة نظر
كل من العرب والموالي فيما يتعلق بهذه الأجور بقدر ما كان هناك من
التعارض بين مصالح كل من الفريقين. أما العرب فأنهم لم يروا أن يقاضهم
الموالي ثمرات ما يفتحونه من البلاد تلك المقاسمة التي كانت تنقص نصيبهم
منها تقصداً محسوساً. وأما الموالى فكانوا على العكس من ذلك يزعمون أن
العطاء إنما هو حق لجميع المسلمين (٢).

وقد ظهر أثر ذلك لأول مرة في الثورة التي أنزلها المختار في عهد
مروان الأول بعد أن سمن مساعدة المعتصمين العرب والمادسي من أهل
الكوفة. وما ندهش له نقص العرب الذين اشتركوا في تلك الثورة
تقصداً مفرداً. بقدر ما كان يزيد عدد الموالى الذين استألفهم إليه زعيم
تلك الثورة زيادة كبيرة بما كان يدره عليهم من العطاء. ولا غرو فإنه
لم يكن فيما أحدث المختار شيئاً هو أعظم عليهم من أن يروا
المختار يمنع الموالى نصيبهم من الفبي (٣) هو المال الذي يدره عليهم
البلاد التي كانوا يفتحونها (٤). وماذا كانوا يقولون له: «عمدت إلى
موالينا، وهم في أماننا علينا، وهذه البلاد جميعاً. فأعطينا رقابهم

وهو الجزية العقارية كما سبقت الإشارة إليه (٥) — من ١٥ من الترجمة

Van Berchem, op. cit. 35

(١)

(٢) الطبري ٢ : ١٣٥٤

نأمل الاجر في ذلك والثواب والشكر ، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم
شركاءنا في قتلنا ١١١

وليس أدل على شعور العرب نحو غير من الشعوب الأخرى من تلك
العقيدة التي كانوا يذنبون بها ، وهي أن أملاك الأجانب وأرضهم ثمن
لتركهم لهم حرية البقاء على وثنيتهم ، كما أنها جزاء من الله للمؤمنين منهم ، ولم
يكن بد من أن ينتهي هذا الزعم بتعصب الشعب العربي لبني جنسه وتشبثه
بأرحميه وأفضليته على من سواه من العناصر الأخرى ، ولم يرض الانحياز
من العرب الذين لم يكن بد من أن تنتهي مهمتهم بمجرد اعتناق الشعوب
المغلوبة للإسلام أن يتركوا ثمرات فتوحاتهم ، وكان لذلك أسوأ الأثر لاسيما
في أيام الحجاج وإلى العراق من قبل عبد الملك ثم من قبل الوليد ، ذلك
أنوال الذي اشتهر بالقوة والشدة ،

ولقد شغل ازدياد دخول هؤلاء في الإسلام ، ولا سيما أولئك الذين
ظهرت فيهم روح التمرد في ثورة الحنابلة على الحكومة في نفس الوقت الذي
تدهورت فيه مالياتها بسبب محمد بن كعب من الولايات أيام الحجاج الذي
اختاره بلائع دمشق لملاح الأمازيغ في بلاد العراق ،

وتتلخص سياسة ذلك الأمير الجديد في هذه السمات : يجب أن تعود
بلاد العراق — عهد معارضة التي قام بها أنوال — ممكلاً ناجيوس العربية
كما كانت من قبل ، وهكذا ينظر أنوال الذين كانوا يتظلمون إلى مساواتهم
مساواة عامة بأحوالهم في الدين من العرب تعود إلى أرضهم ودفعهم الجزية
كما كانوا يدفعونها من قبل ،

وبما لمدينون أيضا للأمازيغ فوق كريمة تلك المعلومات عن ذلك الحادث

(١) الطبري ٣ : ٦٥٠ وما يليها .

الهام في تاريخ الدولة العربية . ولا بد أن يكون القارى قد وقف على ذلك في كتابه *«Culturgeschichte des Orients»* (١) ورأى كيف استطاع الحجاج أن يرغم هؤلاء الخدد في الإسلام على دفع الضريبة التي كان يدفعها الكفار ثم تلك المقاومة العنيفة التي قاموا بها الحجاج بانضمامهم الى صفوف عبد الرحمن بن الأشعث الذي أشعل نار الثورة على بنى أمية . وقد أخذ تلك الثورة ما أريق فيها من أمواج الدماء الثلاثة . ولكن ترد الحكومة هؤلاء الموالي الى واجبههم نحو الفاتحين وتسد في وجههم كل أمل في تحسين حالهم . فردهم وأرسلتهم الى قراهم بعد أن وثقت أسمائهم على أيديهم .

وقد روى لنا مؤرخو العرب نتائج تلك السياسة القاسية التي كان الغرض منها العودة بنظام الفرائد الى ما كان عليه من قبل . فقد أجمع هؤلاء على القول بأن بلاد العراق كانت بعد الحجاج أسوأ البلاد حالاً (٢) . من ذلك ما ذكره اليمقوني (منحة هو تساج ٢ من ٣٤٨ وما يليها) : « وكان (الحجاج) أول من أخذ بالقذف والضرب وقتل بهما الرجال . وانكسر الخراج في أيامه فلم يحمل كثير منى » . ولم يحمل الحجاج من جميع العراق إلا خمسة وعشرين ألف ألف درهم » (وكان خراجها في عهد معاوية ١٢٠ مليوناً من الدراهم) .

كذلك ما رواه الطبري (٢ : ١٣٠٦) من « أن يزيد (بن المهلب) نظر ،

(١) ١ من ١٧٢

(٢) ويؤكد المقارنة بين هذه الأرقام وبين الأرقام التي نقلها لنا ابن خردادبة (منحة دي غوية) من ١١ . فإن هذه المبالغ وإن كانت صحيحة فيما يتعلق بالسراد فقط ، فإن الأرقام التي نقلها ابن خردادبة تكشف لنا عن حالة البلاد بعد الحجاج . ومع ذلك فإني لا أعلق أهمية كبيرة على تلك المبالغ بقدر ما أعلق على الملاحظات التي بدأها المؤرخون عنها .

لما ولاه سليمان (بن عبد الملك) ما ولاد من أمر العراق ، في أمر نفسه فقال
إن العراق قد أخرجها الحجاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق . ومتى قدمتها
وأخذت الناس بالخراج وعذبته عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس
وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عاها الله منها .

وفد ورد في كتاب *Fragmenta Historiarum Arabicorum*

(cf. p. 33) p. 17 : قد حاول سليمان بن عبد الملك معاجلة الخلة السيئة التي
جرتها سياسة الحجاج . ولا غرو فقد رست في الأذهان فكرة سيئة عن
حكومة الوليد بسبب تلك الشدة والقسوة التي ارتكبها واليه والتي كانت
نتيجة جدد البلاد وفقرها .

ومن القدير علينا أن ندرك أن تلك العبارات قد صدرت من نفوس
أشربت قليلا أو كثيرا روح العداء لحكم الحجاج ، وأنها قد لا تصور حالة
البلاد إلا بعد الحرب الداخلية مباشرة ، تلك الحرب التي أشعل نارها ابن
الأشعث ، والتي كان يرتبط بمصيرها حياة العرش الأموي أو موته . ولكن
هل نستطيع أن ننكر بعد ذلك أن تلك الحرب لم يكن لها من الخطر ما كان
لها ببلاد العراق لو لم يشترك فيها ضحايا ذلك النظام الإداري ممن أدهقهم
الضرائب الفادحة . حتى آخر قطرة من دماهم ؟

فالحجاج وإن لم تقع عليه تبعة تلك الحروب وخراب ذلك الأقليم ،
فهو على الأقل مسئول عن نتيجة تلك الحرب . ولعل معترضا يعترض على
بأن الحجاج لم يكن في كل ذلك إلا وزير بلاط دمشق ، وأن سيادة المنعمر
العربي غير من العاصم الأجنبية لتتفق مع مصالح الدولة الأموية وسياساتها ،
لا سيما وأنها هي التي وضعت أساس تلك السياسة .

أما أنا فمأ كوني آخر من لا يعترف بصحة ذلك الاعتراض . ولكن
ليسمح لي القارئ أن أجيب عنه بذلك الجواب ، وهو أن ذوال حكم بني
أمية قد أصبح محنوما منذ اللحظة التي برهنت فيها الحوادث على أن النظام

الذي كان ينشبت به الأمويون لم يكن ثمة ما يبرر بقاءه .
ويظهر أن ذلك هو ما عنده فون كزيمر حين تكلم عن الخطة التي سلكها
الحجاج لتقمع الثورة التي قام بها الموالي . إذ يقول إن تلك الخطة ورن قننت
على آمال الموالي واجدد في الاسلام ومنهم في مساواتهم بالشعب الحاكم ،
فقد كان سخط هؤلاء المضعفين . إذا مادقنا البحث في استقصاء الأسباب
التي انتهت بسقوط الدولة الأموية — هو السبب الذي يعمل عليه .
Stroblzüge, P. 25, cf. Hirsch, Id., P. 134) . وسيظهر لنا مقدار صحة
هذا الرأي عند دراسة الحالة في خراسان .

الحالة في خراسان

لم يبق ببلاد خراسان عند وصول العرب إليها سوى عناقطة من الولايات
الصغيرة لارتبطها حكومة مركزية تدير شؤونها ، ولا سيما بعد التقلبات التي
مرت بها هي والولايات الأخرى في آسيا الصغرى ثم الحكومات التي تعاقبت
عليها وبخاصة أسرات البكتريان (Baktrians) وشعوب الأندوسكيث
(Chion-Seythe) وعارات الخيبيين أو الهون البيض (Huns on Huns)
(X X + blancs) .

وكان السواد الأعظم من سكان تلك البلاد من أصل آري ، أقوياء البنية
عراض العنود والكثيفة الشعر ، وذلك رمز القوة وشدة اليأس ، مما استرعى
انجذاب الجغرافيين من العرب . ولم يكن يختلف ذلك الشعب اختلافاً جوهرياً
عن ذلك الجنس الذي يسميه الرحلة الفخدون باسم جييك (Jaijik) (١) . وقد
X بلاد آسيا القديمة ، إحدى موطن لايرانيين الذين يعيشون الآن
ببلاد التركستان وبلاد فارس ، وحاضرتها بكتريا — المترجمان .

X X من شعوب البرابرة القديمة . وهم نزل من سكان شمالي شرق
أوروبا وشمالي غرب آسيا — المترجمان .

(١) أنظر المقالين الثمينين كتبنا عن Persio, Oxus في دائرة المعارف

أطلق ذلك الاسم في الأصل على العرب ("Ard-e" — tazi — tadjik) ، غير أن علماء وصف الشعوب قد اتفقوا على أن التيجيك (Les Tadjik) ، فضلا عن بعدهم عن أن يكونوا ساميين ، فإنهم من جنس آري قد امتزج بالدم الطوراني (١) .

وكان سكان بلاد خراسان الأصليين من هؤلاء التيجيكين ، وأما الطبقة التي كانت لها السيادة فكانت منبقة الدهاقين . وهم ملاك الأرض والزراع من الفرس ، وكانوا يتمتعون بنفوذ كبير وبخاصة في بلاد موزاء النهر حيث كانوا يملكون الضياع الواسعة . أما البعارة الخوذة ، أو أمراء بخارى فهم في الأصل من منبقة الدهاقين (٢) . وكانت الدهقان في هرات تحكم بجانب أمير أجنبي (٣) ، كما كان مركز الأشراف من كبار ملاك الأرض يختلف باختلاف الأحوال التي تحيط بهم . وكان الدهقان — على مذهب نلدكه (Nöldeke) (٤) — لا يكاد يعدو أحياء أن يكون من بسماء الفلاحين . كما كان في بعض الأحيان من منبقة الأشراف الذين يتكونون بلاداً (رساتين) برمتها . وكان يحكم ذلك الشعب أمراء مختلفون من الأشراف الافغانيين القدامى

البريطانية (Encyclopaedia Britannica) وما كتبه مسيو Specht في المجلة الآسيوية الفرنسية ، ونلدكه Nöldeke في كتابه Geschichte der Perser und Araber, p. 115 (n. 21) p. 17 (n. 5) (Journal Asiatique, 1883, t. II, p. 317 suiv.)

من سكان فارس وتركستان من الجنس الآري ، وبحول مليوني نسمة — المترجمان

(١) Khanikoff, Ethnographie de la Perse, p. 87 suiv.

(٢) Quatrefages et Hamy, Grand Ethnogr. p. 503.

(٣) Nerchakhi, Description de Bokhara (ed. Schaefer), p. 6.

(٤) الظهري ٢ : ١٦٣٦

(٤) Geschichte der Perser und Araber, p. 440

في بعض الأمبراطوريات الواسعة الأرجاء الذين ظالموا كانت تتم ألقابهم عن
أصلهم التركي أو المنغولي (١). أما زبان القشغ المربي فانتا نجد من أمراء سيجستان
وتبيل (Botbil) (٢). ومن أمراء سمجان وروب (Simindjan et Roub)
(الروبخان Roubkhan) (٣)، ومن جوزجان (Jouze-djan) (٤)،
ومن الخزر (khazac) (سيفري) (٥)، ومن أمراء الخذل (khatal)
(البل) (Al - Sabal) (٦)، ومن بدغيس (Badghis) ودهخارستان
(Takharestan) (جيفوية) (Djighoyeh) : الدند (dand) ووزك
طرخان (Nizak tarkhan) (٧)، ومن تروند (تدام Badham) (٨) ومن
الطالقان سرك (Sarkak) (٩). ومن القرياب (Parayab) (توسك)
(Tousik) (١٠). ومن بلاد ما وراء النهر : السغد وسمرقند (ترخون

(١) الأسماء الآتية مقولة عن تاريخ الطبري، ويمكن اعتبارها نكلة

لما ذكره ابن خردادبه (طبعة دي غويه) ص ٢٨

(٢) الطبري ٢ : ١٠٣٦، وابن خردادبه ص ٢٩

(٣) شرحه ٢ : ١٢١٩

(٤) شرحه ٢ : ١٢٠٦

(٥) شرحه ٢ : ١٢٤٨

(٦) الطبري ٢ : ١٠٤٠ و ١٢٢٤. وهو من القاب الشرف (عند الصينيين)

(٧) كان جيفوية ملكا. وكان يقيم بالقرب منه أحد أشراف الصين

ويلقب بلقب شيد (وبالصينية شتر Chis - sha). وأما ترك ترخان من

أتباع ملك تخزستان فكان يقيم في بدغيس.

(٨) الطبري ٢ : ١٢٠٦

(٩) شرحه

(١٠) شرحه

Tarkhoun (١) وغوزك (Ghawzak) (٢) ، ومن فرغانة X (بخشيد وألتار
 (Ikhchidh. al - tar) (٣) . ومن أمراء كي (ترك خاقان) (٤) ومن أمراء
 كشي (ويك Wik) (٥) ، ومن شومان (فيلسنب / أو غيميلستان) (٦) . وفي
 كابل كان يقيم كابل شاه (٧) ، بينما كان يحتفظ مرازمة أمراء منووية آل
 ساسان بمراكز مستقلة في مرو و مرو رود و سرخس و منوس و هراة X X
 وقوهستان ، كما كان يحكم بلخ بصبيذ Ispahbadi (٨) . وقد قبل معظم
 أولئك الأقبال سيادة العرب دون كبير مقاومة ، كما نراه يبادرون إلى
 اعتناق الاسلام (كما فعل دهافين العراق) ويعيشون في سلم ووثام مع
 قيرهم من أشراف العرب . وكذلك أصبحوا (مع غنى النفر عن الاستثناءات

(١) الطبري ٣ : ١١٤٦

(٢) شرحه ٢ : ١٢٢٩

وفقد ذكرها المؤلف غوزك ، Ghuzak ، والصحيح غوزك — المترجمان
 : ذكرها المؤلف فرغانة (Forghana) ، وضبطها فرغانة بفتح الفاء
 ومد اللين — المترجمان .

(٣) الطبري ٢ : ١٢٢٢ و ١٢٢٠

(٤) شرحه ٢ : ١٤٢٢

Tork Khakhan في الأصل والصحيح Tork Khakhan — المترجمان .

(٥) الطبري ٢ : ١٢٢٨

في الأصل كشي Kesh والصحيح كس كما في الطبري — المترجمان

(٦) الطبري ٢ : ١٢٢٧

(٧) شرحه ٢ : ١٢٠٦

كبولشاه في الأصل وضبطها كابل شاه — المترجمان .

X X في الأصل هراة بكر الهاء والصحيح بفتحها كما ورد في معجم
 البلدان لباقوت — المترجمان .

(٨) الطبري ٢ : ١٢٠٦ ، ١٢١٨

التي لا مناص منها) محل ثقة الأمراء من العرب وأصدقاء النابيين منهم. وكانوا يساعدون جيوش المسلمين منذ الأواك من بلاد ما وراء النهر، كما كانوا يحتفون بالزُهاء من العرب احتفاء كبيراً، فكانوا يستقبلونهم في قصورهم ويتسلطونهم بتلك الهدايا الثمينة التي كانوا يقدمونها إليهم في عيد رأس السنة وفي احتفال المهرجان^(١).

ومع ذلك في السير علينا أن ندرك أنه كان وراء مظاهر تلك الخفاوة وتلك الهدايا ما وراءها. لذلك لاندعش — بعد أن وقفنا على ما كانت عليه الإدارة العربية — من أن نرى أنشراح هذه البلاد ينتفعون من تلك الفتوحات بأقوالهم بالزيادة وعمال الخراج وإثرائهم على حساب الرعايا. ولا يمكن مجرد إلقاء القبض على الكثيرين منهم هو كل ما نفعه عن هذه الناحية، فإن ما ذكره الرشدي في كتابه «وصف بخاري» يبين لنا ذلك الأمر بآيات واضحة. ولا غرو فقد أدنى البنا بعبارة قيمة تكمل ما رواه الطبري تسكيلاً لم تكن نتوقه. فقد روى الطبري عند كلامه على حوادث سنة ١٢٩ هـ أن اثنين من الدهاقين قتلوا تغشادة أمير بخاري وعمل الخراج من قبل العرب في ذلك الأقليم^(٢) في حاضرة نصر بن سيار نفسه دون أن يذكر لنا شيئاً عن أسباب ذلك المدون.

وبن القاري ما ذكره الرشدي تفه عن كتاب *Chrestomathie* persane, tome 1, p. 14 et p. 95 sur l'édition

(1) Schefer.

كان نصر بن سيار يخل تغشادة من نفسه محلاً رقيقاً. ولا غرو فقد أقطمه إحدى ضياعه ثم زوجه إحدى بناته. وقد جاء تغشادة لزيارة نصر بن سيار في قسطنطينة فلم يكده يستقر به المقام حتى حضر اثنين من الدهاقين

(١) الطبري ٢: ١١٧٥ و ١٢٢٨ (١١) و ١٢٤٤ (١٠) و ١٢٤٨ (١٣) وما يليه

(٢) شرحه ٢: ١٦٩٣ وما يليها.

من أسرة تغشادة وموليا المثلوث بين يدي نصر . وكان يمت كل من هذين إلى أسرة ذات نفوذ عظيم ، وقد اعتنقا الإسلام على يد نصر بن سيار . فلما أصبحا يحضرته تظلموا اليه من استبداد تغشادة ، قائلين إنه استولى على أملاكهما بالقوة . وكان عامل بخاري واصل بن عمرو حاضراً ، فطلب الدهقانان من نصر أن يتوسطهما منه أيضاً بعد أن اتفعا باشتراكه مع تغشادة في الاستيلاء على أملاك الغير ظلماً وعدواناً . هذه هي الأسباب التي حلت هذين الرجلين على هذا الانتقام القاسي ، كما كانت في الوقت نفسه السبب الذي من أجله اقتضيت تلك الوقائع من رواية الطبري .

وهل نعمة بعد ذلك ما يمنحنا من الاعتقاد بأن هذه الحال لم تقتصر على إقليم بخاري ، وأنه لو كان بين أيدينا الكثير من مثل تلك الأخبار لأمدتنا بأكثر مما رواه لنا الطبري عن حال الكثير من الولايات الإسلامية ، ومهما يكن من شيء فقد شاعت الأقدار أن يأتيها ذلك النور من بلاد ماوراء النهر خاصة ، ذات النور الذي أمان لنا انتقام عن نتائج الفتح العربي . ولا غرو فقد وقعت فيها هذه الحوادث التي أمدتنا بها تلك المصادر .

وبالرغم من أن المسلمين من العرب كانوا يفتقون من جميع الفرائب ويقدمون الغنائم ، فإن الخراسانيين لم يستطيحوا التدخل من عبث تلك الفرائب رغم اعتناقهم الإسلام . إذ كانوا لا يرثون بدفعونها كما كان يدفعها أهل بلاد العراق .

وكانت تسمى الضريبة التي تحبى من الخراسانيين تارة بالجزية وتارة بالخراج (١) . ومن اليسير علينا أن نستنتج من ذلك أنه لم يكن في تلك البلاد سوى ضريبة واحدة كانت تدفع نقداً . يؤيد هذا ما ذكره الطبري

(١) وقد وردت هذه الاصطلاحات مختلطة بعضها ببعض . الطبري : ٢

(٢ : ١٥٠٧) « خراج خراسان على رؤوس الرجال » ، ثم ما دواهم اليعقوبي

(مطبعة هوتسا Houtsma ج ١ من ٢٠٧) « وخراجهم على رؤوس الرجال

يوجبون على كل رجل بالغ جزية » (١) .

ولا يفوتنا أن نذكر أن أمراء كور تلك الولاية في اختلافها قد عقدوا

معاهدات السلم مع العرب حين فتحوا بلادهم على أن يدفعوا لهم جزية سنوية

مدينة . وكانت تلك الجزية موزعة على الأهالي ، يشرف على جبايتها بعض

عمال الحكومة مع أحد الدهاقين أو مع غيره من حكام الولايات (٢) . وكان

يشفق ما ينبغي من الضرائب على تمويل جيوش الاحتلال . ومن ثم لم يكن يد

من أن يتبرع ببقاء الجند في الاسلام من الجزية ذات التعارض الشديد بين

هاذين المصنحين : أولاً - مصلحة الحكومة (مسئولية الحاكم) التي

لا تستطيع أن تنهض من دفع أرواق الجند ، ثانياً - مصلحة أمير البلاد

الذي كان يحتفظ لنفسه بما كان يزيد على الجزية من الضرائب الاستثنائية ،

وكذلك كان الحال ببلاد العراق . وقد اضطرت الحكومة - لكي ترضى

المرابطين من جنود العرب الذين كان يزيد عددهم على التوالي - إلى فرض

الجزية على الأهالي رغم اعتناقهم الاسلام . وهكذا كان بعض الولايات الذين

من مصالحهم زيادة دخل البلاد لا يستقيمون أن يروا ذلك التمدح المطرد

الذي كان يضادفه الاسلام من قلوب الأهالي بدون أن يتأجل لذلك نفوسهم

ويعلق له بالهم . ولتأيد تلك الحقيقة التاريخية نذكر ما قرأه شبت عن هاتين

(١) وترجع هذه الطريقة في جباية الخراج إلى عهد لا كاسرة (الطبري) :

(٢٣٧٩) « وسائر السواد ذمة » وأخذوهم بخراج كسرى على رؤوس الرجال

على ما في أيديهم من الخصة والأموال » .

Van Bertchem. La Propriété territoriale et l'impôt foncier (٢)

p. ٢٢٥ suiv.

أنظر ملحق ١ الموقوف على المعلومات الخاصة بمرو .

المحاولتين الشين كان يتعهد بهما تحمين حال أولئك المحدثين في الاسلام ، ثم
تخصص الفعل التالي لشرح الأسباب التي حملت على ذلك .

كان عمر بن عبد العزيز أول من أمر من خلفاء بني أمية الجراح ، عامله
على بلاد خراسان ، أن يضع عن أسلم الجزية التي كان يدفعها الكفار . ومن
المرن جداً أن تنبأ بتناجح تلك السياسة الجديدة .

وكان من أثر ذلك ازدياد اعتناق الناس للاسلام بينما زعم إيراد بيت
المال نقداً موسماً^(١) . وقد اشترط بعض الولاد لتعماد في ذلك الخطر الثاني
وحفظ شيء من القرآن . على أن ذلك لم يجد نقماً . ومن ثم كان زمام المود
في فرض الجزية كما كانت من قبل أو فقد ثمار ما فتحة المسمون من البلاد .
ويظهر أن عمر بن عبد العزيز قد فعل في أحد التناجح التي عداها أن تمر
إليها تلك السياسة . لذلك لم يتقهز أمرها ، كما لم يرد في أن يأمر المسلمين
بالجلاء عن بلاد ما وراء النهر^(٢) . أبعد أنه يظهر لنا أن الخاند لم ينعوا بأمر ذلك
الجلاء ، كما كان ملتبساً أن يبادر الخلاء بعد موت عمر بفرض ضرائب أكثر
فداحة لسد ذلك النقص الذي جرته . ياسته . يدل على ذلك ما رواه الطبري^(٣)
عن هجرة الكثيرين من الأعداء من بلاد ما وراء النهر في عهد من وليها بعد
الجراح . وقد انتهت في الحرب منذ ذلك الحين في تلك البلاد ، ولم يحفظ
المسلمون إلا بالقلاع والحصون بعد أن أحلوا الأعداء الذين ملبوا مساعدة
الأتراك لهم . عن سواد بلاد ما وراء النهر .

وأما المحاولة الثانية للحسين حال أولئك الموانى فكانت بعد - مع - تين ،
وذلك في خلافة هشام بن عبد الملك . وكان أول من فكر في إهمالهم الملقب
بالكامل وإلى تلك البلاد . ليضع حداً لتلك الحرب التي خربت المدين

(١) الطبري ١٣٥٤ : ٣

(٢) شرحه ١٣٦٥ : ٢

(٣) شرحه ١٤١٨ : ٢ و ١٤٣٩ وما يليها .

الجميلة الواقعة على الشاطئ المقابل لنهر سيحون . وناطدينون الغيري
(٣ : ١٥٠٧ وما يليها) بما رواه لنا عن سياسة ذلك الأمير . فقد قال
أشرس يوماً لمن حوله : « يغفوني رجلا له ورجع وفضل أوجهه إلى ما وراء
النهر فيدعوهم إلى الاسلام » ، فأشاروا عليه بأنني السيد صالح بن مريد
مولى بني ضبة . ولما كان هذا لا يعرف الفارسية ألحق به الربيع بن خروان
القمي مترجماً له . وقد شخص أبو السيد إلى سمرقند ، حين أذن له أشرس
برفع الجزية عن أهل ، ثم طلب من أصحابه أن يمينوه إذا ما أتت جبهة الخراج
الممل وفق سياسة الوالي الجديدة .

وكان يقيم غوزك أمير الهند في سمرقند ومعه عامل الخراج حسن بن أبي
المعركة ، وكان هذا رجلاً نزيهاً يخالف الكثيرين من مواطنيه في انفراسهم
إلى الفسقات الاسلامية ، كما كان لا يداخى نفسه في أن هذا الناح لم يكن
(في حفيظة الأمر) إلا أعداء ليس يدين فيه سوى عيب شليل جداً (١) .
وقد بلغت جهود أبي السيد صالح بن مريد في إبداء الأمر ما كانت ترجوه
من النجاح بمعاونة ذلك العامل . فتدبراد اعتناق الناس للإسلام . وبنيت المساجد
على أثر دخولهم في هذا الدين أقوا . بيد أن هذا النجاح قد منازق الأمير
غوزك الذي كان يرى في ذلك نقصاً في دخله هو من ناحية ثم في دخل الحكومة
من ناحية أخرى . وقد أفعى بشي من مخاوفه إلى أشرس ، فكثف هذا
إلى عامل الخراج : « إن في الخراج قوة لغسمين ، وقد بلغني أن أهل السغد
وأشباههم لم يسلموا رغبة وإنما دخلوا في الاسلام تموداً من الجزية . فانظر
من اختل وأقام الترائض وحسن إسلامه وفراً سورة من القرآن فارفع عنه

(١) وهذا ما استنتجته من جوابه حين بلغه أن سبعة آلاف من الأتراك
ستحل بهم الهزيمة مما قريب فقال : « ما أتوا بل ثميناهم وغلبناهم على بلادهم
واستعبدناهم » (الغيري ٢ : ١٤٨٥) . وسرى بعد قليل أنه لم يكن هو
وحده الذي كان يفكر على هذا النحو .

خواجه ٤ . وبذلك فشلت تلك الحركة التي قام بها ذلك الوالي أمام ما أقامه في سبيلها الأمير شوزك من العقبات وما أدنى به من الحجج على فسادها وما تجره على بيت المال من الخراب . ومن ثم عزل ابن أبي الصرمة وولى مكانه هاني بن هاني ٥ ، ثم عين الأشعبي الفارسي مساعداً له .

وكان الغرض من تعيين هذين الرجلين إنما هو القضاء على ما قام به أمير الصيلاء من ضروب الإصلاح . وعلى ذلك لم يجد احتجاج من أسلم من دهاقين بنادي وقولهم لأشرس ٦ ، ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً ٧ ، كما لم يكن احتجاج أبي الصيلاء حيث ، فقد كتب أشرس إلى هاني ٨ ، ثم إلى العهد ٩ ، حذوا الخراج من كنتم تأخذونه ١٠ . لهذا أخذت روح الفتنة تدب في نفوس أولئك الجند في الإسلام بعد أن غابت آمالهم ، بعضهم النابهن من الجند والفقهاء عرباً وموالي . وقد أرسلت الحكومة أحمد القواد فقبض على زعماء تلك الفتنة . وهكذا لم يلبث أن أعقب زعماء المحدثين من الجارية حركة عكسية وسياسة حراجية نارية في الشدة . ولا غرو فقد أصبحت نخبي منهم بالقوة دون أن يراعى في ذلك حتى حارب الصنفاء منهم . ومن السير عينا أن نشأ من مما رواه الطبري (٢ : ١٥٠٨ م ١ — ١٢) أن حركة أشرس لم تقتصر على السند ، بل أن ثنائهما قد ظهرت أيضا في بخاري . وإلى بخاري ما رواه الرشعي (Schefer, Chrestomathie persane, tome 1, p. 42 suiv., p. 58 de l'édition بخاري في عهد ولاية أسد بن عبد الله بن خراسان ١١ ، وحدث الناس عن الدخول

(١) إذا كان هذا المؤرخ لا يوافقنا في رأينا ، إذ نذكر أن الحوادث التي عرضنا لذكرها هنا قد وقعت في إمارة أشرس . فقد ولي أسد بن عبد الله بلاد خراسان مرتين : الأولى من سنة ١٠٦ هـ إلى سنة ١٠٩ هـ والثانية من سنة ١١٧ هـ إلى سنة ١٢٠ هـ . وقد حل محله أشرس سنة ١٠٩ هـ . وليس بعيداً في رأيي أنه قد عزى إليه ما حدث في عهد من خلفه . ولم يعرض الطبري

في الاسلام . وكان السواد الأعظم من الأميين لا يزال على الكفر ؛ ومن ثم كانوا يدفعون جزية الروس . وقد احتفظ بخوارخودة نقشادة اقتناع الكثيرين منهم بصحة الاسلام واعتناقهم له . ولا غرو فقد كان لا يزال يبطل الكفر رغم إظهاره الاسلام ، فكتب إلى أسد بن عبد الله أن يبخاري رجلاً بمكر صفو الأمن ويلقى بذور الفتنة ويشق عصا الطاعة . وأن أتباعه يزعمون أنهم مسعودي وليسوا بمغنيين ، ظلمهم لم يسعوا إلا بألسنتهم ، إذ لا تزال عقائدهم القديمة متصلة في نفوسهم . وإنما اتخذوا هذا ذريعة لانارة الثمن في المدينة وإفلاق بال الحكومة وإنصاب بيت المال . وكان من أثر ذلك أن كتب أسد بن عبد الله إلى نائبه مقاتل شريك بن المارث (١) بأمره بالقبض على هؤلاء التوهم ثم اتدبعتهم إلى نقشادة ليرى قيمهم رأيهم . وقد ذكر المؤرخون أن هؤلاء الممد في الاسلام ماؤوا إلى المسجد الجامع يشهدون بآتي أدواتهم أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

لذكر تلك المحاولة التي كان يراد بها تحويل بلاد ما وراء النهر إلى الاسلام في إمارة أسد . وأما الأحبار التي نقلها الترحي في مختصره الذي بين أيدينا فإنه يغلب عليها الخطأ سواء فيما يتعلق بالأسماء والتواريخ . وهالك مثلين (ص ١٦) : فتح قنينة بن مسلم مدينة بخاري في عهد معاوية (وصحتها الوابد الأول) . وقد غر قنينة نقشادة بخوارخودة تلك المدينة في مركزه ثم أسر أبو مسلم بقتله بمدينة سمرقند في عهد نصر بن كسيرة وإلى خراسان ، وذلك بمساعدة قنينة بسنتين بعد أن ظل في الحكم زهاء العتتين وثلاثين سنة . وعندئذ تكون وفاة قنينة سنة ٩٦ هـ بينما لم يظهر نقوذ أبي مسلم إلا في سنة ١٢٦ هـ . ومدينة وفاة نقشادة بالصيف فهي سنة ١٣١ هـ (ص ٤٣) . وفي سنة ست وخمسين ومائة (٧٧٢ م) مات أسد بن عبد الله بن مروان . ومات أسد سنة ١٢١ هـ وكان جده يزيد .

(١) أنظر كتاب لآنصاب للبلاذري (طبعة Ahlwardt) ص ٣٣٦ وما يليها ، وجزء الاصفهاني (طبعة Gottwaldt) ص ٢٠٨ .

وقد شق بخاراخودة منهم أربعة دون أن يجروا أحد على أن يشفع لهم
ثم استرق من بني منهم وأرسلهم إلى أسد بن عبد الله بخراسان . على أن أحد
من هؤلاء ممن فروا من الموت لم يرتد عن الاسلام ، بل ظلوا جميعاً مؤمنين
به (١) . ثم لم يلبثوا أن عادوا إلى بخارى بعد موت تفضادة .

وقد جاء ما ذكره الترشيحي في الوقت المناسب . فقد صحح رواية الطبري
ومحسبها . ومن ثم أصبح ذا قيمة تاريخية كبيرة . ولا شك في أن ما أمدنا
به الترشيحي لم يكن مصدره سوى تلك المعلومات الموجزة التي رواها لنا
مؤرخو العرب . فإذا كان مؤرخ بخارى (الترشيحي) قد نقل لنا شيئاً عن
إدارة الأمويين ، فإنما روى لنا تلك الحوادث كما تلقاها من أفواه أولئك
الجند في الاسلام أنفسهم وحفظها عنهم . ومما راعى أيضاً عند قراءة
ما رواه هذا المؤرخ تأييده ما ذهبنا إليه من أن سياسة عمر بن عبد العزيز
وأشرس إنما كانت قصر بمصلحة أشرف البلاد وتعميداً لها فقدر
ما كانت تضر ببيت المال . وبذلك فشل هذه السياسة التي كانت ترمي إلى
إصلاح حال الموالي وتحويلهم بالعرب إنما يرجع بادى ذي بدء إلى تلك
المراقيل والعقبات التي وضعتها في سبيلها هؤلاء الأشراف . وعلى ذلك فإنا
نخالف ذلك المؤرخ فيما ذهب إليه من أن الكراهة الدينية هي التي حدثت
بتفضادة أن يقف من هؤلاء الجند في الاسلام ذلك الموقف العدائي . فكل
ما بأيدينا من الشواهد إنما ينم عن استبداد ذلك الأمير الذي كان — رغم
اعتناقه الاسلام — يرى أن تحول دعيته إلى هذا الدين سوف يحرمه من
تلك الوسيلة الفذة لاستئراف أمواتهم . على أن هناك أمراً آخر هو أدهى من

(١) وكل ما هنالك هو أن أسداً منحهم الحرية . انظر الطبري ٢ : ١١٦١
حيث نقرأ سنة ١١٩ هـ . فبعث أسد بجواري الترك إلى دهاقين خراسان
واستغذ من كان في أيديهم من المسلمين . وهذا الذي ذكر قد يظل غير
واضح إذ لم يذكر لنا الترشيحي ما كان يحضى ببخارى في ذلك الحين .

ذلك وأنتى ، ذلك ما رواه لنا هذا المؤرخ ومن سبقه من المؤرخين من انضمام كبار الموظفين من العرب إلى ذلك الأمير ، على الرغم مما كان في ذلك من التضحية بالدعوة إلى الاسلام والوقوف في سبيل نشره .

ومن ثم كان من البديهي أن تقوم العقبات الكثيرة في خراسان وكذا في بلاد العراق في سبيل سياسة عمر . ومن أجل ذلك فاني لا أزال أكرر هذا السؤال : ما هو الداعي إلى هذا الاستعداد الحزنى ؟ لا بد أن يكون الفرض منه إنما هو توطيد احتلاله قد أصبح لا مبرر لوجوده ولا سبباً بعد أن تحول أهالي تلك البلاد المحتلة إلى الاسلام . وبما لا ريب فيه أن ذلك لم يكن رأى الاغلبية من العرب في صدر الاسلام . فهو لاء — كما نعلم — كانوا يدينون بذلك العقيدة ، وهي أن ما يفتنونه من البلاد التي يفتحونها إنما هو ثمرة مشروعة لدفعهم عن الاسلام دون أن يفعلوا لما قد تنشئ اليه تلك العقيدة من التعارض بينها وبين الدعوة إلى الاسلام والعمل على نشره . ومن ثم لاندھن إذا شاهدنا في الولايات الشرقية للدولة الاسلامية قيام حركة شجارها تأويل أحكام الشريعة وتفسيرها تفسيراً أقل حرجاً ومديناً ، تلك الحركة التي كان المقصود منها مناوأة العرب والأمويين جميعاً والتي لم يرد الفاتحون من العرب والأمويين بوجه خاص أن يدعوا لما كانت تدعو اليه من المطالب العادلة وما كانت تشهده من ضرر وب الاصلاح .

سياسة عمر بن عبد العزيز

نحو الموالي وأزما

نحدثنا بعض المصادر الموثوق بها أن الموالي الذين مزدهم الطعاج (أنظار من ١٧ ، من ٤١ — ٤٢ من الترجمة) من البصرة والبلاد المجاورة لها اجتمعوا في بعض المعسكرات فادبوا حظههم قائلين واحداً واحداً : ولا غرو فقد كانوا لا يعلمون أين يذهبون . ومن ثم ترى أهل البصرة ينتحلون المعاذير ليلحقوا

بهؤلاء الموافق ويشاركوا معهم في نفي ما نزل بهم من حيف وظلم^(١). كما يروى لنا مصدر آخر^(٢) أن هؤلاء الرجال من أهل البصرة كانوا من القراء أعني من المشتغلين بدراسة التوحيد . وقد اشتركوا اشتراكا فعليا في ثورة^٣ عبد الرحمن بن الأشعث وأذكوا حماس مواطنيهم بتلك الخطب الحماسية حاملين نيام بني أمية وحكمهم مقاومة جديده . وبنى القاري ما ذكره الطبري في ذلك^(٤) : « فوالله ما أعلم قوماً بنى بسيف الأرض يحمل بظم ولا أجور منهم في الحكم . فليكن لهم البدار . فتلوم ولا تأثموا من قتالهم بنية وريقين ، ونفى آثامهم فتلوم على جورهم في الحكم وتخيرهم في الدين » . فتلك العبارات الثورية تبين لنا جليا أن أولئك القراء كانوا أنفسهم من هؤلاء الذين تحولوا إلى الاسلام والدين حمتهم مناصبتهم بمعدل عن أن يشاركوا مواطنيهم حقهم العار . ومهما يكن من الأمر فالتاريخ يرى أن هؤلاء المضطهدين كانوا يعتمدون بعض الاعتماد على عنف تلك السائقة المحترمة حتى عند أفراد الطبقة الحاكمة نفسها .

ولم يكن أولئك القراء وحدهم الذين كانوا يرفضون النظام الأموي . ففي شمال العراق خرج أحد الأشراف على بني أمية ، وهو مطرف بن المنيرة ابن شعبة الذي ثار في شمال العراق يدعو إلى « الحكم بالحق والمعدل في السيرة »^(٥) . ويحمد القاري تاريخ هذه الثورة في كتاب الأستاذ فايل (Weich. Geschichte der Khoufou , vol. I. p. 422) . ولم يكدهم بحسن الوقت

(١) البلاذري : كتاب الأنساب من ٣٢٦ وما يليها .

(٢) الخبزي ٢ : ١١٢٣ .

(٣) شرحه ٢ : ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ .

نقل المؤلف هذه العبارة عن الطبري ٢ : ١٠٨٦ و ١١١٦ (١٤) ، والواقع أنها وردت في صفحتي ١٠٨٦ و ١٠٨٧ — المترجم .

(٤) الطبري ٢ : ٨٨٠ . الحكم بالحق والمعدل في السيرة .

الذي توثق فيه هذه الحركة أكلها حتى ذهب مطرف ضخمة لها. وعلى الرغم من فشل تلك الحركة الإصلاحية فإن الرغبة في تحقيق ما كانت ترى إليه من الإصلاح كانت لا تزال تحفز الناس على معاودتها من حين إلى آخر. ولا غرو فقد صادفت تلك الحركة نجاحاً كبيراً على يد عمر بن عبد العزيز. وقد أوجع مؤرخو الغرب في الحسنة في هذه الإصلاحات التي قام بها ذلك الخليفة. والتي كان الغرض منها القضاء على مآثم في سبيل انتشار الإسلام من العنقات، وذلك بمنحه الموالى الحقوق التي كان يستمتع بها المسلمون من العرب وحدهم، وإغنائهم من الجزية التي كان يدفعها الكفار ثم مقاسمتهم إخوانهم المسلمين نصيبهم من الاعطيات السنوية^(١). ولا ريب في أن سياسة ذلك الخليفة لم توفق إلا آمالاً لم تستطع الحكومة تنفيذها. فقد كانت الخال تتطلب علماً آخر غير تلك السياسة التي سار عليها عمر بن الخطاب. في العراق أنصبت الاعطيات السنوية بيت المال بعد أن تأثرت موارده تأثيراً محسوساً من جراء إلغاء الجزية في خراسان. وهكذا اعتبت تلك القروض في الشؤون المالية بعد موت عمر بن عبد العزيز سياسة خرابية أقصى ما تكون حوراً وعساً.

وعلى الرغم من ذلك فينبغي أن يتورع المؤرخ عن القسوة في الحكم على تلك الإصلاحات التي قام بها عمر بن عبد العزيز. ومن العدل أن أفتاب الذين يشابهون الخجاج بن يوسف ضد ذلك الخليفة المصلح بالإجابة عن هذين السؤالين: (١) ألم يكن خيراً للأمويين أن تقسم مساواتهم جميع العناصر في الحقوق، تلك السياسية التي لا يبعد أن يكون عدم الأخذ بها هو السبب الأول في سقوط دولتهم؟ (٢) وإذا لم تكن تلك المساواة في مصلحة الخلفاء من بني أمية، ألم تكن من مصلحة الإسلام

Von Kremer, Culturgeschichte, vol. I, p. 171 suiv. Müller, (١)

Der Islam in Morgen-und abendland, vol. I, p. 438 suiv.

نفسه ، ليس ثمة أحد كائن من كان يستطيع أن يشك في صحة هذه الملاحظة الثانية . فقد انتهى النظام العسكري الذي وضعه عمر بن الخطاب قبل أن يرتقى عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة . وكان عمر بن عبد العزيز أول من فطن من خلفاء بني أمية إلى أن وقت التفرغ للإصلاحات الداخلية قد آن ، كما اقتنع بذلك عمر بن الخطاب من قبل . ومن ثم كان يحول حمده دون القيام بشروعات جديدة . ولم تكن غلطة عمر بن عبد العزيز - سوى رجميته ومحافظته الدينية وتمسكه الشديد بالنظام الذي سبقه عمر بن الخطاب الذي كان يأنق أثره لما كان يكنه له في أعماق نفسه من الاحترام والاكبار والذي لم يكن إلا صورة صادقة منه رغم ما كانت تتطلبه الحالة من العدول عن ذلك النظام عدولا تاما . فتد كان زاما أن تجد الحكومة أعمالا جديدة ، غير الغزو والفتح ، لغير البطين في الولايات الإسلامية من حند العرب حتى لا يكونوا دالة على بيت المال . ولا غرو فقد كانت السياسة التي سار عليها عمر بن عبد العزيز تحول دون ملكية الجند للأرض . بينما كانت الخالة تقدمي يمنحهم بأعمالا مختلفة واستثمارها ، كما كانت تسحو في منح الاعطيات حتى لغواف من المسلمين في الوقت الذي كانت تتطلب فيه مالية البلاد . تلك الاعطيات حتى ما كان يمنح منها للعرب أنفسهم . وهكذا حل ذلك التصرف الذي أفضى مراردا الدولة وجر الخراب على بيت المال دون نجاح تلك السياسة التي كانت ترمي في ذاتها إلى الإصلاح ، وإعفاء الجند في الإسلام من الجزية . ومن ثم نرى أن سياسة عمر بن عبد العزيز كانت أعمد أثرا في وهن العرش الأموي من سياسة الخواجه بن يوسف وموه بدارته . فان الآمال التي أثيرت في الذنوب لم تنطق جذورها حتى أصبحت الشعوب من غير العرب تنفس خلاصتها من حكم بني أمية . بعد أن غدت تلك السياسة الخارجية الظالمة في نظره

عبثاً تقيلاً لا يقبل لهم باحتماله ، تلك السياسة التي فأجاء بها الأمويون ولا سيما في خلافة هشام بن عبد الملك ^(١) في أثر فشل ذلك الإصلاح الذي قام به عمر بن عبد العزيز .

ثورة الحارث بن سريج

يهنأ الآن أن تتبع تلك الحركة الإصلاحية في خراسان أكثر من غيرها في الولايات الإسلامية ، تلك الحركة التي دفع الأهلين إلى القيام بها ظلم بني أمية وسوء إدارتهم . فمن هذه البلاد خرجت تلك الصبغة التي قايت دولتهم . ونستطيع أن نبين مما رواه لنا المؤرخون مدى انتشار ذلك الحزب المنقمر في خراسان أكثر منه في غيرها من الولايات الإسلامية . وقد بينا قبل (من ٢٣ و من ٥٢ — ٥٣ من الترجمة) أن خضوع السغد لذلك النظام الجديد لنضرائ لم يتم دون أن يقوى في وجهه ويحول دون تطبيقه بعض الرجال من ذوي الذنود والشأن . وكان على رأس تلك الحركة زعيمان من الموالي هما أبو الفيداء وثابت فطنة ^(١) . أما ثابت فكان ذائع الصيت محبوباً من الشعب في خراسان ، كما كان شاعراً مبدعاً ، حفظ لنا كتاب الأغاني بعض قصائده (ج ١٣ من ٤٩ — ٦٤) . وقد انتصر انتصاراً مؤزراً في الحروب التي دارت رحاها بين المسلمين والأتراك في بلاد من وراء النهر ^(٢) ، وأبى بلاء حسناً في جهاد الكفار حتى أتى حتفه في ساحة القتال . وأما فطنة فكان من خلداء يزيد بن المهلب التميمي المشهور . وقد أسند إليه ذلك الوالي بعض المناصب الهامة ^(٣) ، ولهذا كان لا يتعرج العرب عن اعتباره مساوياً

(١) انظر البغوي ج ٢ من ٣٧٦ لاستقصاء ما كتبه عن العراق

(٢) الضبري ٢ : ١٥٠٩

(٣) شرحه ٢ : ١٥١٤ ومايلها .

(٤) الأغاني ج ١٣ من ٤٩

لهم في السؤدد والشرق ويهتأ إلى حد بعيد جداً أن نعرف الشيء الكثير عن أخلاق هذا الرجل وميزاته . وقد أمر وائى سمرقند بحبسه هو وأبى الصبيداء ليتفرغ لتسفيد ويتعكن من قمع ثورتهم . ويظهر أن سياسة ذلك الوائى قد أثمرت الثمرة المرجوة ونجحت النجاح المطلوب . نرى أن هناك أمراً آخر هو أهم من هذا ؛ فقد شغل غزو الأتراك بلاد ما وراء النهر بال الحكومة زمناً ووحده للمرة الثانية بين أولئك المتذمرين وبين الحكومة لدفع ذلك الخطر المشترك ، ذلك المزو الذى كان نتيجة لسوء المعاملة التى لقىها أهل هذه البلاد ^(١) من ناحية العرب .

وقد اشتهر فى تلك الحروب رجل من تميم يدعى الحارث بن سريج بن ورد بن سفيان بن محاشى ^(٢) ، أخذ على غايته إتمام تلك الحركة التى قام بها ثابت وأبى الصبيداء ومواصلة الثورة على بنى أمية . وكان الحارث مسلماً ودعاً واحداً مسلحاً ، مثلاً حارب الأتراك فى صفوف المسلمين ثم المسلمين فى صفوف الأتراك . أو بالأحرى حارب الحكومة احتجاجاً على ما كانت تثقل به كاهل الأهلين من الضرائب . وكان يزعم أنه المهدي الذى بعثه الله لتخليص المظلمين والأخذ بناصر المظلومين . لذلك أشعل نار الثورة على بنى أمية لتحرير أولئك المستعبدين ورفع ذلك الثير عنهم . هذا هو الحارث ابن سريج — ذات الرجل الغريب الأضوار بلارب — الذى كشفت أعماله عن كثير من حبايات تلك الحركة الخراسانية وحلت ما كان فيها من أحاج وألغاز . وإلى القارى " شيئاً عن سيرة ذلك المصلح ^(٣) . اشترك الحارث اشتراكاً جدياً

(١) الطبرى ٢ : ١٥١٠ . قد ارتد السغد وأهل بخارى عن الإسلام وطلبوا الموت من الترك .

(٢) الطبرى ٢ : ١٥١٣ . لم يذكر الطبرى إلا هذين الاسمين : حارث بن سريج . وقد ورد هذا الاسم فى مخطوط رقم ٣٣٢ (Warner) ص ٣٩٠ .

(٣) وهذه الحوادث التى عرضنا لبحثها قد وردت بكتشافى Opkonist

في محاربة الأتراك في عهد آشورس كما تقدم ، ثم غير خطته بعد ست سنوات
تعاقب فيها على ولاية خراسان بعد آشورس الجليل ثم عاصم بن عبد الله . ومن
ثم زام يخرج على بني أمية ويسير نحو حاضرة الخلافة من ثلاث البلدة الصغيرة
والنخذه . وأما أنصاره فكانوا من العرب (ويقتضون إلى حزين متنافرين
من مضر واليمن) ثم من الفرس (الديهاقين) . وكان كل ما يرى إليه الحارث هو
الرجوع إلى القرآن والسنة وانتخاب حكومة ترضى عنها الأغلبية . وسيد
ما استولى الحارث على المدين الواقعة على شواطئ نهر سيحون (Sihon) .
بيد أن الحاضرة استطاعت أن تصمد غاراته . وقد قضت تولية أسد بن
عبد الله القسري مرة هذه البلاد بعد عاصم ووصوله إليها . في جند لم تهلك
قواها الحرب . عن تلك المفاوضات التي أوشكت أن تنهي بإبرام معاهدة
بين عاصم وبين الحارث الذي استمر أمام هؤلاء الجند إلى أن تعدي عما فتحه
من البلاد والاستعداد إلى مغارستان ومنها إلى بلاد ماوراء النهر (١١٨ هـ) .
ومنذ ذلك الحين انضم الحارث إلى الأتراك ضد العرب . وفي سنة ١٢٠ هـ ولي
هشام (بن عبد الملك) مصر بن - يار بلاد خراسان . وكان تعمر أكثر المواليين
تأمرش الأموي كفاءة . وبذلك استطاع أن يؤمد دعائم السلم في بلاد ماوراء

الهند . (Quatremère, Journal Asiatique, Oct. 1835, p. 327) .

١٢ النخذه وأندخوذ (الطبري ٤ : ١٥٦٦) لا تخوذ كما ذكر المؤلف .
- المترجمان .

(١) وأرى أنه يجب أن تكل هذه العبارة بتقدير هذه الكلمة من آل
النبي . وعلى ذلك تكون العبارة : وانتخاب حكومة من آل النبي ترضى عنها
الأغلبية . فتر ما كتبه كترميم في مجلة الجمعية الآسيوية الفرنسية ، أكتوبر
١٨٣٥ ص ٣٢٧ (Quatremère, Journal Asiatique, Oct. 1835, p. 327) .
وقد اخترت التفسير الذي ذكرته بعد مقارنته بعبارة من رضى الناس
(المسلمون) بتوليته . وعبارة من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التي هم
فيها . الطبري ٣ : ٤٩٩ (١٥) ٩٨٤ (١٦) ٤٨٨٤ .

النهر (١٢٣ هـ) كما تمكن في الوقت نفسه من حمل الخليفة على العدو عن الحارث بن مريح (١٢٦ هـ). بيد أن الحرب التي اشعلت أروها بين النجاشي العربية في سورية قد اجتاحت الأقاليم والولايات الإسلامية بعد موت الوليد الثاني وبخاصة في مرو وحاضرة خراسان حيث خرجت الخيرية عن نصر. وبذلك استطاع الحارث الذي ظل في ترمذ وسخطة على الأمويين أن يفرّد نصراً من حاضرة خراسان بمعونة هؤلاء الخيرية. بيد أن الشقاق لم يلبث أن عكر صفو ذلك الحلف بين هذين العريقين بسبب ما كان بينهما من المصالح المتعارضة تمام التعارض. فأعلن النجاشيون الحرب على الحارث ومن معه، تلك الحرب التي لم تضع أوزارها إلا بعد موته سنة ١٢٨ هـ (١). ومن اليسير أن نستخلص ما تقدم أن هذه الثورة لم تكن إلا تنعة لتلك الحركة. ولا غرو فقد لعب كل من بشر بن جرمش وقسم الشيباني من أنصار الحارث دوراً هاماً في تلك الفتنة التي أثارها السفند (٢). كما كان السواد الأعظم من المشتركين في تلك الثورات من الدهاقين من صفار الملوك الذين كان يضطهدهم أمراء الولايات وعمال الخراج (أنظر من ٢٠ من الكتاب ومن ٤٨ من الترجمة). يعاف في ذلك هذا العريق من أتباع الحارث من سكان القرى الذين أتوا مدينة ترمذ ووقفوا على أبوابها يشنون من عالم بني مروان (من الأمويين) (٣) وعندهم. وكانت أولى مطالبهم اختيار عمال اشترؤوا بالعنف والعدل. ويظهر لنا مما رواه الطبري (٤ : ١٩١٨ وما يليها) أن

(١) وقد ورد اسم الحارث في المؤلفات الصينية تحت اسم Hsiao - shiao - shiao. أي حارث المروى (نسبة إلى مرو حاضرة خراسان). انظر كتاب Hsiao - shiao من ٩ فيما يتعلق بما كتبه الصينيون عن العرب والولايات العربية. وأنا مدين بما نقلته هنا للسيور دي غوية.

(٢) الطبري ٢ : ١٨٦٨. راجع أيضاً ٣ : ١٥٠٨.

(٣) الطبري ٢ : ١٥٨٣.

الحكومة قد اضطرت أخيراً إلى النزول على إرادة هؤلاء وقبول مطالبهم . فكان يُعين مندوبان ، أحدهما من قبل الحكومة والآخر من قبل الشعب ، يوكل إليهما اختبار العدل وحسنهم على معاملة دافعي الضرائب باللين والرفق . ويظهر أن تلك الامتيازات لم يكن لها من أثر في نفوس الأهليين ، فإن المتذمر مافتى "علاً قلوبهم حتى إن كثيراً من حاشية الوالي نفسه قد اتهموا بمخاللة هؤلاء المتذمرين (١) .

وتما يكشف لنا عن ميل الحارت ومبول أنصاره تسحيتهم بهذا الاسم الذي منالما عرفوا به وهو المرحلة (٢) .

وتختلف المرحلة الحوارج في تكثيرهم الخلفاء الثلاثة . هذين وعليا ومعاوية وأنصارهم ، ذاهبين إلى القول بأن كل من آمن بوحداية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر وأن ذلك موكول له وحده يوم القيامة مهما كانت الذنوب التي اقترفها واشتدادي السياسية التي يدين بها . فهم يرجشون (الذرائع الكريمة ٩ : ١٠٦) الحكم على إخوانهم في الدين إلى الله وحده (٣) (الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) .

وكانت مسألة المسائل في ذلك الحين هي موقف الجدد في الاسلام . وقد لعبت المرحلة دورا هاما في التوفيق بين المصالح المتعارضة بين العرب وغيرهم من المسلمين ، حين تطور النزاع بين الأحزاب والطوائف وحلت تلك المشكلة الاجتماعية الجديدة محل الخلاف على الامامة . وقد ذهبت المرحلة إلى القول بأنه لا يحل للحكومة أن تعامل هؤلاء كما لو كانوا لا يزالون على كفرهم بعد أن أصبحوا مسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وعلى هذا كانوا

(١) الضمير ٢ : ١٩٣٠

(٢) شرحه ٢ : ١٥٧٥

(٣) أنظر مقالتي في "الاربعاء" في Zeitschrift der Deutschen

Worgenländischen Gesellschaft, XLV, P. 161 suiv.

لا يتخرجون عن قتال أية حكومة تقر مثل تلك المظالم^(١). ومن ثم لاندعش
بمد أن وقفنا على حوادث الشدة والصف في بلاد ما وراء النهر أن نرى
هؤلاء يحرمون سفك الدماء البريئة ويجهرون بأن جميع المسلمين إخوة في
الدين^(٢). وصفوة القول فإن كل ما كان ينشده هؤلاء إنما هو العودة إلى
مبدأ المساواة بين الشعوب الذي أقره الاسلام وأنه لا فضل لعربي على عجمي
إلا بالتقوى.

وكان ذلك بلا ريب شعور السواء الأغنى من أتباع الحارث . على أن
بعضهم قد ذهب إلى أن هذا ، فقد اتوا عقيدة التوحيد معنى أخلاقياً
ودنياً عميقاً . تلك العقيدة التي يحث أن تخلص — حسب زعمهم — اعترافاً
قلبياً وعقيدة بامتية . وقد عارض إلى جهم بن صفوان أحد رؤس المرجئة
وكاتم السرايات حارث بن سريح^(٣) هذه الكلمات : « إن الإيمان عند
بالقلب وإن أعلن الكفر لسانه لا تقبى وعبد الأوثان أو لزم اليهودية
أو النصرانية^(٤) » في دار الاسلام وعبد الطيب وأعلن التثليث في دار
الاسلام ومات عن ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ولي لله
عز وجل ومن أهل الجنة . ومن ذلك فقد ذهب جهم إلى القول بأن الاسلام
المصحح والإيمان الحق شيء واحد ، وكان من الطبيعي أن تدفع مثل هذه

(١) الاغانى ج ١٣ ص ٥٣ و ٥٤ ، مقرري خطط ج ٢ ص ٣٤٩ أنظر
جهم بن صفوان ١ . ونرى في المراف بعض المرجئة يجاريون في صفوف يزيد
ابن المهلب الذي تار على بنى أمية . الطبرى ٢ : ١٣٤٩

(٢) الطبرى ٢ : ١٩٣٦ ومايلها الاغانى ج ١٣ ص ٥٢ (١٩)

(٣) الطبرى ٢ : ١٩١٨ ومايلها ١٩٢٤

(٤) ابن حزم . مخطوط ليدن ج ٢ ورقة ١ (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ

العقيدة أصحابها إلى احتقار الفرائض العلية للإسلام^(١)، ووضعهم واجبات
المرء نحو من يحيط به من الناس فوق أداء الفروض التي جاء بها القرآن على
الوجه الأكمل . ومن هذه الناحية كان مذهب الأرجاء في خراسان أشبه
شيء بآثر عكسي أخلاق لذلك الإسلام الشكلي دين الحكومة العربية في
ذلك الحين — تلك الحكومة التي أصرت على عدم المساواة بين جميع رعاياها
في الدين باتباعها ذلك النظام الجائر بلجع الضرائب وجباية المكوس X X .
وأما ما يشكروه البعض على الخارث من مخالفته الأتراك ضد المسلمين
فإنى أميل إلى القول بأن ذلك كان راجعاً إلى عوامل أخرى دون حنقه على
العرب وسخطه عليهم لهزمهم إياه . وأما الجدد في الإسلام من إقليم بخارى
وسمرقند وإن كانوا قد انصرفوا عن العرب (الأمويين) وخرجوا عنهم ،
فليس معنى هذا أنهم قد ارتدوا عن الإسلام ، يؤيد ذلك ما ذكره المؤرخون
عن وجود قاض مسلم بين أولئك الذين عادوا من منقار مع الخارث^(٢) ، مما
يدلنا على أنه قد انضم إلى الأتراك الكثيرون من المسلمين غير الخارث ، وهم
من غير شك من أولئك المحدثين في الإسلام من أهالي بلاد ما وراء النهر ،
وكانوا يرمون بمساعدة الخارث بن سراج إلى استرداد حقوقهم السياسية
ومساواتهم بالمسلمين من العرب .

Zeitschrift d. D.M.G.H. p. 170 (١)

X X انتهى صبح هذا فن الدولة الأموية باتباعها هذا النظام قد بددت
البعد كله صاعداً إليه الإسلام من المساواة بين جميع المسلمين في جميع الحقوق
السياسية والمدنية ، لا فرق في ذلك بين عربي وعجمي . يؤيد ذلك قوله تعالى
(إنما المؤمنون إخوة) سورة الحجرات آية ١٠ ، وقوله تعالى (وجعلناكم
شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) سورة الحجرات آية ١٣
— المترجماني

(٢) الطبري ٢ : ١٨٦٨

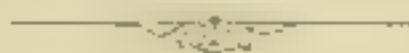
ونجمل بنا قبل أن نخشى في هذا البحث أن تلقى نظرة ولو سطحية على ما أسلفنا من البحوث حتى لا تنقسم عرى مالدينا من البراهين والمجيبين تلك الحوادث المعقدة التي أتينا على ذكرها.

لقد صورنا ببقارى — اعتماداً على ما وقفنا عليه من المعلومات — الحالة السياسية والاجتماعية لتلك الشعوب المحكومة في عهد الاحتلال العربى وما تلا ذلك من الاضطراب ، كما رأينا كيف أصبح الأمويون يتحمسهم في الدفاع عن ذلك النظام من أشد الناس خطراً على الدعوة الإسلامية . وقد استطعنا بفضل ما هدانا اليه بحثنا أن نفهم في أغراض تلك الحركة المكسية التي قامت في الولايات الشرقية ، بدولة الإسلامية من جراء الاحتلال بنى أمية لأولئك الموالى . تلك الحركة التي لم تلبث أن تطورت إلى حركة دينية ترمى إلى إسلام أوسع نطاقاً وأكثر تألمية وأقل حرماً مما كان يفهمه الأمويون . تدل على مدى عالميته تلك العبارة : « إن الإسلام لا يعرف المهادنة بين الشعوب » .

ولم نحمد تلك الحركة بتوت الحادث بن سريج (١٢٨ هـ) . فانه لم يكده يمتضى على وفاة عام واحد حتى أشعل أبو مسلم نار الثورة على بنى أمية ، تلك الثورة التي قلبت عرشهم كما انتهت بزوال النفوذ العربى في القمم الشرقى لدولة العربية .

ومن هنا ترى أن نجاح أبى مسلم لم يكن ابن ساعته ، وإنما يرجع إلى دخول عنصر جديد من المقامع القومية في نفوس المسلمين من غير العرب ، ذلك العنصر هو الشيعة .

ومن ثم لم يبق أمامنا إلا أن نعى دراسة نمو هذه الأفكار الشيعية وانتشارها .



الباب الثاني

الشيعة

- ١ -

نشأة الفرق لا-سلامية

لابد المؤرخ الذي يريد أن يلف على مدى انتشار المذهب الاسلامي
وتطورها أن يعرض بحثه في عصر محمدي حسن .

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه التوائف التي نشأت بين العرب في البلاد
التي فتحوها إنما كانت تسمى بدني" الذي بدء به نجرس - سياسي محض وغير
مفهورها بهذا المنهج الديني .

كانت الامامة (وهي القيادة العليا للمسلمين) أولى المسائل التي فرقت
بين المسلمين ومزقهم شعباً وأحزاباً ، أما حزب بني أمية (ومثله بلاد الشام)
الذي كان له النفوذ في ذلك الحين فكان يدافع عن عرش الامويين ، إذ كان
يرى أن أمراء هذا البيت أحق الناس بالخلافة بعد الخلفاء الراشدين (أبي
بكر وعمر وعثمان) ، وأنهم أصحاب الحق في الأحكام عثمان والمطالبة بدمه
لما كانت تربطهم به من أواصر القرابة . وكان يناوئ هذا الحزب :

١ - حزب أهل المدينة وهم أنصار النبي ، الذين كانوا لا يرتباطهم
بالعجمانيين من العرب يعتبرون أن وصول بني أمية إلى الحكم إنما هو انتصار
لأعدائهم القدامى من مشركي مكة .

٢ - حزب الشيعة وهم أنصار أهل البيت المتحمسون للدفاع عن

حقوقهم في الخلافة ، ولا سيما حق علي .

٣ — حزب الخوارج وهم الجمهوريون الذين كانوا يقولون باختيار الخلفاء من بين الأكتفاء التي كانت الطبقة التي يستعملون اليها ، كما كانوا يرون أيضا عزل الخليفة منذ اللحظة التي يفقد فيها ثقة الأغلبية .

وكان الخوارج أشد هذه الأحزاب الأربعة تعصبا . وأما الأحزاب الأخرى ، فبإزغهم من أن الحرب كانت لا تكاد تضع أوزارها بينهم ، فقد كانت يجمعها مبدأ مشترك هو انتخاب الخليفة من قبيلة قريش . وهم وإن كانوا يمدحون خصوصية كنفار ، فإن ذلك لم يمنعهم من أن يمدحوا معهم في وثاقهم ما دام في استشارة الحكومة أن تشتت وسط نفوذها بالجند أو بالمال (١) . وأما الخوارج فكانوا على العكس من ذلك لا يذعنون لهذا النوع من نظم الحكم . كما كانوا يرمون أعداءهم السياسيين بالكفر ويعاملونهم معاملة الكفار . وكان شعارهم : لا حكم إلا لله ، تلك العبارة التي لم يكن يقصد بها إلا حكم الديف .

لا يفتخ المؤرخون الذين تأثروا فيما كتبوه عن هيأمية بحكراة العباسيين لهم ولأشباعهم حيث وضعاء عند كلامنا عنهم فيما تقدم . ولا غرو فقد كان هؤلاء يمدحون جهاد الأحزاب لبني أمية — حين يعرضون الكلام عنه في كتبهم — أنه جهاد ديني لا يكاد يختلف فيه موقف أنصار بني أمية عن الموقف الذي كان يشغله الكفار ضد بني حين قام بالدعوة للإسلام . وكانوا يستندون في ذلك على سوء سيرة يزيد الأول ويزيد الثاني وأوليد الثاني من الخلفاء الأمويين . ولا سيما ما كان من هنت حرمة المدرسة

(١) المنبري ٢ : ٣٤٠ (ص ١٩ وما يليه) ٨١ . ٤ . كانوا يقولون في الكوفة : من عطانا الدرهم قائلنا معه . يدل على ذلك هذا البيت الهجائي :

ولا في سبيل الله نافي حماءه يومكم ولستكن في سبيل الدرهم

المنورة في عهد يزيد الأول وإباحة الحرم المكي بعد استيلاء عبد الملك على مكة . أضف إلى ذلك اتخاذ المقاصير لتعجب الخليفة عن الناس ^(١) وإلقاء خطبة الجمعة قبل الصلاة حتى لا يتفرق الناس دون سماعها ، مما اتفق في ذلك سنة الرسول وستة خلفائه أبي بكر وعمر وعثمان ^(٢) .

على أنه ينبغي لنا أن نكتبه المماضون لبني أمية خطأ أولئك المؤرخين من أعداء الأمويين وتشويرهم بتحقات . ولا غرو فقد كان السواد الأعظم من العرب يرى في حزب بني أمية حزب الدين والنظام ^(٣) ، كما أن عدداً كبيراً من المسلمين كان لا يرى في الاستيلاء على المدينتين المقدستين إلا ضرورة دعا إليها موقف أهل الحجاز المداني دون أن يرى في ذلك أي انتهاك لحرمتهما ^(٤) . كان أنصار بني أمية يرون أنفسهم حسب المسلمين حقاً . ومن ثم كانوا يكفرون خصومهم ويعاملونهم بنفس تلك القسوة التي كانوا يعاملون بها الكفار ^(٥) . فكان معاوية في نثار الحزب الأموي خليفة الله . كما كان ابنه يزيد إمام المسلمين ، وعبد الملك « إمام الإسلام » و « أمين الله » و « حجة الدين » . وهكذا ^(٦) . وأما سبب عن بن أبي طالب جهاراً ،

(١) ابن رسته (طمة دي غوبة) ص ١٩٢ (٥) : المقرئ : خطط ج

١ ص ٦٠ و ٦٤ Art arabie, p. 34

(٢) Goldziher, Islamische Studien, I, 41-49

(٣) أنظر ما نقلناه بذي الكتاب رقم ٢

(٤) أنظر الأبيات ١٧ و ٣٠ وما يليها من قصيدة أبي صخر الهذلي .

ديوان هذيل Wellhausen ص ٩٢

(٥) المقرئ : ٣ : ٤٦٤ (س ١١ وما يليه) ٤١٥ و ٤٢٥ (س ٥ وما

يليه) وبوجه خاص ٤٦٩ و ٤٧١ (س ١٥ وما يليه) .

(٦) وقد وردت هذه التعميمات التي أتينا على ذكرها في البلاذري (منبئة

Ahwardt ص ١٢ و ٣٠٣ : العقد الفريد ج ١ ص ١٢٢ (س ١٦ وما يليه) .

فلأنكاره حق معاوية في الخلافة . وخلاصة القول فإن علياً وإن كان يكنىه الكثيرون من أنصاره « أبا تراب » فإن البيت الأموي لم يعدم أنصاراً يدافعون عنه ويتحمسون له وهم العثمانية (١) ثم المروانية (٢)

وقد وضعت الحرب أوزارها بين الطوائف الإسلامية في خلافة عبد الملك ابن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) الذي قضى على ثورة الخوارج في موقعة حروراء (٦٧ هـ) بعد أن هزمهم هزيمة منكرة (٦٥ هـ) بالقرب من عين الوردية . كما انتهت أيضاً تلك الثورة التي أثارها أهل الحجاز باستيلاء الأمويين على مكة وقتل عبد الله بن الزبير آخر من كانوا يمثلون حزب الأنصار . وأما ثورة الخوارج فقد ظلت حتى سنة ٧٧ هـ حيث خمدت جذوتها على أثر وفاة قسري بن الفجاءة ببلاد طبرستان .

أما عصر الوليد الأول وسليمان بن عبد الملك فكان عصر انتقال وفتح الطبري ٢ : ٧٨ و ٧٤٣ و ٨١٠ (س ٥ و ٦) ١١٧٦٤ (س ٩) . ديوان الفرزدق (مطبوعة Roucher) من ٢١٩ والنص العربي من ١١ وما يليه ؛ (١) Goldzahn. I. p. 381 الطبري ٢ : ٣٤٠ و ٣٤٢ و ٣٥٠ ؛ Goldzahn. I. p. 118 surv. وقد قصر جولدتزهر العثمانية على المنطوقين من أشباع بني أمية ، بينما كان يطلق هذا اللفظ أيضاً على بعض الأحزاب المحايدة . انظر ابن الفقيه (مطبوعة دي غويو) من ٣١٥ . « أما أهل البصرة فعثمانية يدينون بالكف يقولون كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل » . وهذا جلي ، فقد كان هناك كثيرون ممن كانوا لا يشايعون بني أمية بسورية . ومع ذلك فقد كانوا لا يرضون عن قتل عثمان لاشئ سوى أنه كان مع أبي بكر وعمر ، كما كان أحد تصحابة الذين اشتهروا بالأخلاص لمحمد (صلى الله عليه وسلم) . ومن بين هؤلاء العثمانية البصرية (الذين قاتلوا في صفوف طلحة والزبير) . كما كانوا أيضاً من الأنصار من أهل المدينة — الأثافي ج ١٥ ص ٢٧ (س ٢) .

(٢) ولم تظهر هذه التسمية إلا عند ما ولي مروان الخلافة بدمشق — الطبري ٢ : ٨٠٤ (س ٣) ، البلاذري (مطبوعة Ahlwardt) من ٢٢١ .

لا يكاد يعدنا بشئ عن تلك الأحزاب .

على أن الأمويين لم يستطيعوا القضاء على تلك الأحزاب واستئصال شأفتها (انهم إلا إذا استثنينا حزب الأنصار) . فالتواريخ والشيعة الذين مزق جسد بني أمية أو صالهم وأفقدوه خيرة رجالهم ، وإن لم يبق لهم من القوة ما يمكنهم من مقاومة الأمويين وإغلاق الحرب عليهم جهاداً ، فإن مبادئهم مفضتت أفت انتشرت . وفشتت خلافتها تلك الحالات الاجتماعية الجديدة التي نشأت في الدولة العربية في الشرق . وهكذا تعود ذلك النزاع السياسي للأحزاب العربية إلى جهاد اجتماعي ديني .

لم يسع الأمويون — كما رأينا — إلى أية حركة من حركات الإصلاح . وأما محاولة عمر بن عبد العزيز فإنها لم تزد الأمور إلا حرجاً لما كانت تتأثر به من تخلف ورحمة لا تتفق مع حالة الدولة الاقتصادية . ولا غرو فقد أنضبت بيت المال وأجأت الحكومة إلى الرجوع إلى نظام الضرائب الذي وضعه الخراج بن يوسف ، وذلك منسحباً من الأعراس للاعتناق الإسلام ورفع الجزية عن أهل . ومن ذلك الحين انقضت الدعوة إلى الإسلام والعدل على نشره عن سياسة الأمويين الاقتصادية على أثر ما ظهر بينهما من التعارض . وإن في الثورة التي قام بها أنصار الخارث لأقوى دليل على صحة هذا القول . فقد خاض المسلمون غمار هذه الحروب التي استمرت أثارها بين السوائف وضموا أشكتهم إلى شكاة الأعداء القديسيين بيت الأموي . وهكذا ظل النزاع على الإمامة قائماً ولم يرد دعاء أهل الحق والعدل إلا احتداماً وتأججاً . ففي بلاد العراق والجزيرة نصب الخوارج أنفسهم منذ خلافة عمر بن عبد العزيز حفاة لعصاة والمضطهدين وحرماً عن المستبددين والظالمين (١) . وفي إفريقية عد هؤلاء الخوارج البربر المنذرين من حكم الأمويين

بالأسلحة التي استعانوا بها على قتال ولائهم في تلك البلاد (١). كذلك نادى
ببلاد اليمن عبيد الله بن يحيى الخارجي المنقب بتطالب الحق احتجاجاً على
ذلك الاستبداد القاهرة وتلك المعاملة القاسية التي كان يعامل بها ولاية بني
أمية أهل تلك البلاد (٢). وكان الخوارج في ذلك الوقت غير الخوارج الذين
حاربهم الأمويون وانصروا عليهم من قبل ، فقد كانوا يحاربونهم بسيف
الدين ويقارعونهم بحجج الإسلام . وقد وضع الخوارج تلك القاعدة ، وهي
أن من تكب الكبيرة كافر — حين تشوب النزاع بينهم وبين أعدائهم من
الأمويين وانحصر بين الرضى أو عده الرضى عن كل حكومة جائرة أيا كانت
تلك الحكومة ، بعد أن كان نوازاً شعبياً محضاً ينحصر في شريعة خلافة
فلان أو فلان . وهكذا خلت تلك القاعدة القديمة التي وسعها الخوارج —
وهي تكفير المؤمنين المعاصي — رغم تغير موضوعها واختلاف باختلاف
الأحوال التي كانوا يطبقونها عليها .

وبدلاً من هؤلاء الخوارج — وكذلك حال المرابطة — حتى مدى تأثير
ذلك التشويع الجديد في نمو حركة هذه الطوائف والشارع .

وكان من أثر ذلك أن عرضت بيت الأموي مشكلة لم يكن يعلم بها
أصلاً . فقد بدأ حارب الأمويون أعداءهم الدياسيين أساحة تكاد تكون
منسكفة . وهذا نحن نرى هؤلاء المناوئين لعرض بني أمية يقهرون من جديد

(١) انظر ج ١ : ٢٨١٥ . وقد ترجمت هذه العبارة في الملحق الثالث .

(٢) لا تثنى ج ٢٠ من ١٧٩ إلى ٨٠٧ (١٥٠) . انظر الملحق الرابع .

ولا كان موضوع هذه القاعدة موضوعاً شعبياً معيناً لا يكاد يعدو
شخص على ومعارضة ، ثم تطور من الحكم على الأشخاص إلى الحكم على
المبادئ . ومن ثم صار الخوارج أعداء أية حكومة جائرة أموية كانت أو
عبوية . وليس في هذا التطور دخول غير تعريب في هذه الشائبة التي نبتت
منذ ذلك الحين لا ترى مانعاً من إسناد الخلافة إلى المولى — المترجم .

بقوة لا قبل للأمويين بها في نفس اللحظة التي كان يعتقد فيها هؤلاء أنهم قضوا عليهم القضاء الأخير . ولا غرو فقد كانت تموز بنى أمية القوة المعنوية الضرورية لتقمع تلك الثورة النفسية . وكان جواب الحكومة الوحيد على شكايات الخوارج ومطالبهم الجديدة هو إعلان الحرب عليهم جهاراً .

وقد انهزم أولئك الثائرون الفلاة في بلاد العرب والعراق وبلاد الجزيرة بفضل ما أظهره مروان الثاني آخر خلفاء بنى أمية من الحزم والجد في مناجرتهم . نرى أن الأمويين ، وإن اتعبروا على هؤلاء الخوارج في تلك المرة أيضاً ، فقد استندت ذلك الانتصار آخر جندي من جنودهم .

ومن ذلك الحين نرى حزب الشيعة يعاود الظهور بقوة لم يستطع الأمويون مواجهتها .

وقد تفرعت الشيعة من ذلك الحزب السياسي الذي قضى عليه الأمويون بحروراء . ثم انتشرت وقامت بحركة سياسية اجتماعية دينية واسعة النطاق ضمت إليها جميع العناصر الإسلامية الممادية بعرب ولأمويين جميعاً . هكذا كانت نشأة تلك الحركة ، وهو ما سنعرض له فيما يلي .

من تفرع من
بنو أمية

عقائد الشيعة

حارب الشيعة من عرب الكوفة الأمويين أول الأمر ولم يلقوا عن حق على في الخلافة ثم للأخذ بنار ابنه الحسين الذي قتل بين ظهريهم دون أن يجرؤ أحد منهم على إنقائه .

ولم يكن خلاص العرب من أهل الكوفة لآل البيت بريئاً من جهات كثيرة . فقد أنساهم ما كانت تفرح به الحكومة الأموية التي كانوا يدينون لها بالخضوع والطاعة من الأعطيات والأرزاق ما قضموه على أنفسهم من

العهود والمواثيق لآل علي كلما دعاه هؤلاء لمناصرتهم ، كما تركوا المختار منذ اللحظة التي منح فيها المواثيق لنفس الحقوق التي كانت للعرب من أهل الكوفة (أنظر من ١٦ من الكتاب ومن ٤٠ — ٤١ من الترجمة) . ويرى لنا حسن لقاء الكوفيين لدعاة البيت العلوي تقلب أهل الحضر من هذه البلاد وما جبلوا عليه من الشقاق والفتنة ، ثم خوفهم من قتال الخوارج الذين كانوا يذبحونهم كما تذبح الدابة ، وكراهيتهم أن يروا - وادع في أيدي المؤمنين الذين كانوا يطلقون عليه يستأن فريش .

نرى أنه قد ظهرت منذ أيام المختار أفكار جديدة كان لها أثر كبير في نفوس الكثيرين من الشيعة .

ويظهر أن هذه الأفكار التي نشأت في مبدأ أمرها في البيئات الصحراوية العربية إنما كانت بقية من عبادة المملوك . تلك العبادة التي كانت منسوبة عند قدماء الفرس بعد أن خالفها بعض العقائد الأشراقية X X . والتي لا يبعد أن

X X الأشراقية أو اللاه درية وهي مذهب من مذاهب الفلسفة الدينية ، نشأ في بحر الدين المسيحي . ويزعم أتباعه أن لهم معرفة تامة بالطبيعة وبصفات الله ، كما يعتقدون أن طريق النجاة إنما هو " العلم لا الايمان " .

وهذا المذهب قريب من الأفلاطونية والمناوية . أما أنصاره فيقسم إما أفلاطونيون حاولوا التوفيق بين الأفلاطونية وطقوس المسيحية ، وإما مسيحيون أرادوا الجمع بين المسيحية وبين العقائد التي كانت سائدة في الشرق القديم .

وقد ساعدت مناوأة رجال الكنيسة لهذه الطائفة واضطهادهم لأتباعها على ظهورها وانتشارها . ويبلغ عدد فرقها سبعين فرقة ترجع جميعها إلى خمس فرق أساسية : (١) الفرقة النسطورية ومن زعمائها سيمون الجوسي Simon le Magicien وقد خلط بين العقائد اليهودية التي أخذها عن التوراة بعقائد بعض الديانات القائمة بتعدد الآلهة وجمع منها قواعد مذهبه (٢) والفرقة الآشورية وهي قريبة من الزردشتية (٣) والفرقة المعصرية ومن

تكون قد انتقلت اليهم عن طريق الديانة البابلية القديمة .

وكان من بين العقائد الملم بها عند الشيعة من أهل الكوفة أن الحكمة العالية التي أفاضها الله على محمد (صلى الله عليه وسلم) ليحصل على أشهر زعمائها زيديدس Basides وقاتنين Valentin (٤) والفرقة المعتزلة (المنشقة) (٥) ثم الفرقة الاسيوية وتعتمد في عقيدتها أكثر من غيرها من الفرق الأخرى على كثير من نصوص الانجيل .

وأساس جميع هذه المذاهب هو القول بوجود إلهين أو مصدرين أساسيين للوجود هما إله الخير وإله الشر . ومن ثم لا تسكاد تختلف عن الماثوية في شيء اللهم إلا بقدر ما كانت تتأثر به من الزق الفكري .

ويتلخص مذهب هؤلاء الأشراقين في أن هذا العالم الذي نعيش فيه قد صدر عن إله غير معصوم من الخطأ ، وأن أول ما خلق منه هي النفوس الطاهرة والأرواح الخالصة من كل شائبة . ثم تلا ذلك التجسد وهو هبوط الروح من ملها الأعلى ودخولها في الجسم واختلاطها بالمادة . وقد ابتدأ هذا التجسد بدخول الأرواح في أجسام النساء . وهذا التجسد في نظرهم هو الخليقة الكبرى التي يجب التفكير عنها بالذات . ولما كانت المادة عندهم هي مصدر الشر ، كان كل جسم في نظرهم مقبوحا وكل مدة بدنية مردولة . ومن ثم نشأ مقتهم للزواج وتحريرهم من ملكية الأشياء وبغضهم للحياة الدنيا .

وقد استلزم تصور هذا المذهب التوفيق بين منسوس مذهبهم وبين مطالب الحياة المادية وتغاضي تلك الصعاب التي قد يضطرون إليها لتطبيق مبادئهم على شؤون الحياة الدنيوية ، فلجأوا إلى بعض الحيل والتناوى . من ذلك قولهم بأن الملائكة وإن كانت مردولة فلا بأس من تدوّلها بقدر ما تقتضى بذلك حاجة الحياة وضرورة وجود مادما نستذكرها فغيرنا . وقد تابعهم في ذلك الكثير من الضوائف الأخرى ، وسنلوا على ذلك حتى جاء كارپورانت Carpentier فلم ترقه تلك التناوى وما جرت اليه من فساد أخلاقي ، فخرم جميع الملائكة . ثم جاء ابنه إيفساق Bapheuse فخرم الملكية الفردية ودعا إلى الاشتراكية .

أنظر كلمة Gauche دائرة معارف لاروس . ودائرة معارف كاسل .

Encyc. Larousse, Cassel's Encyc. — المترجمان .

هديها في الأمور وفق إرادة الله لم تولد يموت النبي ، وإنما وديها عنه أعقابها .
 وكان البعض يعزو إليهم علما لم يعملوه على النحو الذي تحدث في العلوم البشرية ،
 وإنما تلقوه من لدن الحكمة الإلهية مباشرة . وهناك ما كتبه الخليفة هشام
 بن الوليد يوسف بن عمر (١) : « أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة في
 حبهم أهل هذا البيت ووضعهم لياليهم في غير مواضعهم لأشبه افتدوا على
 أنفسهم طاعنهم ووثقوا عليهم شرائع دينهم وتغنوا علم ما هو كائن » .
 وقد بلغ من تشييع أهل الكوفة لآل علي أن كانوا يؤمنون بكل حديث
 أيما كان ، سواء تضمن أو لم يتضمن بعض الأمور التي تتعارض مع ظاهر
 ما جاء به القرآن ما دام ذلك الحديث قد جاء عن السنة الأئمة من آل علي .
 ومن ثم كان يبيع أهل الكوفة القليل من النبيذ . وإلى التقارى ما ذكره
 في ذلك صاحب العقد : « بينما كان زيد بن عيسى في بعض أزقة الكوفة إذ
 مر به رجل من الذبعة ، قد جاءه في منزله وأحضر طعاما فسامعت به الشيعة
 فدخلوا عليه حتى نخص الجاهل به . فأكروا معه ثم سقوا . فقبل له أي
 الشراب فحدث يا ابن رسول الله ! قال أمسيه وأشداه . فأتوه بعقيق من النبيذ
 فشرب . . . وشربوا ثم قالوا يا ابن رسول الله ! لو حدثتنا في هذا النبيذ
 بتحديث دوينه عن أبيات عن حديث من العلماء يختلفون فيه . هل نعم ! حدثني
 أبي عن حمدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للركن مطبقة بنى إسرائيل
 تحذوا القذة بالقذة . والنعم والنعم . ألا وإن الله اتقى بنى إسرائيل شهر
 مائوت (القرآن الكريم ٢ : آية ٢٤٩ لا ٢٥٠ كما ذكر المؤلف) أهل منه
 الغرفة والغرفين وحرم منه الشرب . وقد ابتلاكم بهذا النبيذ أهل منه القليل
 وحرم منه الكثير . وكان أهل الكوفة يسمون النبيذ شهر مائوت (٢) . »

(١) الطبري ٢ : ١٦٨٢

القذة بالضم ريش السهم والجمع قذذ .

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٧

وكان طبعياً أن يعتبر الناس هؤلاء الأئمة أنفسهم المرجع الوحيد لتفسير هذا الاعتقاد وتحديد مدام بعد أن تأمل في قلوبهم الاعتقاد بمصطفىهم. وإلى القاري تلك العبارة التي أثرت عن علي (١) : « أحلم الناس صفاراً وأعلم الناس كباراً . ألا وينا أهل البيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمتنا ومن قول صادق سمعنا . فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا في معناه راية الحق ، من يتبعها الحق ومن تأخر عنها غرق » .

ونستخرج لنا الاعتقاد بعصمة الأئمة من لفظ « المهدي » ، وهو لقب الشرف الذي كان يلقب به الأئمة من آل البيت (وصعناه الهادي إلى الطريق المستقيم) (٢) .

وكان بعيداً أن تقتصر تلك العقائد التي أتينا على ذكرها على أهل العراق أو حتى طائفة معينة من الجند في الاسلام ، ولا سيما إذا علمنا أنها نشأت في الكوفة وتأثرت بالديانات السابئة للاسلام . وقد انتشرت تلك العقائد في جزء عظيم من الدولة الاسلامية بقدر اوريداد تذر المسلمين وسخطهم ثم ضعف الدولة الأموية والخلالها . وقد ظهر الاعتقاد بأنه ليس ثمة صلاح لهذه الأمة إلا على يد أحد الأئمة من آل البيت في جميع الولايات الاسلامية ، حيث أدرك الناس أن الأمويين أصبحوا لا يعنون إلا بمصالحهم الشخصية دون مصلحة الدين الذي أخذوا على فانهم نشره .

وكان طبعياً أن لا تعوز الأمة الاسلامية الرجال السياسيون والرعايا المحمسون الذين يرقبون القوم لتكرير ميول الجماهير ويستغلون تلك الأمانى المبهمة لقيادة الأمة نحو وجهة معينة ، كما هو الحال في

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٦٢

(٢) الفهرست ٢ : ٥٤٦ (٢) و ٦٠٨ و ٣٥٠ (١٤) و ٣٥٣ (٢٠) الكامل

للبريد (طبعة رايت Wright) ص ٧١٠ : سنوك هرجوتية Snouck Hurgronje, der Mahdi, p. 6 (n. 7) .

أوقات الشدة والتقدم حيث تفل العقول وتبطل النفوس وحيث لا تزال الأفكار في دور الاختيار . وهكذا ظهرت في ذلك الوقت العصيب البعثات المنظمة (الدعاة) في جميع الولايات الإسلامية يحثون الناس على اعتناق العقائد الشيعية .

ويجب علينا ، لكي ندرك مدى أثر تلك البعثات ، أن نعرض للكلام في أولئك المتطرفين من الشيعة الذين يسميهم العرب « الغالين » .

طوائف الشيعة

من اليسير تقسيم هؤلاء الغالين أو المتطرفين ، الذين كان يعتبرهم الفقهاء من العرب إحدى طوائف الشيعة ، والذين كان تنديس آل البيت جزءاً هاماً من معتقداتهم ، إلى طائفتين هما السبئية والكيسانية .

أما السبئية (أنصار عبد الله بن سبأ الذي كان يرى أحقية علي بالخلافة منذ أيام عثمان بن عفان) فكانوا يعتقدون أن جزءاً بلهياً تجسد في علي ثم في خلفائه الأئمة من بعده . وليس من الضروري — حسب زعمهم — أن يظهر ذات الجزء (الروح) الإلهي دائماً في ذلك العالم ، بل يجوز أن يعود إلى مقره الإلهي حتى يتجسد في شخص آخر . ويسمون الفترة الذي يقرب فيها ذات الجزء « القيبة » ، ورجوعه إلى الأرض « الرجعة » ، كما يسمون انتظار ظهور الأمام « التوقف » .

ويعتقد هؤلاء الذين يقولون بالتوقف أن علياً يجيء في السحاب وأن الرعد موته والبرق سوطه ، بينما يجيز البعض الآخر انتقال ذات الجزء الإلهي إلى أولاد علي من بعده . ومن ثم ينتظرون ظهور الأمام . ويؤمن هؤلاء أن ابن ملجم الخارجي ثم يقتل علياً ، وإنما قتل الشيطان بعد أن

تشكل شكله : فكانوا لا يسمون بختاء الجزء الألهي الذي تجسد في شخص
 شي ، أو بالأحرى كانوا لا يعتقدون بموت علي (١) .
 ويظهر أن غنيدة البعثة إنما بيت على الزأى القديم القائل بتجسد
 الألوهية . بخلاف ما ذهب إليه الكيسانية التي ظهرت منذ أيام الختار
 حين تار بالكوفة (٢) . وتعلو الكيسانية في اعتقادها بأعنة الأئمة بالمعوم
 الألوية ، فتذهب إلى أن محمداً بن الحنفية قد أمم بالمعوم كلها ، وأن أخويه
 الحسن والحسين قد عهدا إليه بالأمرار كلها وبعلم الثأوين والباس . وقد
 انتهى اعتقاد الكيسانية بوجوب انفراد الامم بتأوين الشريعة في الدول
 بضرورة ماعنه ، إذ أن ماعنه لم تكن إلا ماعنة للمعوم الألوي
 (وهذا مثير من غير من المصلدين من الشيعة) . ونقول الشيرماني
 : « إن جميع الكيسانية يعتقدون أن الذين ماعنة رحن ، وأن ماعنهم لذلك
 ازحل تفضل ضرورة التفت بقواعد الاسلام : كالصلاة والصوم والحج
 وهكذا (٣) » .

(١) اشهرستاني (طبعة Gordon) من ١٣٢ ومايلها ترجمة Haarbriicker .
 لا لايفق ما عرنا اشهرستاني إلى تسيئة مع مذكرة الضري Weil I 171 .
 عن عبدالله بن سينا ، من ذلك قوله إن لكل بني موسى أو وزير ، وإن الوصاية
 كانت لعل باعتبار وزير محمد ، وإن محمداً سيعود إلى الأرض .
 على أن لم ترد في الأخذ بما ذكره الشيرماني . فقد شاع مذهب
 تجسد الألوهية في شخص على من قبل ، سواء عزي هذا المذهب إلى ابن سينا
 أو لم يمر إليه . أنظر ماهر الاصفهانى Weil I 259 . Haarbriicker II 41 .
 والبلادرى Z. d. D. M. g. XXXVIII p. 391 . والشيرستاني من ١٣٢ ،
 وابن رسته (طبعة دي غوبه) من ٢١٨ (١ من ٦ ومايليه) ، وكتاب المعارف
 لابن قتيبة من ٣٠٠ .

(٢) Van Gelder, Mokhtar, p. 82 suiv (٢)

(٣) الشيرستاني من ١٠٩ ومايليه .

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين عقيدتي السبئية والكيسانية . فقد كانت السبئية تقول بحلول الجزء الالهى فى الامام وتجعل له نصيباً من الانوهمية نفسها ، بينما تعتبره الكيسانية رمزاً للعلم الالهى . ومنه قوله القول أن السبئية وإن كانوا يعتبرون امامهم شخصاً مقدساً ، فإن الكيسانية يبذلون له الطاعة باعتباره رجلاً رفيع المنزلة محيطاً بعلوم ما وراء الطبيعة . وتتفق الفئتان فى القول بالرجعة ، أى رجعة الامام . إلا أن السبئية يقولون بمودة الامام من مقعد السهاوى ، على حين ترى الكيسانية أن الامام لا يعلم به حتى ساعة ظهوره . وقد ظهرت هذه العقيدة فى شعر الشعراء المشهورين الذين يدينون بعقيدة الكيسانية (١) . من ذلك قول كثير فى محمد بن الحنفية :

وبسبغ لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يتبعها انواء

تغيب لا يرى عنهم زمانا برضوى (٢) عنده عمل وماء (٣)

وقد ضعف نفوذ السبئية حتى مر الخوارج . إلا أن مذهبهم فى التحسد ما فنى ينمو وينتشر (٤) . وسرى أن هذا المذهب قد ظهر فى شكل جديد حين تعرض الكلام على عقيدة الزاوندية .

أما الكيسانية ، ومن بينهم الهاشمية ، أنصار أبى هاشم ابن محمد بن الحنفية ، فكانوا يقولون : « فى لكل ظاهر باطن ، ولكل شخص روحا ،

(١) انظر ما كتبه مسيو Barbier de Meynard عن لفظ « سيد » فى Journ. asiat. 1874. II. p. 159 suiv.

(٢) هو جبل بالقرب من ينبع حيث كانت ممتلكات آل البيت .

(٣) الشهر سنائى من ١١١ والأقانى ج ٥ من ١٨٢ هـ .

(٤) وقد اشتركوا فى الثورة التى أثارها المختار وعبد الرحمن بن الاشعث

(ديوان الفرزدق ضبعة Boucher من ٦٣٢ . وفى الشعر العربى من ٢١٠) .
ومما لا ريب فيه أن هذا الاسم كان خاصا بهذا المذهب . فقد جرى العرف بإطلاق السبئية على جميع الغلاة من الشيعة .

ولكن تزييل تأويله، ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم، والمنتشر في الآفاق من الحكمة والأسرار مجتمع في الشخص الأنساني، وهو العلم الذي استأثر على أعلى السلام به ابنه محمد بن الحنفية، وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبي هاشم. وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامم حقا^(١). ولعقيدة المانوية أهمية كبيرة في تاريخ الشيعة. فقد ساعد مذهب اليه من التأويل والقول بأن لكل ظاهر باطنا على سرب الكثير من العقائد غير الاسلامية إلى الشيعة. تلك العقائد التي انتقلت اليها عن المجوسية والمانوية. X

(١) الشهرستاني ص ١١٢ (طبعة مصر سنة ١٣٦٧ هـ ج ٢ ص ٢٠١).
 المانوية نسبة الى ماني. وقد سئلت هذه المناشة — كما حاول القدامى من الاشرافيين — التوفيق بين المسيحية والوثنية في الشرق. وقد أخذت عقائدها ومقوسها عن التوراة وعن الفارسية القديمة Parsiism ثم البوذية. ويقول أنصار هذه المناشة بالاثينية وهي العقيدة الاساسية لديانة الفرس. ومن ثم يقولون بوجود مصدرين إلهيين لهذا العالم: أحدهما إله الخير وبرمزون له بالنور والثاني له الشر وبرمزون له بالظلمة، ويسمون الاول إله النور والثاني إله الظلمة، وهو الاله الذي صدر عنه هذا العالم المادي. وقد ندد عليهم بعض شعراء المسلمين بقوله

وكما لقلام القبل عندك من يد مخبر أنت المانوية تكذب

وقد بلغ من احتقارهم عمادة أن كانوا يزعمون أن الشيطان قد خلق منها. وانتشرت المانوية في الشرق والاسيا في بلاد الفرس والهند. وفي بلاد التبت والهند والتركستان حيث ظلت مزدهرة بها حتى القرن الحادي عشر الميلادي، ثم انتقلت إلى الغرب حتى وصلت إلى جنوب إيطاليا. وقد دعا القديس أوغسطين *Saint Augustin* إلى هذا المذهب وعمل على نشره زهاء ثمان سنوات. وناوأم كل من فالنتيان *Valentin* سنة ٣٧٢ م ثم نيودوسيمس الاول *Theodosius I* سنة ٣٨١ م مناوأة شديدة وأصدروا ضده المراسيم الشديدة.

أنظر دائرة معارف لاروس ص ١٢٦٦.

والبوذية وغيرها من الديانات الذي كانت سائدة في آسيا قبل ظهور الاسلام. وقد هيا النفوس الى اعتناق الاسلام انتشار المسلمين بعد أن هدموا الكثير من العقائد القديمة. حتى أنه سرعان ما نهر أثر عكسي لهذا التجماع الذي أحرزه المسلمون في نشر دينهم. فقد عصفت في تلك الولايات التي فتحها العرب تاحفة من عواصف البغض للاسلام X ولكن دين سماوي وسارت

X لم يقل أحد من المؤرخين أن أحدًا من هدام الله إلى الاسلام وشرح صدوره له قد ارتد عنه بعد أن دخل فيه راضياً. وليس تعوزنا الأمثلة التاريخية الكثيرة لتأييد هذا الرأي. فقد كان مشركو فريش يسومون المنضعين من المسلمين سوء العذاب ليقتنوم عن دينهم، فلم يرد ذلك إلا إجماعاً ونصباً. من ذلك ما ذكره ابن الأثير من أن مشركي فريش كانوا يخرجون عمار بن ياسر وأمه إلى الأبطح (الرمل المسطح على وجه الأرض. وهو بين مكة ومدينة) فنشر هذا اللغز في مجمع البلدان ليافوت إذا حبت الرضاء ويمذبوهم بخرها. فمات ياسر وأغلقت امرأته محمية القول لأبي جهل فضعفها بحرية قامت. وهي أول شهيدة في الاسلام. ثم أعمن المشركون في تعذيب عمار بالحر نارة وبوضع الصخر على صدره نارة، ثم بالنزريق نارة أخرى.

وهذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلف الجحى من مشركي فريش بالنبيه في الرضاء على وجهه ونهره إذا حبت الشمس وقت الظهيرة، ثم يأمر بالحجارة الكبيرة فتلقى على صدره، ويقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر ب محمد وأعيد اللات والجزى. وكان ورقة بن نوفل يعبه وهو يقول: أحد أحد! فيقول ورقة: أحد أحد واقع بلال. ولم يزل على هذا العذاب حتى اشتراه أبو بكر واعتقه.

أما خباب بن الارت فقد عذبه الكفار عذاباً شديداً، فكانوا يوثقون ظهره بالرمضاء ثم بالرصف (وهي الحجارة المحمأة بالنار)، فلم يزد ذلك إلا تمسكاً بالاسلام وإخلاصاً له. وقد هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

جنباً لجنب مع تذر الموالى وعمردى . ولما كان الاسلام يعاقب المرتدين عنه
بالقتل لم يجزوا أحد من هؤلاء على الارتداد عن هذا الدين جهاراً ، ومن ثم
وشهد معه المشاهد كلها .

ولم يقتصر تمذيب قريش المسلمين على الرجال بل تعداه إلى النساء . فقد
أُسلت لبينة حارية مواصل بن عدى قبل إسلام عمر بن الخطاب ؛ فكان عمر
يعمن في تعذيبها حتى يعل ، ثم يدعها ويقول : إني لم أدعك إلا سامة . ولم
تزل في هذا العذاب حتى اشتراها أبو بكر واعتقها (ابن الأثير ج ٢ ص
٣٠ — ٣٢)

وبعد شهد كل من أبي سفيان وهرقل أمراء الروم للاسلام بذلك
الشهادة التي تعتبر وثيقة تاريخية على ما لهذا الدين من أثر في النفوس وسلطان
على القلوب في ذلك الحديث الذي دار بينهما . وكان أبو سفيان إذ ذاك من
أئمة الكفر وزعماء المشركين ومن ألد أعداء الرسول عليه الصلاة والسلام .
أضف إلى ذلك حقه على الاسلام والمسلمين بمدة أن وترويه في غزوة بدر
الكبرى وقتل سبعين من صحابه بدرى من كانوا يحاربون المسلمين تحت
لوائه . وإلى القارىء طرة من هذا الحديث : قال أبو سفيان : خرجنا في
فرض من فرض تجاراً إلى الشام وواتنا بنا البصرة إذ هم علينا صاحب
شرطه (شرطه هرقل) ، فقال : أنتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز
(يعنى النبي صلى الله عليه وسلم) ؟ قلنا : نعم ! قال : اطلقوا بنا إلى الملك .
فأطلقنا معه . فلما انتهينا إليه . . . قال : أنكم أنتم به رحما ؟ قلت : أما . . .
فقال : ادنه (اقرب) . فأقمته بين يديه وأقعد أصحابي حلقى ثم قال : إني
سأسأله ، فإن كذب فردوا عليه . فوالله لو كذبت ما ردوا على . ولكنى
كنت امرأ سيباً أنكرم عن الكذب ، وعرفت أن أسير ما في ذلك إن أنا
كذبت أنه أن يحفظوا ذلك على ثم يخذلوا به عني ، فلم أكذبه . فقال : أخبرني
عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعى ما يدعى . قال : فجعلت أزهد له
شأنه وأصغر له أمره وأقول له : أيها الملك : ما يهلك من أمره ، إن شأنه فوق
ما يبلغك . فجعل لا يلتفت إلى ذلك منى ثم قال : أنبئني عما أسألك عنه من

ذهب هؤلاء يتلمذون سعادتهم الروحية بعيداً عن الاسلام وعقائده . وقد وجدت العقائد البابلية القديمة والآرية وغيرها الطريق إلى نفوس هؤلاء .

شأنه . قلت : سئل عما بدا لك . قال : كيف سبه فيكم ؟ قلت : محض ، أوسطننا نسباً . قال : فأخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يشبه به ؟ قلت : لا . قال : فهل كان له فيكم ملكة تستلتموه إياه بخاف بهذا الحديث لتردوا عليه ملكة ؟ قلت : لا . قال : فأخبرني عن تباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء . وأما ذوو الأستان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال : فأخبرني ممن تبعه أئجه ويترمه أم يقلبه ويقارقه ؟ (وفي رواية أخرى هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه ؟) قلت : ماتبعه رجل قدارقه . قال : هل يقدر ؟ فلم أجده شيئاً مما سألني عنه . فصره فيه غيرها . قلت : لا . ونحن منه في هدية (يريد صلح الطدينية) ولا نأمن . فغدره . قال : فواته ما التفت إليها مني . ثم كر على الحديث فقال : سألتك كيف سبه فيكم فرجعت أنه محض ، ومن أوسنكم نسباً وكذلك بأخذ الله النبي إذا خذله لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً . وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول مقوله فهو يشبه به ، فرجعت أن لا ، وسألتك هل كان له فيكم ملكة تستلتموه إياه ، فخاف بهذا الحديث يطلب ملكة فرجعت أن لا . وسألتك عن تباعه فرجعت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء . وكذلك تباع الأتباع في كل زمان ، وسألتك ممن يتبعه أئجه ويترمه أم يقلبه ويقارقه . فرجعت أن لا يتبعه أحد فيه ارقه ، وكذلك حلاوة الأيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه (وفي رواية أخرى وكذلك الأيمان حين تغافل بإشافته القلوب) ، وسألتك هل يقدر ، فرجعت أن لا . قلت : كنت صدقتني عنه ليفطيني على ما تحت قدمي هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه . التلق لسألتك . قال : فقميت من عنده وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول : إني عبد الله القدير . ثم أراي في كبشة (يعني الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان يكتبه كفار قریش بأبيه من الرضاع استخفافاً به .) وبوكشة هذا هو زوج حليمة سعدية التي أرضعت الرسول)

وهكذا نشأ من اختلاط هذه العقائد بالاسلام مذاهب جديدة ظالمنا كانت
تظهر فيها العقائد الاسلامية تغمرها الأمواج المتلاطمة من الخرافات والبدع.

أصبح ملوك بني الأصغر (يعني الروم) يهابونه في سلطانهم بالشام :
صحيح البخارى (طبعة بولاق سنة ١٣١٣ هـ) ج ١ ص ٨ ، الفهرى
(طبعة القاهرة) ج ٣ ص ٨٥ - ٨٧ ، فتح البارى (شرح البخارى) لابن
حجر المصطفى (القاهرة سنة ١٣١٩ هـ) ج ١ ص ٣٤ - ٣٥ ، عمدة القارى
(شرح البخارى للمعنى) (القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ) ج ١ ص ٩١ .

وليس أدل على صحة مذهبنا إليه مما جاء في كتاب The Preaching of
Islam, P. 224. ١٩٢١ ممر حور السير توماس أرنولد . فقد ذكر أن شايها
من المسيحيين اعتنق الاسلام بصفوفه ، فشكا المسيحيون ذلك إلى أحد
رجالات المغول من ذوى النفوذ ومن أكبر المشايخ المسيحيين ، ثم اتهموا
المسلمين بتحويلهم المسيحيين على الدخول في الاسلام . فأمر ذلك المغولى
بإحصاء هذا الشاب وأخذ يهرجه على الارتداد عن الاسلام بالمال حيناً وبالتهديد
والوعيد حيناً آخر . ولما لم يجد ذلك نفعا في صرف هذا الشاب عن دينه الجديد
لجأ الأمير إلى وسائل شتى ، ولم يدم نوما من أنواع التعذيب إلا ذاقه أيامه
فلم يزد ذلك إلا إيماناً . ولما لم يجد يعود ذلك المغولى وتهديده مرة فقتل .
وهكذا استشهد هذا الشاب مؤثراً الموت على الارتداد عن الاسلام . وبذلك
هذا بقول الشاعر العربى :

ولست أبالي حين أقتل ممداً على نى جنب كان في الله عزى
وهكذا مثل الاسلام في كل أدواره لا يدخل قلب امرئ إلا كان حرم
عليه من حياته ، يبدل نفسه دون الارتداد عنه ويريق دمه في سبيل الحرم عليه .
وما كان نذهب بعيداً وفقد أيد المؤلف نفسه صحة مذهبنا إليه في غير
موضع من هذا الكتاب . ولا سيما حين عرض ذلك الكلام عن ثورة الموالى والجند
في الاسلام إذ يقول (ص ٣٢ من الكتاب ، ٦٦ من الترجمة) مائمه : وما
الجند في الاسلام من إقليمي بخارى ومترقند . وإن كانوا قد انصرفوا عن
العرب (الأمويين) وخرجوا عليه ، فليس معنى هذا أنهم ارتدوا عن

وقد تيسر للأفذاذ من ذوي العقول المنة التوفيق بين حياتهم الأولى ومظاهر الحياة التي تتطلبها ذلك الدين الجديد، رغم ما لا قوة من الانقلابات الاجتماعية الخطيرة والأزمات العسكرية المنيغة. وأما العامة فقد وقتوا في

الاسلام، ثم قوله (ص ٣٤ من الكتاب، ٥٤ - ٥٥ من الترجمة) وقد أحفظ بخاري خودة (أمير بخاري) تفشادة اقتناع الكثيرين منهم (أهل بخاري) بصحة الاسلام واعتناقهم له. ولا غرو فقد كان لا يزال يطق الكفر رغم ظهارة الاسلام. وقد شق بخاري خودة منهم أربعة، ثم استرق من بقى منهم وأرسلهم الى أسد بن عبد الله بخراسان. على أن أحدا من هؤلاء ممن فروا من الموت لم يرتد عن الاسلام، بل ملوا جميعا مؤمنين به. وإله قد اختلط على قلوبهم. كما اختلط على الكثيرين من المستشرقين الذين كتبوا في التاريخ الاسلامي، بعض بعض أهل الولايات الاسلامية لبعض أمراء المسلمين كراهم هؤلاء للاسلام وسخطهم عليه حتى خيل اليه أن هؤلاء قد شتموا الاسلام وملوه.

أما هؤلاء الذين ارتدوا عن الاسلام عقب وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، فبهم لم يرتدوا عنه لبعضهم إياه وكراهم له، وإلما شتموا أن الاسلام قد انتهى بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك، فخرجوا على عنيقة التوحيد محمد هذا الدين، بل زعموا أن تركاة إنما هي تارة يدفعونها للرسول. ومن ثم لم يجدوا مبررا لدفعها بعد وفاته.

على أن هؤلاء لم يكونوا مسلمين حقا، فقد كان السواد الأعظم منهم من هؤلاء الأعراب الذين مروا على الشاق. وقد نعى الله سبحانه وتعالى عليهم هذا في غير آية من القرآن. من ذلك قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم. وإن أضيقوا الله ورسوله لا يلزمكم (إيمانكم) من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم. إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله سوجه لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون. قل تعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم) - الحجرات آية ١٤ - ١٦.

وسط الطريق . وهذا ما حدث في الشين الأول للهجرة ؛ فقصداً لجأ الناس إلى تأويل الاسلام حسب أهوائهم ، لما كان يموه من القوة المعنوية للارتداد عنه ومجاهرتهم بالخروج عليه X X . ومن ثم ابتدوا يستنبطون

وما يدل على أن هؤلاء لم يسلموا حقاً وإنما تورطوا في الدخول في الاسلام منهم باسلامهم على الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد ندد عليهم القرآن في ذلك بقوله (يحنون عليك أن أسلموا . قل لا تغنوا على إسلامكم ولكن الله يمس عليكم أن هذا كما للآيمان إن كنتم صادقين) — سورة الحجرات آية ١٧ — المترجمان

X X لعل « فإن فلو أن » بقصد أولئك الوصوليين الذين لم يدخلوا الاسلام عن اقتناع بصحته وإدراك لسمو مبادئه ، وإنما دخلوه لأنه دين الفاتحين ولما عساه يدره عليهم من النفع ويدبراً عنهم من الشر . وثلك سنة الله في خلقه وإن تجد لسنة الله تبديلاً ، إذ لا تكاد تخلو أمة من الأمم من ذلك الفريق من ضعاف النفوس ومرضى القلوب ، ولا سيما في تلك الأوقات العصيبة و لا تقلبات السياسية والاجتماعية العنيفة حيث يقوم دين جديد على انقاض دين قديم وتقوم دولة فتية على أنقاض دولة متداعية . ولقد مضى الاسلام وابتليت الأمة العربية بشك الماثمة التي اتخذت الاسلام جنة لتدبير المؤامرات ضد المسلمين . ولم يكن قتل عمر بن الخطاب على يد أبي لؤثمة إلا نتيجة لتلك المؤامرة التي دبرها له الهرمزان لما كان يكنه من الحقد للعرب بعد أن تلو عرش العرس ومزقوا دوتهم . كذلك اتخذ بعض اليهود والنصارى الاسلام سداً يكبدون من ورائه لهذا الدين الحنيف ، فأدخلوا فيه الكثير من الطوائف والأصاغر التي لا تمت إلى هذا الدين الحنيف بصلة . ولولا مقام به عفاء المسلمين ، ولا سيما عفاء التفسير ومصطلح الحديث لمقاومة ذلك الخطر الداهي لفساد الاسلام ولعمقت به أعاديير تلك الفلالات والبدع التي أثارها عليه هؤلاء الأعداء على الاسلام منذ القرن الأول الهجري .

منه ما يلائم ميولهم ويتضمن مع حاجاتهم على حين أنهم تركوا الكثير من
الفرائض الدينية التي كانت لا تروقهم . وكانت الطريقة الفذة التي كانوا
يلجأون إليها ، هي التأويل الذي وضع أساسه الأئمة من سلالة محمد (صلى
الله عليه وسلم) . وهذا ما حدا بجميع الساخطين والمتذمرين من الغلاة
المتطرفين إلى الانضمام إلى الشيعة في الدعوة إلى آل البيت .

وأما معاقبة الاسلام من ارتد عنه بالقتل فذلك أمر اقتضته سياسة الدولة
أكثر من الحرص على اسلام هؤلاء ، إذ كان أخوف ما تخافه الدولة الإسلامية
من الأتقاء على هؤلاء المرتدين أن ينقلبوا عيوناً عليها ، وبذلك يصبحون شراً
مستطيراً يهدد كيانها . ولا غرو أن سياسة الدين لا يكاد يفعل أحدهما عن
الأخر عند المسلمين :

أنظر Nicholson, Literary History of the Arabs, p. 197

وقد بينا سياسة الاسلام حيال هؤلاء المرتدين عند الكلام عن
قال أبي بكر لأهل الردة أنظر هامش (١) صفحة ١٤ — ١٥ من الترجمة .
على أن الاسلام كان شديد الحيفة في أمر المرتدين ، فكان لا يأخذ في ذلك
بالشبه ولا يتكلم فيه بالفتنة ، إذ كان يعمل المرتد ثلاثة أيام يناقشه خلالها علماء
المسلمين وقتهاؤهم فيما اتفق عليه من أمر الدين وما عرض له من الشبهة في
محنته ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة . وإلى التقارى طائفة
من أقوال الأئمة في هذا الموضوع . قال أبو حنيفة : إذا ارتد المسلم عرض
عليه الاسلام وأحسن ثلاثة أيام ، لأن الظاهر أنه دخلت عليه شبهة ارتد
لأجلها . فعليه برأية تلك الشبهة ، أو هو يحتاج إلى التفكير فليس له الحق
فلا يكون ذلك إلا عهدة ، فإن استعمل كان على الامم في عهده ، ومدة النظر
مقدرة بثلاثة أيام في الشرع كما في الخيار { خيار الشرط وخيار الرؤية في
اليوم } . فلهذا عهدة ثلاثة أيام . كتاب المبسوط شرح الدين السرخسي
(القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ) ج ١٠ ص ٩٨ — ٩٠ .

ويقول بعض فقهاء المالكية مانعه : واستتيب المرتد وجوباً ولو عبداً
أو امرأة ثلاثة أيام بلياليها من يوم الشبوت لا من يوم الكفر بلا جوع ولا

البهاشمية

وهنا يتساءل المرء : كيف كان موقف الأئمة من هذه المعتقدات التي
بالتقوا فيها وكانوا السبب في ظهورها ؟ على أن التاريخ قد كثرنا مؤنة الجواب
عن هذا السؤال . فقد أنكر الأئمة بأدى الأمر ما نسب اليهم الشيعة من
تلك الصفات كاعتقادهم بجميع الموم والأسرار . ولا غرو فقد رمى على في
النار كل من دناها منها من هؤلاء الغلاة ، ونرى عبد الله بن - يما إلى الحدائق (١)

عش بل يعلم ويحق من دله وبلا معاقبة وإن لم يقب . أنظر باب الردة
وأحكامها في الشرح الكبير للدردير (طبعة بولاق سنة ١٣١٩) ج ٤ ص
٢٧٠ ، حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٢٦٧ .

ويقول الإمام الشافعي : « ويجب استئانة مرتد ذكراً أو غيره لأنه كان
محترماً بالاسلام » وربما عرضت له شبهة قتال . وقبل يحل ثلاثة أيام . . أنظر
باب الردة في حاشية الأجرى على شرح المنهج (طبعة بولاق سنة ١٣٠٩ هـ) .
وقال الإمام أحمد بن حنبل : « ومن ارتد عن الاسلام من الرجال والنساء
وهو بالغ عاقل ، دعى إليه ثلاثة أيام » .

أنظر كشف القناع على متن الأفتاء (طبعة القاهرة سنة ١٣١٩ هـ) ج
٤ ص ١٠٠ — ١٠٥ .

بلا على أنه لا ينبغي أن يكفر مسلم يحتل محله أو قوله الكفر إلا إذا
كان التمسك بقوله أو بعينه محضاً عليه . وقد صرح العلماء بأنه لا يكفر مسلم
بقول يشمل الكفر من تسع وتسعين وجهاً ويحتل الأيمان من وجه واحد .
أنظر باب المرتد في حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدس . (طبعة
مصر سنة ١٢٧٢ هـ) ج ١ ص ٢٨٣ — ٢٩٢ — المترجمان .

(١) الشهرستاني ص ١٣٢ .

وجاء محمد بن الحنفية فشارك أباه في آرائه الدينية، وتورع عن أن ينشفع ويستفيد مما أحرزته أنصاره من النجاح في الدعوة لآل البيت، كما أنكر عليهم ما كانوا ينسبونه إليه من بخله بعموم ما وراه الطيبة (١).

على أن موقف هؤلاء الأئمة السلي لم يلبث أن تغير حين بدأ العلويون يدركون مقدار ما قد يستفيدونه من هؤلاء المفتونين بهم والمتعصبين في الدعوة لهم، ولا سيما بعدما رأوه من ضعف الدولة الأموية وما دب إلى جسمها من الانحلال، وكان عمر بن عبد العزيز يفتي الهاشمين بحبهم كثير (٢) من الشيعة الفلاة وصديق أبي هاشم الحميم، وقد تكلمنا عنه في الباب الأول. وفي الفارسي حكاية نقلها عن كتاب الأتاني عاها نصف مبول أبي هاشم ودهام: كان أبو هاشم برس العلويون لينقلوا إليه أخبار كثير، فإذا ما قاله أبو هاشم قال له: فعلت كذا وكنت بمكذ كذا، وقد أخبرت ذات يوم بمأذار بئنه وبين رسول آخر من المحدث كفة كلمة، فصاح كثير: «أنت رسول الله».

وقد بينا أنه كانت هناك حزب يدعى حزب الهاشمية يقدر أنصاره أبا هاشم ويرجعون أنه أحد بأمراء كهها، ويرون أنه أحق بالامامة من غيره، وتستطيع أن تستخلص من رواه لنا بعض المؤرخين أن أبا هاشم كان أول من نظم الدعوة لجذب الانصار إلى هذا الحزب (٣).

(١) كتاب الطبقات الكبير لابن سعد (مختصره) (١٧٤٨)، أنظر لفظ محمد بن الحنفية: قباع محمد أنه يقولون إن عندهم شيئاً من العلم قال فقام فينا، فقال إنا والله مدورتنا من رسول الله إلا ما بين هذين اللوحين، ثم قال اللهم خلا وهذه الصحيفة في ذؤانة سبني.

(٢) ج ٨ من ٣٤.

(٣) الطبري ٣: ٢٥٠٠، يعقوبي ج ٢ من ٣٥٦ وما يليها، ابن خلكان (شعبة Wistenfeldt) رقم ٥٧٩ من ١٠٠.

وقد ظهر لنا أن هذه الدعوة — وإن كانت دينية في أصلها ونشأتها — لم توجه دعائها نحو القلادة من الشيعة إلا لتضم إلى صفوفها الكثيرين من المعتدلين ممن لم يحملهم بغضهم لمن كان يعظدهم من ولادة الأمويين إلى كراهة الاسلام، كما اضطرت بطبيعة الحال إلى التوفيق بين الاسلام والمقائد غير الاسلامية، تلك المقائد التي كانوا لا يكتفون عن خباياها إلا لمن يكرسونه لهذه الدعوة، على أن الدعوة من الهاشميين قد أخذوا يطلعون العامة شيئاً فشيئاً على سر الدعوة الهاشمية حتى غدا ذلك جزءاً مكملًا لنظام الدعوة القاضية فيما بعد. ولم يكن لتلك الدعوة سوى عيب واحد وهو أنه كان يشترط في الدعاة الاخلاص التام للامام والطاعة العمياء لأوامره. ومن ثم كان أكثر ما يخشى من ناحية هؤلاء الدعاة أن يسبوا استعمال ما اقتنوه من أسرار الدعوة وأن يغتربوا الأمانة التي حموها فبدعوا لا تسهم.

كان العراقي — كما لا يخفى — مهد الدعوة الهاشمية، فكان داعي الدعاة يقيم بالكوفة داعي حين أن كان دعاته يتوفون بالبلاد الخابورة لها. وقد اتفرد صاحب كتاب العيون^(١) بأن خراسان كانت مهد هذه الدعوة. ولما كان ما ذكره صاحب هذا الكتاب إنما هو مقدمة لما تلاه من تلك الحوادث التي سنأتي على ذكرها، كان من السهل أن نحاكم بأن ما ذكره ذلك المؤرخ فيمكن إلا الاستنتاج خائباً. أسف من ذلك أن هناك من الأدلة ما يبين أن الدعوة الخراسانية إنما ابتدأت على يد العباسيين أو أولاد العباس هم النبي بعد أن استغلظهم أبو هاشم وألحق إليهم بمقائيد الدعوة^(٢).

وإن تاريخ اختلاف أبي هاشم لأبناء عمه من العباسيين لأمر لا يكاد يجهله من له بعض العلم بالتاريخ الاسلامي.

(١) كتاب العيون من ١ — ١٧ وما يليه.

Fragmenta historica arabica p. 130.

(٢) ابن اثير (طبعة دي غريغ) من ٣١٥. المقدسي من ٢٩٠ وما يليها.

القفاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تنفست بها الأهواء ولم يتوزعها
الذغل ؛ وعم جسد لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل ، وهلمات وطحى
وشوارب وأصوات هائلة ، ولغات ضخمة تخرج من أجواف منكفرة . وبعد
فانى أتقاء إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومتباح الخلق .

على أن هناك أمراً آخر — وإن لم يدل عليه كلام الامام — قد جعل
اختيار حراسان بوجه من اختياراً موفقاً . ذلك أن الخراسانيين الأقوياء
الأشداء قد قاسوا أسوأ صنوف الاستبداد من بين الأمويين . ولنا بحاجة
إلى تكرار مساوى النظام الإدارى فى عهد الأمويين ؛ فقد تكلمنا عنه
فيما تقدم . وحسبنا أن نذكر القادى^١ بما كان من تدمير الأهالي وكرهاتهم
العمال الذين عرفوا بسوء السيرة ثم رغبتهم الصادقة فى المساواة
والعدل ؛ تلك الرغبة التى وقفنا عليها من ثبات الحركة التى لم يزل الخادون بين
سريخ . وهكذا كانت حراسان أرضاً خصبة لا تنقصها سوى بذور الدعوة
لآل البيت^(٢) .

وقد أحضرت الدنيا عياسيون لتلك الدعوة وأظهروا حماسة شديدة
لنشرها فى الولايات الإسلامية ، فكانوا يجوبون بلاد حراسان ليشاء . وناهر
أمرهم النجارة أو الخرج إلى مكة . ولا غرو فقد كان هؤلاء يصطعدونهم
ويسمونهم العذاب قتلاً وصلب دون أن يرفقوا فيهم إلا ولا ذمة . ولما كان
هؤلاء الدعاة من النجارية ولد قحطان والمصرية من عرب الشمال فكانوا يجوبون
المدن والقرى حيث يصورون استبداد الأمويين أسوأ الصور ويتمونهم
بأنهم لا يزالون يبعثون الكفر رغم ادعائهم الاسلام . وكانوا لا يدعون
لشخص معين ، ولم كانوا يذيعون بين الناس أنه لا خلاص لهم إلا ذوالى
أمر آل البيت . ومن ثم نجحت جهود هؤلاء الدعاة . وقد عرفوا كيف

١ . (١) الطبرى ٣ : ١٩٥٠ و ١٤٣٤ و ١٥٠١ والديورى (طبعة Gibsons)

يجذبون إلى صفوفهم الكثيرين من قوى الرأي والجاه ، فكان لانضمامهم إلى الدعوة أثر عظيم في قيام الدولة العباسية. نخص بالذكر من بين هؤلاء سليمان ابن كثير الخزاعي الذي بايع جده الرسول تحت شجرة الخديبية^(١) ، وليس بعيداً أن يكون أبوه قد رابط بخراسان مع المرابطين من الجنود العربية ، على حين كان يقيم هو في سفيدج^(٢) ، وهو قرية بواحة مرو ، كما لا يفوتنا أيضاً أن نشير إلى شبيب بن قحطبة الطائي الذي نشر بعثته^(٣) ، وكان من أنصاره ، كما كانت تربطه بآل سرج علاقة وثيقة لما كان بينه وبين زعيم المرجة^(٤) من صلة الجوار القريب . وقد أسس هذان الرجلان مع عشرة آخرين جمعية أشبه بمجلس شورى تحت رعاية داعي الدعاة ، ثم اتخذ كل منهم لقب « نقيب » ، حتى تقوم ما كان يفعله الاسراييليون في مجلس شوراء^(٥) (الترآن الكريم ١٥: ٤) الذي كان يتكون من اثني عشر حوارياً ، ثم النقباء من أهل الشورى الذين انتخبهم الرسول من أهل المدينة^(٦) . وهكذا تأثر المباسيون في تنظيم دعوتهم بمجلس الحواريين عند اليهود من ناحية ، فأتخذوا اثني عشر نقيباً ، كما تأثروا من ناحية أخرى بمجلس الشورى في عهد الرسول ، فاتخذوا سبعين داعياً^(٧) .

وهكذا - أو كل ما دبره المباسيون سيراً حسناً إلى أن اتفق لهم حادث لم يكونوا ينتظرونه ففكر صفوة سياستهم في ما سيأتي بيانه .

(١) أنظر هذا اللفظ في كتاب الأنساب لسماعى ، أنظر أيضاً Sprenger.

Das Leben und die Lehre des Muhammed, III, 245

(٢) ونصادف هذا الاسم في الطبري ٢ : ١٥٩٥

(٣) أنظر اللفظ شرح تفسير في كتاب الأنساب لسماعى

(٤) الطبري ٢ : ١٩٣٢٠ (١٥)

(٥) Sprenger, vol. II, p. 632

(٦) الطبري ٢ : ١٥٨٦ ، ١٩٨٨

الخرمية والروندية

كانت الكوفة — التي ظهر منها الدعاة العباسيون — في مطلع القرن الثاني للهجرة مهداً للتشيع منطوق غير إسلامي . وهكذا لم يلبث الإسلام أن أصبح خليطاً من ديانات شتى ، على أثر إقصائه بالديانات والمعتقدات التي كانت سائدة في بلاد العراق قبل ظهور الإسلام (كديانة الفرس القدماء Zoroastrian والمناوية والصائفة وغيرها) وذلك لتخلف بينه وبين تلك الديانات المختلفة (وقد عرضنا هذا في صفحة ٤٣ — من ٨٢،٧٥ من الترجمة) . وكان الدعاة يقومون بنشر الدين الإسلامي بين الناس بحماسة وحمية رغم هذا التغير الذي طرأ عليه في ذلك الحين ويدافعون عنه بإخلاص وغيرة . يدل على ذلك ما كان من الحكم بالاعدام على الكثيرين من الفلاة والمبتدعين منذ أيام بني أبي بن مقلب إلى عهد المنصور العباسي (حين أصبحت بغداد حاضرة البلاد الإسلامية) ، وذلك لجرائمهم على الاندفاع في الإسلام وإدخالهم فيه ما ليس منه . ففي الكوفة نشأ مذهب الكيسانية ، وكانوا يرون أن الدين طاعة رجل واحد ، وأن طاعة ذلك الرجل فمهمهم من الاقمار وأوامره والالتقاء بتواحيه ، ثم الهاشمية الذين فتحوا الباب على مصراعيه لكثير من الأفكار المضطربة والمعتقدات المتباينة . وقد ساعد على ذلك ما ذهبوا اليه من القول بالتأويل . ولم يكن بد من أن يتأثر دعاة بني هاشم ثم العباسيون الذين نشأوا في هذه البيئة بشك الروح غير الإسلامية . ومن ثم لم أتردد في أن أنسب إلى دعاة أبي هاشم التشيع لعقيدة الهاشمية ، تلك العقيدة التي كانت — إذا لم أكن مخطئاً — عماد دعوتهم .

وأما الدعاة العباسيون فانا لانعلم بالضبط كيف كانوا ينشرون دعوتهم .

فقد أمر النقباء الغلاة من الدعاة بأن لا يصرحوا باسم المدعوة (١). وأن يظل هذا الاسم سراً مكتوماً إلى أن نحين ساعة الخلاص من إبراهيميين، عى حين أن أخفوا عن المعتدلين منهم سر عقيدتهم، عى أن هؤلاء الدعاة كانوا عى الرغم من ذلك متطرفين مغالين يراجهون الموت فى سبيل دعوتهم بشجاعة تذكرنا بهؤلاء الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم فى سبيل المذهب البائى، تلك التضحية التى لا يمكن أن أعزوها إلا إلى ما نأصل فى نفوسهم من الافتتاع الدينى بصحة دعوتهم (٢).

وبى القارى هذه العبارة التى نقبها الطبرى عن المدائنى المؤرخ المتوفى سنة ٢١٥ هـ فإنها تذكرنا براء سديد (٣) قول : « بنى رجلاً من الزاوندية كان يقال له الأبلق وكان أبرص، فتكلم بالخطب وده بالزاوندية، فزعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت فى عيسى بن أبى طالب ثم الأنمة فى واحد بعد واحد إلى إبراهيم بن محمد (سبط العباس عم النى) وأتبعهم آفة واستحووا الحرمات، فكان كل رجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله فيطعمهم ويستمعهم ويبيع لهم (الحرمات). فبلغ ذلك أحمد بن عبد الله فقتلهم وسأبهم، فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم، فميدوا أبا جعفر المنصور وسعدوا إلى الخضراء فآلبوا أنفسهم بأنفسهم بضربون (٤).

(١) الطبرى ٢ : ١٩٨٨ (٣)

(٢) أنظر مبروء الطبرى ٢ : ١٥٠١ وما يليه.

(٣) الطبرى ٣ : ٤١٨

Subject historiae Hachbi, e L. Presta, p. 15. Theophanes, ed. (1) Byz., p. 430.

ولا يزال يعزى إلى مائقة التصيرية من الفرس القدوة على الطير فى الهواء حتى اليوم، كما يعزى مثل ذلك أيضاً إلى بعض البوذيين (Buddhistica) De Gobineau, Trois ans en Asie, P. 367 suiv., Zeitschr. d. D. M. G. XLV, p. 380, n. 2.

وخرج جماعتهم في الناس بالسلاح فأقبضوا يصيحون بأبي جعفر أنت أنت
(يمنون أنت الله) .

وعقيدة الراوندية جديرة بالبحث والدرس. ويمكن الرجوع الى ما كتبه

Herbelot & Bibliothèque Orientale, t. v.

Weil, Gesch. d. Khalifen, II 37 Suiv.

Müller, der Islam in Morgen — und Abendland, I p. 494.

ولاسيما وأن المعلومات التي نقلناها عن المصادر التي اعتمدنا عليها ليست
وافية فيما يتعلق بعقيدة هؤلاء. وكل ما يهمنا في هذا الموضوع هو أن
المذاهب قد عزا في الدعاة العباسيين آراء وعقائد مماثلة لعقائد الراوندية
وآرائهم. إذ لا شك في أن هؤلاء الذين صلبهم أسد بن عبد الله وإلى
حراسان من دعاة العباسيين كانوا من الراوندية (١).

وليس أدل من ذلك ما ذكره بعض المؤرخين عن ثالث الدعاة واسمه
خداش (من خدش بمعنى مزق بألفاقره. وفي سمي بذلك الاسم كناية عن
تمزيقه الدين). وكان خداش يشتغل بصناعة الخرف بأخيرة (بالقرب من
الكوفة) وكان مبيحا ثم أسلم واشتغل بتدريس القرآن ثم انضم إلى
الدعوة العباسية. فبعثه داعي الدعاة بالكوفة إلى خراسان حيث أخذ يثبت
الدعوة لمحمد بن تقي. ولم يعبث أن الخرف عن العباسيين وأخذ يذيع عن
الامم العباسي بعض العقائد الباطلة ويشتري بين الناس عقائد الخرمية ويدعو
إلى الاشتراكية مما أدى إلى قيام الثورات اللاحقة (العباسي) والشيعة من
أهل خراسان. وقد قتل ذلك حتى بعد موت خداش سنة ١١٨ هـ حيث أمر
أسد بن عبد الله بقطع أمراقه ثم قتله (٢).

(١) أمر أسد بقتل بعض الدعاة العباسيين في سنة ١٠٧ و ١٠٨ و ١١٧ و ١١٨

(٢) الطبري ٣ : ١٥٨٨

وهذه الحوادث — رغم ما فيها من نقص — قد نخبز لنا بأن نعتبر خدائنا أحد هؤلاء الراوندية الذين عرض لهم المذائبي ، على أن تلك المعلومات لا تكن هي ولا ما ذكره المذائبي لا بداه رأي عام عن حقيقة مذهب أولئك الدعاة العباسيين ، لذلك نكتفي بذكر بعض الملاحظات العامة عن هذا المذهب .

كان السنيون لا يهتمون شيئاً من تلك الطوائف التي كانت تحاول الوصول من وراء الشعائر الدينية إلى حكمة جميع الشرائع وسرها ، إذا كانوا يعتبرونها أرقى وأرفع من تلك الظواهر الدينية ، وذلك لبعض أهل تلك الطوائف جميع الديانات السماوية لما كانت تنقلهم به (حسب زعمهم) من الواجبات وتقرمه عليهم من الفروض .

من ذلك مثلاً ما روي به السنيون أهل هذه الطوائف من محاولة تدوير ارتكاب المعصيات حين قال بعضهم إن أوامر القرآن وعواظهم لا قيمة لها في نظر المؤمنين الذين أدركوا أمرار الدين ورأوا أنهم في حضيض من الخروج عليها ، ويرى بعض الباحثين أن هناك صلة بين اسم الحُرْمَةِ الذي قد يكون مشتقاً من حُرْم اسم المدينة ببلاد ميديا^(١) — أو كلمة حُرْم ، ومعناها « المدينة » ، فإذا ما تكلمنا عن « حُرْم دينيا » — *dharm* — فذلكي تبين أن هؤلاء كانوا لا يعرفون ديناً غير هذه . ومن هنا يتبين لنا أن هذه الطوائف وإن كانت قد جمعت أسماء مكة أرقى من تلك التي لها في البلاد الشرقية وأباحت هي الظهور في التجمعات الدينية^(٢) ، فلم يكن ذلك إلا بقصد الاستمتاع بظهورهم في تلك التجمعات .

Müller, *Der Islam im Morgen* — und Abendland, I. 405 . (١)

De Gienneau, I. 1, p. 361. De Sacy, *Exposition de la religion* (٢) des Druses, II. 397 suiv. ; Browne, *A Year amongst the Persians* p. 216.

على أن ما ذهب إليه هذه الطائفة من الاستمتاع بالثقة التي لا حد لها لم يكن العامل الوحيد فيما كان يكتسبه أهل السنة من البغض لهذه الطوائف ، وإن كنا لا نستطيع في الوقت نفسه أن نشكر أنه كان لغلو بعض المتطرفين من أهل هذه الطوائف أثر كبير في بغض السنيين لطائفة الخرمية ^(١) . يؤيد ما ذهبنا إليه هذه البحوث الجديدة التي قدم بها مستر « براون » عن البابية X

Brown, II, p. 523

(١٩)

X أسس هذه الطائفة ملاد الفرس سنة ١٨٤٤ - ١٨٤٥ م ميرزا علي محمد الشيرازي ولما بناهز الخامسة وعشرين من عمره ، وكان قبل أن يؤسس هذا المذهب أحمد نلاميد السيد كاظم من أهالي مدينة رشت وزعيم طائفة الشيوخ إحدى طوائف الشيعة الخائية ، وتماز الأديبة من بين طوائف الشيعة بالقول بوجود واسطة بين الإمام الثاني عشر وأتباعه ويسمونها هذه الواسطة « ركبي رابع » أو « الشيعي الكامل » ، وهو أحمد الأتوب الأرميني الذي رآه الإمام علي مرتضى ، سمعته أثناء غيبته الصفري (٢٦٠ - ٣٢٨ هـ / ٨٧٥ - ٩٤٠ م) . لذلك سمي هذا المذهب « البابي » ، ولم تكن تسميته بهذا الاسم واجعة إلى « باب الله » أو « باب الدين » كما زعم بعضهم أن ميرزا علي محمد قبله تلقب بهذا اللقب ، على أن ميرزا هذا لم يلبث أن عدل عن هذا اللقب (باب) ولقب نفسه « حجة » ، فقل لقب باب شاغرا إلى أن تلقب به أحمد نلاميد حسين محمد من أهالي مدينة بصرى ببلاد الفرس . وفي سنة ١٨٦٣ م زعم ميرزا حسين علي الملقب « بهاء الله » وأحد أتباع صبحي عزيل زعيم البابية في ذلك الحين بأنه ينبغي المنتظر (من يظهره الله) ، فتبعه كثير من البابية على حين أن رفض عزيل وأتباعه القلقين الاعتراف بما ادعاه بهاء الله . ومنذ ذلك الوقت انقسمت البابية إلى طائفتين : العزيلية والباهائية . وقد بدلت الحكومة الناصرية المساعي لظرد البابية من بغداد ، فعادرتها إلى القسطنطينية ثم إلى أدرة . وفي سنة ١٨٦٨ م اعتقل بهاء الله وأتباعه بمكة في سورية ، على حين أن نبي صبحي عزيل وأتباعه في جزيرة

في بلاد الفرس^(١)، ولم تدخر المصادر الفارسية التي يصح الاعتماد عليها في هذا الموضوع وسعاً في كيد التهم لبائعين بنفس الكيل الذي كان المسلمون في صدر الاسلام يكيلون به تلك التهم نفسها لعائنة الخرمية. ويؤمن أصحاب هذه المصادر أن جميع البائعين كانوا لا يتشيدون بالشرعية الاسلامية ولا يدينون بها، وأن كل شيء مشترك بينهم سواء في ذلك الزوجة أو النساء، حتى تبسط مملكة «باب» سلطانها على العالم أجمع وتسن قوانين جديدة لتنظيم الحياة الروحية والبرية^(٢). وقد نشرت جريدة طهران اليومية الكثير من المقالات في كيد البائعين وخادعهم واتهامهم نحو الاشتراكية، تلك الاشتراكية التي لم تكن إلا مقهراً جديداً للاشتراكية التي كانت سائدة في أيام مزدك^(٣).

فبرمن، فقتل بها حتى مات سنة ١٩٠٨. وأما بهاء الله فقد مات بهكاه سنة ١٨٩٢. خلفه ابنه عباس أفندي الملقب بابي بهاء.

وقد دب الانقسام بين مائة البهائية على إثر قيام محمد علي أحمد بن بهاء الله الأمامة وادعائه الزعامة بعد أبيه. على أن عباس أفندي لم يلبث أن انتصر على أخيه واستقل بالامر دونه. وقد نشرت البهائية في أمريكا على يد ابراهيم جورج حبر الذي لم يدعو لمحمد علي البهائي في مدينة شيكاغو. ولا يزال هناك فريق كبير يدين بالذهب البهائي في أمريكا الى اليوم. ويرجع ذلك الى مقام به دعاة البهائية، وعلى رأسهم ميرزا أبو الفضل، لبث لعالم هذا المذهب ودعوتهم الى عباس أفندي.

أنظر دائرة المعارف البريطانية، ص ١٠٠٠، كشيء كل من

De Gobineau, Religion et Philosophie dans l'Asie centrale (Paris, 1900) ; Brower, The New History of the Báb (Cambridge, 1893).

— المترجمان —

« The Báb of Persia », Journal of the Royal Asiatic Society, xxx, p. 380 sq. and "A Traveller's Narrative written to illustrate the claims of the Báb".

Mirza Ghasir Beg, Le Journ. asiat. 1836 t. I, p. 482. (٢)

(٣) لمعرفة مزدك والمزدكية أنظر Nöldeke

بيد أنه ليس ثمة ذكر مطلقاً لذلك الغلو الذي نحن بصدد في كتب
البيانيين التي يحفلها مستر هـ براون هـ تعجباً تاماً ، والتي تعد دراسة مهمة
ولا سيما فيما يتعلق بالنتائج التي وصل إليها . وإذا كان انصراف هؤلاء عن
الاشتراكية يعتبر تحدياً هـ ، فمن البعيد جداً أن يحتم زعماء هذا الحزب
على أتباعهم التمسك بتلك الاشتراكية باعتبارها قاعدة لا يمكن الخروج
عليها . أخيراً ، في ذلك أنه لم يرد شيء مطلقاً عن تلك الاشتراكية في كتبهم .
لذلك لا ينبغي لنا أن نأخذ بكل ما يمدنا به المؤرخون من العرب في
علاقته عن موانئ الحرمية التي أتينا عن ذكرها . وأما تلك الزعة التي كان
يرميهم بها أهل السنة ، وهي استحلال المحرمات . فمشوها هذه الحالة النفسية
المماثلة لتلك الحالة التي كانت مسيطرة وقتئذ في بعض الناس كهم من صموئيل
(أنظر ص ٣١ وما يليها من ٦٥ من الترجمة) ، الذي لم يدحر أهل السنة وسماً
في رميه ، بل تلك التهم (١٩) . في أن تلك الزعة لم تكن أكثر من كراهة
لتمسك بالشعار الدينية — ذلك التمسك الذي طاف كان يتخذ ذريعة
لانتقام الشعوب الأجنبية — ثم نفس الغم واحتقار الجمع الثروات بوسائل
دينية . أما نظرية النجس التي جمع الزاوندية بينها وبين عقائدهم غير الإسلامية
فقد مولوا بها الخلفاء بن عبيدة السبئية (أنظر ص ٤٠ من الكتاب ،
ص ٨٩ — ٩٠ من الترجمة) ومذهب الكيسانية الذي يقول أتباعه باستمرار
النبوة . لذلك لا يبعد أن يكون مذهب الحزب الأول من هذه المذاهب
الذي نالنا كافي بشرحه البياسنية (أنصار مذهب وحدة الوجود) ثم المصلحون
من الفرس ، وهو مذهب تسمد الحكمة الأخية و شجع من الأشخاص .
ومن ثم لم تقتصر النبوة عن تلك الفترة القصيرة من الوحي . وإنما هي
— حسب زعمهم — في نظرم حكمة خالدة لا يزال يشع نورها على الأرض ،
سواء ظهرت في شخص معين أو ظلت مخبئة في مقراها الأسمى .

انتقال الدعوة العباسية

من العراق إلى خراسان

وليس بعيداً أن يكون خدائش قد دنا لنفسه بعد أن خرج عن الدعوة العباسية وتخلص من قيودها ، وزعم أنه يحيط بالأسرار الألفية كما فعل غيره من الدعاة ، ثم أقام نفسه زعيماً بعد أن كان داعياً غيبياً بأمر بأوامر رئيسه (١) . وهكذا تحقق الخطر الذي تنبأنا به من قبل . وهو أن يسي الدعاة استعمال ما علموه من أسرار الدعوة وأن يخونوا الأمانة التي حملوها فيدعون لأنفسهم جهاراً . وقد بينا أثر ذلك فيما سبق . وقد استطاع خدائش أن يضم إليه بعض التقباء . ومن بينهم أحد أولاد سيمان بن كثير الكوفي انقطع الصلة بين الخراسانيين وداعي الدعاة في العراق وقاتل في ذلك حتى موت خدائش . في أن الدعوة العباسية لم تعتمد رغم ما كان يصدق بها من الأخفاء ، كما لم يكن لمعتقد الشيعة الغالبة — كالتي كان يدعو إليها خدائش — أثر كبير في نجاح تلك الدعوة . فان هذه العقائد لم تستطع أن تؤثر إلا في بعض الدعاة ممن كانوا يعطفون عليها ويميلون إليها . وهذه العقائد ، وفي استطاعت وقتاً ما أن تفتح الجمهور بالوعود الخلاقية والسعادة الأبدية ، فان عجزها عن أن تقنع العامة ثم دعوتها إلى منهج الباطنية وفولها برحمة الوجود قد ردّها عن أعقابها ورجع بها إلى ذلك الحول الذي نشأت فيه .

وكان الخراسانيون الذين يختلفون اختلافاً كبيراً عن أهل بلاد فارس الغربية (وهم أهل مديا والعراق وبلاد الفرس نفسها) أقل نزوعاً إلى حياة

(١) انظر سيرة بعض أشياعه في التذييل السادس من هذا الكتاب

التفكر والتأمن . ولا يزال منهم حتى اليوم عدد كبير من المسلمين المتحمسين لمذهب أهل السنة . أما كراهتهم للأمويين فإنما كانت لحكمهم الظالم ونيرهم الذي لا يحتمل . كذلك لم يكن ميلهم إلى أهل البيت إلا رغبة فيما كانوا ينتفرون به عن أيديهم من الحكم بائق والعدل في السيرة . لذلك كانوا لا يفضلونهم على آخر ، حتى أنهم قد رحبوا بالعباسيين وأخلصوا في خدمتهم حين عمو آخر الأمر أن الخلافة لهم دون غيرهم من أهل البيت . وكان هؤلاء الدعاة الذين أوفدهم العباسيون من الكوفة لجذب أهل هذه البلاد إلى دعوتهم خطراً شديداً عليهم ؛ غير أنه لم يكن بد من استخدامهم أول الأمر . ومن ثم كان زمام بني العباسيين أن يتلمسوا غيرهم من أكره صلاحية وآمن جانباً . ولا سيما بعد أن فرغوا من وضع أساس الدعوة لهم في البلاد الإسلامية .

وقد فسر العباسيون هؤلاء من بين النشطاء الذين كانوا يتشغون الحزب الخراساني وجرأهم سليمان بن كثير . لذلك وحسب طلبنا أن نقف بوجه خاص بدراسة ذلك الحزب الخراساني . ويشعر لنا أنه كان ثمة فرق كبير بين هؤلاء النشطاء وبين الدعاة من أهل العراق ، كما نرى في الوقت نفسه أن عقيدة هؤلاء النشطاء — وقد نشأوا في خراسان وأنتموا بنى مقرية من مرو — لم تختلف في شيء عن عقيدة السواد الأعظم من مواليهم . وأن الدعاة من أهل العراق إنما كانوا يأتونهم من الناحية السياسية لا الدينية . وقد قل أحد الثوار من أهل اليمن ، حارث بن سريح ، إنه لا يريد العمل إلا بكتاب الله . فصاح قحطية أحد النشطاء : « لو كان صادقاً لأمددته ألف عنان » (١) . وليس ثمة غم أو عراق في تلك الكلمات . فقد صدرت من مسلم يرى في كتاب الله المنشئ الأعلى ثمالة والحق . وكان أشجع الحارث بن سريح دون غيره يعرفون كيف يصبرون حتى تحين الفرصة . كما أدركوا منذ اللحظة

الأولى أنه لا مناص لطرده الأمويين من جيش على تمام الاستعداد للقتال في أي لحظة. لذلك انضموا إلى هؤلاء الدعاة ودخلوا في الدعوة المباسية متأعين. وقد اتبع بعض النقباء خدائشاً حين جهر بالدعوة إلى مذهب الخرمية في الوقت الذي ثار فيه السواد الأعظم منهم على هذا المذهب. ومنذ ذلك الحين ابتدأ هؤلاء يهيمون سياسة المباسيين وأنهم قد انخدعوا بدعوتهم. فقد أدركوا أن هذه الدعوة لم تقم في الواقع إلا على البدع والمقائيد التي لا تمت إلى الدين بأية صلة، حتى إنهم لم يغمضوا إلى احتجاج الإمام على مذهب الخرمية حين أرسل إليهم داعي الدعوة من بلاد العراق ليمنعهم أن يخذلوا حمل شيعته على غير منهجه. ولم يسمهم الإمام (محمد بن علي) أن يصفوه إلا بعد أن « بعث إليهم بعض مضمية بعضها بالحديد وبعضها بالشبه ». فقدم إليهم بكبر وحجب النقباء والشيعه. ودفع إلى كل رجل منهم عصاة فعموا أنفسهم بحالهم لسيرته فرحموا وتابوا (١).

وقد روى لنا بعض المؤرخين (٢) خبر زيارة سبيل بن كثير للإمام سنة ١٢٠ هـ بعد سنتين من وفاة خدائش. عن أن أحداً من هؤلاء لم يذكر لنا شيئاً عن تلبية تلك الزيارة، اللهم إلا بعض عبارات عامة لا قيمة لها. وليس من الصعب علينا أن نأثّر تلك الزيارة. فقد ساد على إثرها السلم بين الخراسانيين وزعيم المباسيين.

ومنذ ذلك الحين لم نسمع شيئاً عن الدعوة التي كانوا ينفذون من العراق. ولا سيما بعد أن انقطع سبيل بن كثير (٣) أعيان الدعوة ببلاد خراسان.

(١) الطبري ٢ : ١٩٤٠.

(٢) *Fragmenta hist. arab.* p. 182.

(٣) انظر كتاب الملقى الكبير للقرطبي في المكتبة لاهلية بياريس ورقه ٦٥.

والذييل السادس من هذا الكتاب. *Quatrenere Journal asiatique.*

1833, II. — 36.

وهكذا نجح الشيعة وحده من بين جميع الأحزاب المعادية لبني أمية
في تقويض عرش الأمويين بفضل تلك الحركة التي قاموا بها ليث الدغائيد
الشيعة بين المسلمين .

على أن الكوفة لم تمت تصالح لأن تكون مركزاً لتلك الحركة ، فقد
كان أهلها خليطاً من عناصر مختلفة عرفوا بالتقلب في الميول والأهواء .
أما أهل خراسان وإن كانوا أقل غلواً فقد كانوا أكثر حماسة بالدعوة
لآل البيت . وقد جذبت دعاية بني العباس في ضم الخراسانيين الذين عركتهم
الحرب إلى الدعوة العباسية في الوقت الذي احتدم فيه النزاع في غير مائل
بين المتطرفين من الشيعة وبين الخوارج في بلاد العراق وميديا .

ولم يبق أمامنا الآن إلا أن نبحث عن ذلك الدافع الذي حمل هؤلاء
على الخروج عن بني أمية في الوقت الذي كان يزعم فيه الأمويون أنهم قد
انتصروا على جميع أعدائهم .

لم يكن ذلك الدافع سوى عقيدة هؤلاء بالمهدي المنتظر .

الباب الثالث

الاسرائيليات x

— ١ —

أنتابو ببعض الأشخاص والحوادث المعينة

يجب أن لا يعزب عنا حين ندرس التاريخ الاسلامي بوجه عام والشرق بوجه عام - مبلغ تأثير ازواج الشرقية بكل ماله علاقة بالتأثير وكشف حب

x الاسرائيليات : *Urayanous Messianiques* نسبة الى *Messia* ، وهي مشتقة من اللاتينية *Messias* ، واسريانية *Moshim* بمعنى تمسوح ، ومن العبرية *Moshih* بمعنى المسيح والمراد به المسيح بقرب المقدس ، وهو رز لتتويج الملوك عند الاسرائيليين . ومعنى هذه الكلمة المحرر أو المخلص الذي بشر به الانبياء بنى اسرائيل والذي عبده المسيحيون واثقوا اليه بالمودة في شخص المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . وقد تمتلك الناس بهذه العقيدة منذ هبوط آدم عليه الصلاة والسلام . ويطلق القرنية كلمة *Messiah* على كل شخص مدّاح ينطلق اليه الناس ويفتظرون ظهوره . وقد منعت التوراة هذه الكلمة قبل ظهور عيسى بن مريم . سلاطين مختلفين ، مختلفين بالمعنى العام على الملوك والانبياء وكل من بمعنه الله برسانة من عنده ، أي حين أن تستقيا بالمعنى الخاص على لرسولي الذي بمعنه الله لتكفير خطايا البشر وإقامة بني اسرائيل وتخليص العالم مما نزل به من الظلم والاضطهاد . وهكذا كان شعب الله يختار أول من دنا بهذه العقيدة كما لا يزال ينتظر ظهور ذلك المخلص في اليوم . وقد ظل القرون الطويلة يحدوده ذلك الامل الذي كان يشجعه على التحمس بأهدابه تنبؤات الكثيرين من انبياء

الغيب عن المستقبل — قل ذلك التأثر أو أكثر — ذلك التأثر الذي يرمنا أن
ناتبع آثاره وإن كان من الصعب علينا تحديد مداه .

بنى إسرائيل الذين ضلوا عشرين قرناً يبشرون بهذا المهدى ويتشبثون بذلك
الخلص الذي ينتظره جميع الشعوب والأمم .

ويرى بنو إسرائيل أن فكرة المسيح قديمة درجت مع الانسان منذ أيامه
الاولى . ولا غرو فانهم يزعمون أن الله قد بشرهم به ووعدهم اياه غداة اليوم الذي
هبط فيه آدم من الجنة بعد أن غررت به الحبة ووسوست ليه أن يأكل
من الشجرة التي نهاه الله عنها (سفر التكوين : ص ٣ آية ١٥) . ويقول
النبأ عن إسرائيل بن ذلك « الخلف » سيخرج من نسل إبراهيم اسحق
ابن يعقوب من قبيلة هودا (سفر التكوين : ص ١٢ آية ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧) . وبه
سينتصر على قومه رغم ما فيه له وكرهه له . وأنه سيشرع لهم من الدين
الأمم ثمة به الشريعة الموسوية ، وأنه يولد من امرأة عذراء بيت لحم .

هذه هي عقيدة المسيح كما يدعي بها الامم قبل يونان على أنها اذا دفقنا
البحث وجدنا أن تلك العقيدة كانت منتشرة بين جميع الشعوب والأمم . فقد
ظهرت في خرافة تصون *Explan* وهوروس *Horus* عند قدماء المصريين ، كما
تجددها أيضاً في مذر *Mithra* إحدى أقدم النسخ القديمة ، ثم في كتب
المسيحيين القديمة . وكذلك في عقائد الهندو ولاسيا ما يتعلق منها بتناسخ اراهما .
ولا تزال آثار تلك العقيدة مقيمة الى اليوم بين أهالي شبه جزيرة اسكندريا و
بين الوثنيين من بلاد المكسيك . ويقول فولتير ويرى الهندو والمسيحيون
أن المسيح سيخرج من المغرب على حين أن يرى الغربيون أنه سيخرج من
المشرق .

ويطلق علماء المسلمين كلمة إسرائيليات على جميع العقائد غير الاسلامية ،
ولاسيما تلك العقائد والاساطير التي دسها يهود و نصارى في الدين الاسلامي
منذ القرن الاول الهجري .

نظر نمط *Messie* في دائرة معارف لاروس ودائرة المعارف الفرنسية ،

وقد أفرد ابن خلدون في « مقدمته » فصلين لدراسة هذا الموضوع
يعتبران من أهم فصول هذا الكتاب^(١) . ويؤكد ابن خلدون أن يكون
المؤرخ الشرق الوحيد الذي أدرك أهمية هذا النوع من التنبؤ في تاريخ
الشرق ، كما كان أول من نعى عليه وشتمه بطلانه . وأما نحن معشر الغربيين
فقد استرعت عقيدة المهدي — والمهدي المنتظر بوجه خاص — أنظار
المستشرقين منا ، لما كان لها من الأثر في سياسة الشرق حتى اليوم . ولا
تزال بحوث مسيو دارمستيتير (M. Darmesteter) وسنوك هر جرنيه
(Snoch Hurgrouje) عن نظرية المهدي ذات أهمية تاريخية كبيرة^(٢) .
وقد بين لنا مسيو دي غوييه (De Guignes) في كتابه
Carnavals du Bahrein, etc. مقدار ما كان لتلك التنبؤات من الأثر في
عجري الحوادث في القرن العاشر الهجري (وبخاصة ما كان يقوم منبهاً في بعض
قواعد التنبؤ^(٣)) ، من حين لم يكن غير من المؤرخين يكتب هذه الناحية
من نواحي التاريخ الاسلامي . وليس يختص في هذا الموضوع سوى هذه
المعلومات القليلة التي خاضها لنا كل من مسيو دي ساسي (De Sacy)
ولفط Messali في دائرة المعارف الفرنسية ، ثم ما كتبه

Drummond, The Jewish Messiah, Kington, Religion of Israel, Chap.
XII, F. J. Sherman, Life and Times of Jesus the Messiah, 2nd. ed.
vol. I, pp. 160 - 179, vol. II, p. 418 sq.

— المرجعان .

(١) Notices et Extraits, Tome XVII, p. 112 - 201, 1801 - -
Notice et Extraits, Tome XVIII, p. 158 - 207.

(٢) أنظر كتاب Le Mahdi depuis les origines de l'Islam jusqu'à
nos jours, Paris, 1895.

للأستاذ جيمس رادمستيتير (James Darmesteter) وكتاب Der Mahdi
للأستاذ سنوك هر جرنيه (Snoch Hurgrouje) في Separat. Abdruck
Von der Revue coloniale internationale, 1885.

(٣) De Guignes, Memoire sur les Carnavals du Bahrein et les
Folies, p. 115 suite.

وكرمير (Quatrenière) أو فابل (Weil) ودوزي (Duzi). وقد أفردت في كتابي الذي كتبتُه عن اعتلاء العباسيين عرش الخلافة فصلاً خاصاً لتلك التنبؤات التي كان يؤمن بها الناس والتي تأصلت في نفوسهم ولا سيما في عهد بني أمية^(١). وقد مكنتني مقام به العلماء من البحوث من الإحاطة بما كان لتلك التنبؤات من الأثر في سياسة الدولة الإسلامية في ذلك الحين. ويرجع كل ما ذكرته في تلك الضربتين المختلفتين اللتين كانت تعالج بهما الأمور المستقبلية، وهما تكون هذه التنبؤات سوى تكهنات لا يكاد يعرف واضعها، كما كانت تتعلق بوقوع بعض الأشخاص من ذوي المكافة والشرارة أو ببعض الحوادث العامة. وإلى القارئ بعض الأمثلة من تلك التنبؤات: كان اختار زعيم الشيعة يزعم أنه هو ذلك الرجل من ثقيف الذي يفتح عليه بالمدار^(٢) فذبح عظيم^(٣). من أن تلك النبوءة قد صدقت في الحجاج بن يوسف من نفس قبيلة ثقيف، فقد انتصر على أحد الثائرين، وهو عبد الرحمن بن الأشعث^(٤). كذلك أبي الحسين بن علي أن يدركي نذر الثورة في بلاد الحجاز، وذلك لما أخبر به أبوه من أن بها كبتاً يستحل حرمها، وقال: لا أريد أن أكون ذلك الكبت^(٥). وقد ذكر الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي حين مات زيد بن علي هذه النبوءة وهي أن شاء مستفزع بالمراق^(٦). وهناك نبوءة ثالثة وردت في بعض الأحاديث عن الرسول صالم كان يتحدث بها الناس، والله إنك الأثير في قيس المذبوح

Opuscule des abbassides, p. 162 suiv.

(١)

× مكان بين واسط والبحرة — انظر معجم البلدان لياقوت

(٢) الفهرست ٢: ٧٤٨

(٣) شرحه ٢: ٢٧٦

(٤) شرحه ٢: ٨٤٦

فيما كما تدرج الشاة (١) . وقد نبأ بعض المنقبين للعارف بن مريخ أنه
سيموت تحت زيتونة أو شجرة غيرة (٢) . وقد تحققت تلك النبوة وجاءت
كفائق العيص . ومهر الأصبع بن عبد العزيز أحد أمراء بني أمية في هذا
النوع من التكهن بالغيب وكشف الأمور المستقبلة (٣) ، كما حدثت ابنته
دحية نفس ذلك العلم . ولم رأى الأصبع الشج في وجه أخيه قل : الله
أكبر ! هذا أشع بن مروان الذي يملك .

ومما يجب ملاحظته أن هذه التنبؤات كانت متشابهة كما أن واضعها
إما من اليهود أو المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام (٤) .

وقد نبأ أحد اليهود (وأس الجاوت) بموت الحسين (بن علي) بالقرب
من كربلاء (٥) ، كما نبأ أبيع ابن امرأة كعب الأحبار . وكان أبوه يهودياً .
بموت عمرو بن سعيد (٦) .

وكان بجانب هذه التنبؤات المتفرقة كتب لتكهن والنبي بالغيب . على
أن هذه الكتب لم تكن معروفة عند العرب في بادئ الأمر ، وإنما وصلت
اليهم عن طريق اليهود والمسيحيين الذين كان يحتفظ بها أنبياءهم من رمن بعيد .
ومن بين هذه الكتب ما كان يمزوه مؤلفه في بعض الأنبياء لتعوز شيئاً
من ثقة الناس بها ، كما كان منها ما يخونى عن مناعة من الألفاظ والأحاجي
وما إلى ذلك من الكتب التي لم تكن إلا رموزاً غامضة وشارات مبهمه .

(١) الطبري ٣ : ١٦٤

(٢) شرحه ٢ : ٢٩٣

(٣) كان عالماً بخبر ما يكون . بن قتيبة — كتاب المعارف ص ١٨٤

(Wüstenfeld , Register general. Tabel ١)

(٤) الطبري ١ : ٢٤٠٣ و (٥) ٢٤١٠ (٢ وما يليه)

(٥) شرحه ٢ : ٢٨٧

(٦) شرحه ٢ : ٧٨٦

وقد وصلت تلك التكهّنات إلى العرب على أيدي القيسيين والرهبان
والقبض واليهود وغيرهم من أخذوا على عاتقهم إذاعتها بين المسلمين .
وقد بنى الخجاج بن يوسف مدينة واسط على شاطئ نهر دجلة ، بعد
أن ظل مدة طويلة يشخير مكانا ملائما لبنائها ، حين رأى راهبا قد أخذ بيده
بعض التراب وألقى به في النهر في ذلك المكان . وقد قرأ ذلك الراهب في
كتبه أنه سيقام في ذلك المكان الذي تقول فيه دابته مسجد يعبد فيه الله
وتقام الشعائر حتى تقوم الساعة ^(١) . وتجد في هذه الكتب وما شاكلها
أوصاف الأشخاص دون أسمائهم أو أسماء الأشجار دون أوصافها ^(٢) .
ومالما رجع العلماء إلى تلك الكتب ليقنوا منها على مدة خلافتهم ، من ذلك
ما أخبر أحد اليهود بريد بن عبد الملك أنه سيش في الخلافة أربعين سنة ؛
فقال رجل من اليهود : كذب لعنه الله ؛ إنما رأى أنه يموت أربعين فصبة ،
والقصبة شبر مائل الشارب سنة ^(٣) .

وتسمى هذه المؤلفات بالكتب أو الكتب القديمة ^(٤) . وهناك كتاب
قديم يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري ، وهو كتاب دانيال ، ويشتمل
على بعض التنبؤات ذكر فيها عمر ناسم الدردوق الأشج ^(٥) . وقد ذاعت
كتب دانيال أو التنبؤات الدانيالية (إذا صح هذا التعبير) بعد ذلك كثرة
عظيمة . ومن هذه الكتب نسخ عديدة مكتوبة المنصف البريطاني ومكتبات
فيينا وكونت (Gotha) والأسكوريال (Escorial) . على أنه ليس من بين تلك
الكتب ما يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري .

(١) الطبري ٢ : ١١٢٦

(٢) شرحه ٢ : ١١٣٨

(٣) شرحه ٢ : ١١٦٤

(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٤٧ . الطبري ٣ : ٢٥

(٥) ابن فنيبة ص ١٨٤ . دردوق كلمة من أصل أرمني .

وقد سارت كتب دانيال في القديس والافتقار بين الناس جنباً لجنب مع كتب الجفر التي اشتق اسمها من كتاب النبؤات كتب على جلد بعير (جفر) . ويمزى ذلك الكتاب إلى آل البيت وخامسة إلى على ثم إلى حفيده جعفر بن محمد الصادق (١) .

وأما كتب الملاحم ، وهي أشعار تتضمن بعض النبؤات عن الحوادث المستقبلية ، فيرجع تاريخها إلى القرن الأول الهجري . وقد اضطرب الأمر في خراسان اضطراباً شديداً بعد وفاة يزيد بن علي (في خلافة هشام بن عبد الملك) . ولما قتل زيد تحركت النية بخراسان ... وظهر الدعاة ورؤيت المنامات وتدورست كتب الملاحم (٢) . وكلمة ملحمة معناها في الأصل معركة أو موقعة (٣) (وبالعبرية ملحمة) . وقد لاحظت في بعض العبارات التي وقعت عليها أنها تستعمل كناية عن حادثة خطيرة لا مناس من وقوعها (٤) كما شاع استعمالها أيضاً في الحوادث المستقبلية ثم في العقائد التي ينشأ فيها عن خبر ما سيكون . وكانت الطريقة الأكثر شيوعاً في كتب الملاحم هي الرمز للأشخاص بحرف واحد . من ذلك « ن » سيفعل « م » بماوثة « ج » ثم يأتي « ش » فينصر انتصاراً حاسماً وهكذا . وفي عهد آخر الخلفاء الأمويين (مروان بن محمد) كانت تجري على الألسن تلك النبوءة : « ع » بن « ع » بن « ع » (٥) مقدمة ابن خلدون . ترجمة De Slane من ٢١٤ وما يليها .

ومما نشك فيه كثيراً إطلاق اسم الجيوش على اسم جلد به ولا يبعد أن تكون كلمة (جفر) من أصل أجنبي (قبلي أو يوناني) . ويقلب على الظن أنها من أصل يوناني .

(٢) اليعقوبي ج ٢ من ٣٩٢

(٣) الطبري ١ : ٢٦٥١ (٤) ٣٤ : ٢١٣٢

(٤) ملحمة كُتبت على . الطبري ٢ : ٦٠٧ (٨) ، وابن هشام (ملحمة

وستفك) من ٨١٦ (١٥) ، واليعقوبي ج ٢ من ٢١٥ (٦١) ، Fragm. hist. arab. ٥٦١

«ع» سيقفل «م» بن «م» بن «م». وقد أول الناس هذا باسم الخليفة
الأموي مروان بن محمد بن مروان وعبد الله بن علي بن عبد الله العباسي^(١).

— ٢ —

التنبؤ بمصير العالم

لم يبق أماننا — بعد أن عرفنا في العمل المتقدم لتلك التنبؤات المتعلقة
بأشخاص أو حوادث معينة — إلا أن نتكلم عن مائة أخرى من التنبؤات
لم تكن أقل أثراً من سابقتها ، وهي التنبؤ بمصير العالم ونهايته .
ترجع هذه التنبؤات إلى أصل يهودي أو مسيحي ، إلا أنها لم تلبث أن
صبت بالصيغة العربية في القرن الأول الهجري . وقد شاع هذا النوع من
التنبؤ في الأمة الإسلامية عن طريق كتب التنبؤات أو عن طريق الأحاديث
التي وضعها اليهود والمسيحيون أو التي لا يخلو إسنادها من بعض اليهود
أو المسيحيين ممن دخلوا الإسلام . وترجع شهرة كل من وهب بن منبه
وتميم الداري وكنة الأخبار وتخليد الناري لأسمائهم إلى هذا النوع من
الرجم بالغيب . وقد روى لنا المقرئ حدى الملح عن كتب ، نستطيع
أن نتيقن منها المصادر التي كانوا يستمدون منها هذه المعلومات ، كما تيقن أنها
أيضاً احتقار بعض الناس لهذا النوع من التكهن وسحريتهم به . فقد سافر
كتب مع محمد بن أبي حذيفة X في سفينة واحدة ، فسأله ابن أبي حذيفة
ساخراً : هل هذا السفر مذكور عندك في التوراة ؟ : ولكن كتباً لم يمي
جواباً عن هذا السؤال وأجاب : « إني أجد عندنا في التوراة أن شايأ أشعر

De Sacy, *Christiana Oria arabe* (2 me éd.) tome II, p. 98 (١)
aux. Journ. asiat. , 1860, p. 144 ; Dozy, *Supplément*, etc.

الطبري ٢ : ١٩٠٣ ، ٣ : ٢٥ ، المسعودي ج ٦ من ١٠٨
X في الأصل محمد بن حذيفة . والصحيح محمد بن أبي حذيفة — المترجمان

يضرب حتى يموت كما يموت الحمار ، وأخاف أن لا يكون أنت ، (١) .
وتأيد القرآن بمعير العالم مشهور ، وأظهر ما يكون هذا في تنبؤ
بقرب الساعة (يوم الحساب) . وقد عرف هذا النوع من التنبؤ عند
المسيحيين قبل ظهور الاسلام . على أنه لم يرد في القرآن شيء عن رجعة
المسيح أو ظهور المهدي وكذا المسيح (الدجال) ولا عن تلك الاضطرابات
والفتن التي تسبق قيام الساعة ، وإنما ورد هذا في كتب السنة ، ثم لم يلبث
هذا النوع من التنبؤ والرجم بالغيب x ان أصبح جزءاً من العقائد
الاسلامية ولا سيما في عهد بني أمية . ولم تنف هذه التنبؤات عند هذا
الحديث فقد شملت الأذهان بقدر ما شغل التنبؤ بقيام الساعة أفكار الصحابة
في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويطلق العرب كلمة المخرج من تلك الفتن التي يطلق عليها اللاهوت الزباني
كلمة منيخ (Khebschann-Muchisch) . وتدل هذه الكلمة عادة على
الضجة والاضطراب . وقد وردت في السنة بمعنى القتل ، وهو نفس المعنى
الذي يدل عليه ذلك اللفظ في اللغة العربية « مخرج » ، فاذ جاء
(١) أنشأ لفظ محمد بن أبي حذيفة في كتاب الحنفى الكبير للمقرئ
(مخطوط لندن) .

لم نستطع الرجوع إلى الأصل ، ولذلك لم نجد بدا من ترجمة هذه العبارة
عن النص الفرنسي .

x لم يكن ما جاء به القرآن الكريم في هذا من قبيل التنبؤ أو الرجم
بالغيب كما ذهب اليه « فان فيرق » ، وإنما هو قول كتاب كريم لا يأتبه اليأس
من بين يديه ولا من خلقه لوله الروح الامين (جبريل عليه السلام) على
قلب النبي صلى الله عليه وسلم . قل تعالى (إنه لقول رسول كريم . وما هو
يقول شاعر قليلا ما تؤمنون ، ولا يقول كاهن قليلا ما تكفرون تنزيل من
رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه بالبين ، ثم لفتقنا
منه الوثين) . سورة الحاقة آية ٥٠ — ٥٦ . — المترجمان

لنفظ الطرح في حديث من الأحاديث فمناه القتل كما هو عند الأثيوبيين (أو
الطبرستان^(١)). ومن البديهي أن كلمة هرج مأخوذة عن العبرية دون الأثيوبية،
إذ ليس في الأثيوبية هذا المصدر « ر. ج. ».

ويمكننا أن نشك في مقدار ما كان للتنبؤ بالهرج من الأثر من قول
الزبير (حين أبي أهل البصرة أن يضموا إليه ضد علي بن أبي طالب) :
« إن هذه لفئة التي كنا نحدث عنها »^(٢) : على أن هناك من الأدلة ما هو
أوضح مما تقدم. فمن بين الأحاديث التي رواها البخاري وأبو داود وغيرها
من المحدثين في كتاب القتل حديث نوه فيه الرسول بأولئك الذين
سيلزمون الحيدة في تلك الحروب الداخلية التي سوف تضطرم نارها. من
ذلك قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : « ستكون فتنة القاعد فيها
خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي.
من تشرف لها تشرفه، فمن وحده فيها ملجأ أو معاذاً فليعذب به. » وهناك
حديثاً آخر من هذا النوع^(٣) : « يوشك أن يكون خير مال المسلم قتم ينبع
بها شحف » الخبال ومواقع القطر يفر بدينه من القتل ».

وقد ورد هذا الحديث بروايات مختلفة في كتاب الطبقات لابن سعد^(٤).
من ذلك قوله : « قدم المنار بن أبي عبيد الكوفة، فهرب منه وجوه

١٥٠

- (١) صحيح البخاري (طبعة مصر سنة ١٣٠٤ هـ) ج ٤ ص ١٥٩.
- (٢) ابن الأثير ج ٣ ص ١٧٨.
- (٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٦٠.
- (٤) أبو داود (طبعة مصر سنة ١٢٨٠ هـ) ج ٢ ص ١٣٣ (ص ٢٣)،
والبخاري ج ٤ ص ١٦١، ج ٢ ص ١٩٩.
- × جمع شعبة وهي قبة الجبل.
- (٥) كتاب الطبقات. مخطوطات جوتة (Gotha) رقم ١٩٤٨ ورقة ١٠٨
وما يليها. وقد ذكرت النص في التذييل الخامس.

أهل الكوفة. فقدموا علينا البصرة وفيهم موسى بن طلحة بن عبيد الله (أحد أصحاب الرسول). وكان الناس يرونه في زمانه هو المهدي. قال (خالد ابن سمير) ففشيهم ناس من الناس وغشيته فيمن غشيه، فإذا شيخ طويل السكون قليل الكلام طويل الحزن والكآبة، إلى أن قال يوماً: «واقه لأن أكون أعلم أنها فتنة لها اقضاء أحب إلى من أن يكون لي كذا وكذا وأعظم الخطر. فقال رجل من القوم: يا أبا محمد! ما الذي تهرب وأشد أن تكون فتنة فقال: أذهب الهرج. قال: وما الهرج؟ قال الذي كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثون، القتل بين يدي الساعة لا ينقر الناس على إمام حتى تقوم الساعة عليهم. وهو كذبت وأيم الله لن كان هذا لو ددت أني على رأس جبل لا أسمع لكم صوتاً ولا أرى لكم داعياً حتى يأتي بي داعي أبي». أما المسيح الدجال *Antichrist* الذي يسميه العرب الدجال (أنظر البحارى ج ٤ من ٧٦) فهو من أصل آرامي.

(*Loggola meclische Hexapt. Die Xls, 20 meclische Loggole Mat. XXIs, 21*)

ولم ينس الذرائع على ذمت الدجال ولم يعينه. إلا أنه قد ورد في السنة اسم رجل يهودى من أهل المدينة، هو صاف بن صائد أو ابن الصياد، صرح النبي بأنه هو الدجال. ومن ثم نبذ المسلمون فلم يكلمه ولم يخاطبه أحد^{١١}. وقد سمي المتوكل النيسابوري^{١٢} أحد الشعراء المعاصرين المختار بالدجال (١).
Sprenger, Das Leben und die Lehre des Muhammad, 111.

تاج العروس ج ٢ ص ٤٠٢. أبو داود ج ٢ ص ١٤٠، الترمذى ج ٢ ص ٩٣ وما يليها، صحيح مسلم (طبعة القاهرة سنة ١٢٩٠ هـ) ج ٢ ص ٢٧٧ وما يليها، صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٥٦٥، ٢٥٦٦، الاغانى ج ١٩ ص ٢٥. ويتبين مما ذكره الطبرى (١: ٢٥٦٥-٢٥٦٦) وصاحب الاغانى (ج ١٩ ص ٢٥) أنه كان شعراً تاريخياً.

(٢) الطبرى ٢: ٦٨٦، أبو داود ج ٢ ص ١٤٠.

في إحدى قصائده : وأخبر أحد اليهود من أهالي سورية عمر بن الخطاب بأن
الدجال سيخرج من قبيلة بياضين وأن العرب سيقتلونه على باب المد (١) .
ولما وصل المسلمون إلى مدينة نهاوند صاح الزهبيان والقيس على الأسوار :
« يا معشر العرب لا تغشوا فنه لا يفتحها إلا الدجال أو قوم معهم الدجال » .
وقد دخل العرب المدينة بعمارة صاف بن صائد الذي كان يقاتل في صفوف
المسلمين وكانوا يسمونه الدجال (٢) . ولما احتل صاف في موقعة الحرّة
(٦٣ هـ) ، ذلك الاختفاء الذي لا يزال الناس يعتبرونه سرا غامضا ، نكس
العرب خلفاته . ولما كان الدجال أعور العين اليمنى ، كان أعور من هذا النوع
حظ كبير في ذلك المفسار (٣) . وكان إبراهيم بن عبد الله بن مطيع أعور
العين اليمنى . وقد أراد يوما أن يمزح في « مرة هشام بن عبد الملك مع
أمير الكوفة » فقال هذا : « مولاي ! لولا ما أخاف من غضبه عليك
وعلى وعلى المسلمين لأجبه » قال : « ، تخاف من غضبه » قال : « بلغني أن
الدجال يخرج من غضبه يفضيها » (٤) .

ولما كان « ذكره كافيا بتدليل على انتشار تلك العقيدة لم أرد أن أنقل
على القاري بذكر جميع القصص والمدح التي كانت تدائمة عن الدجال في القرن
الأول الهجري . على أني لا أجد بدا من أن أضيف تلك النبوة إلى ما تقدم .
فقد قال محمد بن إسحاق (١٥١ هـ) أنس بن مالك وعليه عمامة سوداء ،
ومن ورائه جمع من الصبية يسيحون : « هذا رجل من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يلقى الدجال » (٥) .

(١) الطبري ١ : ٢٤٠٣ .

(٢) الطبري ١ : ٢٥٦٥ .

(٣) الأغاني ج ٨ ص ٣٥ ، زهر الآداب (بهاء عن العقد) ج ١ ص ٣٢٠ .

(٤) العقد الفرید ج ٢ ص ١٤٩ . أنظر صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٧٤ وما يليها .

(٥) ابن خلكان (طبعة وستنفلد) رقم ٦٢٣ ص ٨ .

رجعة عيسى بن مريم وظهور الدجال

من المحتمل جداً أن النبوة برجة عيسى بن مريم قد شاعت وانتشرت بين المسلمين في نفس الوقت الذي انتشر فيه التنبؤ بظهور الدجال (١) ، ولو أن هذا لم يرد إلا في السنة النبوية الحسب. ولو جاز لنا أن نعتمد على القصص والملح التاريخي في التدليل على صحة هذه النظرية لاستطعنا أن نحكم بأن نفوس المسلمين في الصدر الأول للإسلام كانت أقل اعتقاداً برجة المسيح منها بظهور الدجال .

وإن صح هذا الاستنتاج كانت ذلك واجماً إلى ما اعتمدت به العقلية العربية التي استطاعت أن تصف من كان يطلق عليهم اسم « المسيح » بقصة المسيح المخدس وأن تسند اليهم ما يقوم به المسيح نفسه (من الهداية) . وإلى القاري تلك العبارة التي وجدها رسول من قبل أمير خراسان إلى زعيم البغاثيين من العرب : « أيها الأعور ، لعلك أنت ذلك الأعور الذي ستهلك عن يديه مضر » . من هذا ينبغي لنا أن الأمر كان يتعلق بنبوة تؤول إلى هلاك قبيلة مضر على يد رجل أعور ، تلك النبوة التي ليست إلا انصباً لقصة الدجال بالعصبة العربية ثم تطبيقها تطبيقاً دقيقاً على الشؤون السياسية العربية في ذلك الحين . لهذا كانوا يمثلون الدجال برجل أعور .

كذلك كان الحال فيما يخص رجعة المسيح عيسى بن مريم . فقد تنبأ الناس بأن « السفياني » هو المسيح . ذلك الخلف الذي كان ينتشره أشياع بني أمية وأنصاره . وليس بعيداً أن يكون خالد بن يزيد بن معاوية قد ابتدع

(١) أبو داود ج ٢ ص ١٣٨ وما يليها ، الترمذي ج ٢ ص ٣٦ .

نبوة السفينائي هذه ، على ما جاء في كتاب الأثاني ^(١) ، ليحفظ التوازن بين بطون البيت الأموي ، وليلين من شكيمة الأسرة الحاكمة ، أسرة بني مروان (من سلالة حرب ابن عم أبي سفيان) . وقد ظهر أحد أولاد سفينائي من سلالة خالد هذا (وزعم أنه السفينائي المنتظر) وانضم اليه كثير من الأنصار والأشياع في آخر خلافة بني أمية . وقد وقفنا على تلك المحاولات المعيبة التي قام بها كثير من « بني سفيان » ^(٢) من حين إلى حين .

أما البياضيون فقد عقدوا كل آمهم على القحطاني (المنتظر) ، وهو أحد الأمراء من سلالة قحطان ^(٣) . وذكر المصمودي أن عبد الرحمن بن الأشعث ادعى أنه ذلك القحطاني المنتظر ^(٤) . وقد أطلقت بنت سهم في إحدى قصائدها على الأشعث هذا اسم « المنصور عبد الرحمن » ^(٥) . وهكذا كان المنصور هو المسيح المنتظر الذي كان ينتظره عرب الجنوب ليعيد الملك فيهم ^(٦) .

(١) ج ١ ص ٨٨

(٢) أبو الحسن ج ١ ص ٢٤٦ ، للبخاري ٣ : ٥٣ (ص ١٤) ، ٨٣٠٤ ،

Preitag Historiae Selecta , Saavedra Hugoänge, II p. 11
Malebi, p. 12 suiv.

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٦٧ (شرح)

(٤) كتاب النبيه والاشراف للمصمودي (طبعة دي غوي) ص ٣١٤ .
« خلع عبد الملك باسطخر فارس » وخلعه الناس جميعا ، وسمى بنفسه ناصر المؤمنين . وذكر أنه القحطاني الذي ينتظره البائية ، وأنه يعيد الملك فيها . فقبل أمما القحطاني على ثلاثة أحرف . فقال اسمي عبد ، وأما الرحمن (كذا) فليس من اسمي » .

(٥) كتاب الأنساب للبلاذري (طبعة Ahlwardt) ص ٣٣٤ .

D.H. Muller, Die Burgen und Schlösser Siel-Arabiens , I p.(٦)
75 suiv.

وقد ألف المؤرخ أبو مخنف كتابا في السنة عشرين ياحميرا أو موت عبد الرحمن ابن الأشعث به الكثير من المعلومات عن هذا الموضوع (كتاب الفهرست طبعة Flügel ص ٩٠) .

وبينما كان النجاشيون ينتظرون التحطاني كان المصريون يعتقدون بالمهمي الذي لم تقف إلا على اسمه فقط وينتظرون ظهوره . وهناك أيضاً بعض النبوءات بكلي منتظر ، وهو زعيم يزعمون أنه سيخرج من بني كلب إحدى القبائل النجاشية .

وأما المسيح (المخلص) عند الشيعة فهو معروف مشهور . وكان يلقب بالمهدي ، ذلك اللقب الذي كان في بادي الأمر أحد ألقاب الشرف ، فلم يلبث أن أصبح رمزاً لذلك المعتقد المنتظر من آل البيت الذي سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

ومن الجلي أن الاعتقاد بظهور المهدي وانتشاره لم يقتصر بادي الأمر على آل البيت وحدهم ، بل بدأ ذلك الاعتقاد يذاع وينتشر بين المسلمين على حسب ازدياد نفوذ الشيعة وانتشاره ^(١) .

وقد انتشرت فكرة المهدي المنتظر لدى أهل السنة حتى تحت ذكر غيره من المهديين ممن كان يثبنا بهم مثل السفياي والتعطاني وغيرها . ولا شك أن النبوة هؤلاء وانتظارهم لم يتلائم تماماً مع نفوس المسلمين ، وإنما صار هؤلاء بالنسبة إلى المهدي المنتظر كالديال بالنسبة إلى عيسى بن مريم . لذلك كان من المقبول أن يظهر عليهم ذلك المهدي ويهزمهم هزيمة حاسمة وينتصر عليهم انتصاراً مبيناً .

عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الاموية

كان الهوى شامعاً بين تلك السعادة التي كان يشدها الناس على يد المهدي

(١) ذكر بعض المؤرخين أن الناس كانوا يلتقيون بكلام موسى بن طلحة وعمر بن عبد العزيز بالمهدي . انظر التذييل الخامس .

المنتظر وتلك الآلام التي كانوا يعانونها في ذلك الحين حيث الحروب الأهلية التي أذكى ناراها اتحام خلفاء بني أمية على أنفسهم ، والتي كانت تلهب ناراها تلك الأحن والأحقاد القديمة بين مصر وقحطان ، تلك الحروب التي خربت بلاد الشام حيث اندلع لهيبها أول الأمر ، ثم تطاير شظاياها إلى غيرها من الولايات الإسلامية .

وقد ساء الاضطراب في كل أنحاء الدولة الأموية واستولى على العرب ثأنية الجبل إلى الحرب والكفاح ، فرقع الشيعة والخوارج رؤوسهم . وثقلت الطاميات السوديّة وحدها على ولائها ، فمرض الأموي ، في حين أن كان المرابطون من الجنود العربية يشايعون أعداء الحكومة ، حتى كادت تلك الفتن تأتي على ذلك التراث الذي خلفه النبي (صلى الله عليه وسلم) وتودي بذلك الإصلاح الذي قام به كل من أبي بكر وعمر . وهكذا كان ذلك العصر عصراً حزيناً ملاً فرب الثناء من المسلمين تشاؤماً بالمستقبل . وقد وصف لنا هذه الحالة السيئة الخارث بن عبد الله الجعدي الشاعر في هذه الأبيات :

أبيات أدعى النجوم من أمثالها (١) إذا استقلت تجرى أوائلها
من فتنه أصبحت مجرّاة (٢) قد عم أهل الصلاة شامها
من يخراسان والمراق ومن بالشام كل شعاع (٣) شاعها
فالناس منهم في لون مظلمة دهم ملنجة (٤) غيامها (٥)
يمسى السقية الذي يعصف بال جهل سواء فيها وناقلها

(١) المرتقى الوافف الثابت . والمراد منها السهر .

(٢) مجرّاة : شاملة . وما بعدها يفسرها .

(٣) شعاع : حزنه وشربه .

(٤) ، (٥) : الملنجة من العيون الشديدة الحواد . والغيمظة (بفتح الغين والعطاء) الظلمة المترامية .

والناس في كربة يكاد لها تنبذ أولادها حواملها
 ينفذون منها في كل ضربة عمياء بمعنى (١) لهم غوائلها
 لا ينظر الناس في عواقبها إلا التي لا يبين قائلها
 كزغذالبكر (٢) أو كضجة جد في ضرفت حوطها قوايلها
 فجاء فينا أزدى (٣) بوجهها فيها خطوب حمر ولا زطها (٤)
 كذلك تصف لنا هذه الأبيات التي نظمها عباس بن الوليد حرج الدولة
 الأموية وما وصل إليه الخلفاء الأمويون من بأس وقنوط :

إني أعيدكم بالله من فتر مثل الجبال تسمى ثم تندفع
 إن البرية قد ملئت سياستكم فاستمكوا بعمود الدين وارتموها
 لا تلحن من الذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألحمت رتموا
 لا تفرق أبديكم طونكم فتم لاحسرة تنى ولا جزع (٥)
 وهكذا نرى إلى أي حد تطور ازأى العام نحو الأمويين ، ولقد صدق
 أبو العباس حين قال لبي أمية : « إن البرية قد ملئت سياستكم » .
 ولا غرو فقد بدأ عامة الناس يدركون أنه ليس ثمة سلاح من وراء
 ذلك النظام الفاسد الذي سته الخلفاء الأمويون ، وأن بقاء ذلك النظام
 لا معنى له سوى خضاع الإسلام .

هل كان الناس يمتقدون إزاء تلك الحالة السيئة بقرب ظهور المهدي
 (المخلص) ؟ كل ذلك ممكن ، بل من المحتمل جداً أن هذا الأمل كان المزمز

(١) بمعنى ينفذ .

(٢) البكر ولد الناقة .

(٣) بمعنى غاب .

(٤) الطبري ٢ : ١٨٥٧ .

(٥) لا تطعموا .

(٦) شرحه ٢ : ١٧٨٨ .

الوحيد للثقة من المسلمين (أهل السنة) . ومع ذلك فلا ندهش إذا رأينا نبوءة أخرى تشغل الأذهان في ذلك الحين بفقد كان لوأما هدم تلك الأطلال البالية لكي يقوم مسرح السعادة على أساس متين . لذلك كان من الضروري ظهور رجل يهدم كل قديم ويأتي عليه ليحبد السبيل لذلك المهدي المنتظر . وهكذا ظهرت بجانب تلك النبوءات القديمة نبوءة أخرى هي نبوءة الرجل ذي الأعلام السود الذي يخرج من المشرق ويزيل عرش بني أمية (أنظر الكامل للمبرد ص ٥٨٥ والطبري ١٩٢٩ : ٢ وما يليها) .

وقد يتساءل الإنسان عن سبب وجود هذه الأعلام السوداء . كان البياض شعار الأمويين . في ذلك الحين ، فأتخذ العباسيون السواد شعاراً لهم حداذاً على الشهداء من آل البيت الذين ذهبوا ضحية استبداد الحكومة الأموية وقسوتها ^(١) . على أنه لا يبد أن يكون الأمويون قد اتخذوا البياض شعاراً لهم بعد أن قامت الدولة العباسية ، وبعد أن اتخذ الخلفاء العباسيون السواد شعاراً لهم ^(٢) . وأما أن السواد كان شعاراً للحزب

(١) أنظر ما كتبه : Hamaker . Reflexions critiques pour servir de réponse aux éclaircissements de M. de Hammer, Lettre, 4 829, p. 8 suiv. De Saey . Christomachie arabes, 2 édit. I, 48 Suiv. II, 261 suiv. Weil . Geschichte der Khalifen, II, 210, en d. Opkomst der Abbasiden, p. 137 suiv. للوقوف على هذه الألوان

التي اتخذت شعاراً لأسباب سياسية

(٢) مقدمة ابن خلدون ج ٢ ص ٤٤ (النسخة العربية) ٥١ (الترجمة) . وقد اقتبس مسيو فون كرىم عبارة عن الأتاني (ج ٦ ص ١٤١) مؤداها أن الخليفة الوليد كان يعلى في ثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة ، وأن الأمويين كان شعارهم البياض . وبالرغم من أن البياض هو رمز النظافة سعلى ما يظهر — فإدينا من النصوص التاريخية ما يدل على أن الأمويين لم يقتصروا على الثياب البيض . فقد كانت العمامة السوداء شعارهم الرسمي .

والحداد فقد يعكفون ذلك صحيحاً بالنسبة إلى الملابس السوداء (الملابس الرسمية في عهد العباسيين) ، لا سيما وأن الروايات التاريخية تؤيد ذلك (١) . أما الأتوية السوداء فلم تكن يوماً ما إشارة للحداد ، فقد اتخذ الخوارزمي بن سريج القواء الأسود شعاراً له حين تدار على بني أمية سنة ١١٦ هـ ، وكذا بهلول الخارزمي سنة ١١٩ هـ ، ثم أبو حزة الخارزمي أيضاً سنة ١٢٨ هـ (٢) . على أن أحداً من هؤلاء لم يكن في حداد على أحد من آل البيت . ونستطيع أن نقبل السر الحقيقي في اتخاذ القواء السوداء من قصيدة الكيت الشاعر التي وجهها إلى الخوارزمي بن سريج في سنة ١١٧ هـ ، والتي نكتب منها بهذا البيت :
ولا ترفعوا الرايات سوناً على أهل الضلالة والتعمد

(الطبري ٢ : ١٥٧٤) X

ومن هنا يتبين لنا أن هناك علاقة بين الأتوية السوداء ومحاربة الضلالة (والمراد بها هنا الضلالة على حسب ما في القرآن) والصدوان (والمراد به الخروج على القانون الإلهي) . وهذا يبين لنا معنى هذه المسألة التي أشار إليها هانز (Harnack) وهي أن الأتوية المذكورة تمثل قواء الرسول الذي كان يحمله في حروبه مع الكفار ذلك القواء الذي اتفقت جميع المصادر التي اعتمدنا عليها أنه كان أسود (٣) .

الطبري ٢ : ٢٥٨ (س ١٦) العقد القويدي ج ١ ص ٤٢ . الأغاني ج ١٩ ص ١٦١ ، الطبري ١ : ٢١٤٨ .

(١) دي ساسي - ج ١ ص ٥١ نقلًا عن الدينوري (طبعة Girgoss)
ص ٣٤٠ ، الطبري ٢ : ١٩٧٢ ، ٣ : ٥٠٦ ، الأنساب للبلاذري H. d. D.
M. G. XXXVIII . (٢)

(٢) الطبري ٢ : ١٥٧٠ و ١٦٢٤ و ١٩٨١ ، ابن الأثير ج ٥ ص ٢٨٥

X الصحيح ٢ : ١٥٧٥ - المترجمان

(٣) Monradja d' Obsson, Tableau de l' Empire ottoman, I. (٢)
280 suiv. كتاب الطراج لأبي يوسف ص ١١٩ ، وفتوح البلدان للبلاذري

ولهذا كان الخوارج ينشرون الألوية السود في حروبهم مع الأمويين كما كان يفعل ابن سريج ، فقد كانوا جميعاً يحاربون الضلالة والجور قبل كل شيء . وكان هذا المواء الأسود يذكرهم بمهد الرسول ، ذلك العهد الذي كانوا يعتبرونه المثل الأعلى للسكال .

ومن ثم كان لزاماً على من يبشر بالمهدى الامام الحق ، أو بعبارة أدق الامام الذي يزول على يديه سلطان بني أمية ، أن يتخذ تلك الألوية السود شعاراً له . وفي سنة ١٢٨ هـ ادعى الحارث بن سريج أنه ذلك المهدى المنتظر (١) . على أن دعوته هذه لم تصادف شيئاً من النجاح . فقد ظلت الحكومة ، أو بالأحرى الحرب البغانية ، صاحبة النصر والفكر . بيد أن ذلك الأمل الذي كان الحارث أول من تمته في النفوس لم يخب بعد ، كما كان العامل الوحيد الذي جذب إلى الدعوة العباسية جميع هؤلاء الذين كانوا يشاملون الحارث ميوله وآراءه السياسية . وليس بعيداً أن يكون الحارث بن سريج قد اعتمد في دعوته هذه على هذا الحديث المشهور الذي رواه أبو داود « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حرأت من مقدمته رجل يقال له منصور يسمى أو يتكهن لآل محمد كما مكنت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجب على كل نصره » . ولم يلبث هذا الحديث أن أصبح نبوءة من تلك النبوءات التي وردت في كتب النكهن (٢) .

من ١١٢ هـ البعقري (نسخة Houtsma) ج ٣ من ١٥١ ، الدينوري (نسخة Giegan) من ١٨٦ وكتاب الوفاة (Coll. Leide) ورقة ١٤٤ وما يليها . هذا هو المواء الاسود الذي كان يحمله هذين (Houtsma) العلي بن أبي طالب في موقعة صفين . السكامل لغيرد من ٤٣٦ ، والعقد القريدي ج ٣ من ١٢٣ ، ٢٨٧ .

(١) الطبري ٢ : ١٩١٩

(٢) كتاب الصنن لأبي داود ج ٢ من ١٣٥ ومقدمة ابن خلدون . الجزء

الثاني . ترجمة من ١٦٧ ، الدر المنظم (Coll. Leide) ورقة ١٣٢ .

قيام الدولة العباسية

وفي الخامس عشر من شهر رمضان سنة ١٢٩هـ نشر أبو مسلم الخراساني ، الذي تولى أمر الدعوة العباسية بعد سليمان بن كثير ، المأواه الأسود على ربوع سفيلج ، وهي قرية صغيرة من ضواحي مرو . وقد كتب في هذا المأواه تلك الآية من القرآن (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظالموا) — سورة الحج آية ٣٩ .

وقد ضم أبو مسلم إليه لقبه « صاحب الألوية السوداء » أمراً آخر ليس بأقل أهمية من ذلك ، وهو شرف الانتماء إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

ولم تكن الحال في خراسان لتساعد على انتشار الثورة بمثل تلك السرعة . نعم ! كان المأواي من سكان القرى يغدون من كل جانب وراء الدعوة العباسيين ، كما ثار المسودة في جميع أنحاء بلاد خراسان : في نسا وبلخ وهراة ومرو وروذ ، وفي الجلة في كل ناحية قامت فيها الدعوة لبني العباس . ولكن بعد الثقة بين هذه النواحي قد حل دون توحيد وجهة التأثير . على أن هناك سبباً آخر ، وهو أن العرب — حتى من خرج منهم على الحكومة الأموية وشق عصا طاعتها — قد أبوا أن يشتركوا أول الأمر مع أولئك المأواي ممن لا نسب لهم ، ولا غرو فقد كانوا يعتبرونهم أعداء الداء للإسلام ، كما كان يقول عنهم نصر بن سيار أنهم أموات في نظر العرب احتقاراً وسخرية بهم . وترجع قوة المسودة إلى حماسهم الشديد وإخلاصهم للدعوة لأن البيت إذا كانوا يعتبرونها رمزاً لآمنيتهم السياسية ، وكان صغيرة جند أبي مسلم من السكينة أو أهل الكف ، وهم الذين كانوا يأخذون أدراجه من القصب

بالكنفة (الخفنة) . وهناك تفسير آخر لكلمة الكنفية ؛ ذلك أنهم بايعوا على أن لا يأخذوا مالا وأن تؤخذ أموالهم إن احتيج إليهم يبتغون الجنة مقابل هذا الكف (١) (ويبدو لي هذا التفسير الأخير خيراً من التفسير الأول) . كذلك أقسموا أن لا يطلبوا فدية أو رهينة بدون إذن من رؤسائهم . وقد ذهبوا في مناعة رؤسائهم إلى أبعد من ذلك . فكانوا لا يقتلون الأعداء الذين يفترون عليهم في ميدان القتال إلا بأذنهم (٢) .

أما العرب فكانت توزع الماشية الوشيية . وقد حاولوا غير مرة أن يتحدوا ضد هذا العدو المشترك ولأن حال أبو مسلم بدوائه دون ذلك . ولا غرو فقد كان كل لا يعبه سوى مصلحته الخاصة أو بالأحرى مصلحة قبيلته . وأما الاخلاص لغير الأُموي فلم يكن به أحد ، حتى إن الخجانية من أهل مرو — إذ أصبح لنا أن نأخذ بما ذكره اليعقوبي — قد انضموا إلى النخبة (٣) واعتنقوا مبادئهم . ولم يبق عن ولاته ما يثبت الأُموي في ذلك العصر المسنن بالأثنية والخيابة والغدر إلا نصر بن سيار . وقد أُلح بدون جدوى في طلب المدد من الخليفة . ولا غرو فقد كان مروان الثاني في حاجة شديدة إلى آخر جندي من جنوده . ولذلك رد عليه الخليفة بقوله : « احفظ ناحيتك بجهدك » ، فدهش نصر وقل : « أأيقاظ أمية أم نيام ؟ » X

(١) وقد ساء الطبري (٢ : ١٩٥٧ (٤) ٣٤ : ٨٤٨ (١٥) الكنفية . والصحيح الكنفية . وكذلك كتب المنري في مخطوطه المقتنى الكبير (المكتبة الأهلية بباريس ورقة ١٨٠ ب) عبارة شائعة أتيت على ذكرها في الذيل السادس .

(٢) الطبري ٣ : ١٩٨٩

(٣) اليعقوبي (طبعة Houtsma) ج ٢ ص ٣٩٩ (س ١٦ وما يليه) ٢٠٨٤ X ذكر الطبري (٢ : ١٩٤١ — ١٩٤٩) والمسعودي (مروج الذهب طبعة القاهرة ج ٢ ص ١٤٤) أن قول نصر بن سيار : « أأيقاظ أمية أم نيام »

وقد عرف أبو مسلم ، بما أوتي من الخلق والمهارة الحربية ، كيف يستفيد من ذلك الانقسام الذي ساد في هذه البلاد . فينذر بذور الشقاق بين جنود بني أمية ، كما استطاع أن يربط بمجنده سبعة أشهر بظاهر مدينة مرو ، استمال خلالها التباين وضمهم إلى صفوفه . وبذلك تمكن من الاستيلاء على خراسان دون أن يعرض جيشه الصغير لهزيمة . ولم يكده يتم له النفوذ في هذه البلاد حتى عمل على التخلص من شيوخ القبائل الذين كانوا ينازعونه السيادة فقتلهم عن آخرهم .

عندئذ عمت الثورة وانتهت بزوال الدولة الأموية . وإلى القارىء ما ذكره أبو حنيفة الدينورى ، على يتبين منه حال الأمة العربية في ذلك الحين ^(١) قال : « وانجفل الناس على أبي مسلم : من هراة وجوشنج ومرو والروذ والطالقاب وسرو وآسا وأبيورد وطوس وسرخس وبلخ والصغانيان وماخارستان وخذلان وكش ونسف ، فتوافوا جميعاً مسودى الثياب . وقد سوادوا أنصاف الخشب التي كانت معهم وحموها بكافر كوبات ^(٢) . وأقبلوا فرساناً وحماراً يسوقون حميرهم ويزجرونها هر مروان ، يسمونها لمروان بن محمد . وكانوا زهاء مائة ألف رجل » .

ولن نعرض هنا لوصف تلك الدولة الأموية في سنوات احتضارها ، ولا

كان قبل أن يصل إليه كتاب الخليفة الأموى يأمره فيه بأن يحفظ حاجته بمجده — المترجمان .

(١) الدينورى ص ٣٦٠

(٢) أنظر الأغانى (ج ٥ ص ١٢٣) في معنى كلمة كافر (incredible) : وقد قال أبو مسلم لمسهل بن الكيت : « أبوك الذى كفر بعد إسلامه » ، فقد استهل الكيت بعض قصائده بالاشادة بذكر الطائمين ، ثم لم يلبث أن أفاض في مدح بني أمية . فكلمة كافر كوبات إنما كان يطلقها المسلمون على أنصار بني أمية . أنظر وكافر كوبات ، عند الترك في Biblioth. Yeag. IV. 278

لذلك الانتصارات المتتالية لجيوش الخراسانية . وقد ندهني تلك الهزائم التي أنزلتها تلك الجيوش بأمر القواد الأمويين ، ولم نعلم أن مقاومة تلك الأمة المحتضرة لم تصدر عن وطنية صادقة أو قوة معنوية صحيحة آثارها اليأس في قلوبهم في ساعتهـم الأخيرة ، ولا عن أية عاطفة قوامها الشعور بوجود نظام ثابت . فضلا عن أن الظفر الذي أحرزته الجيوش العباسية — ذلك الظفر الذي لم يكن إلا قضاء من الله باستئصال شأفة أولئك الأمويين وزوال دولتهم — قد أضعف ما كان لديهم من الاستماتة في الدفاع عن دولتهم (١) .

هذه هي حال بني أمية في ذلك الحين وما كان يستولي على نفوسهم من يأس وقنوط . وأما غيرهم من أهل الولايات الإسلامية الأخرى فكانوا على العكس من ذلك . فقد انبعثت نفوسهم الأمل بانبثاق فجر المساواة والعدل ، ولا سيما في تلك الولايات التي كان الولاة والعمال يستغلونها لأنفسهم ، مدفوعين بعوامل الشراهة والجشع مستعينين في ذلك بما تقطرت إلى نظم الإدارة من خلل وفساد . وهكذا فتت تلك الأمنية الجميلة هؤلاء الدماء من الفرس الذين لم يعرفوا من الإسلام حتى ذلك الحين — سوى دفع الجزية وجباية الضرائب على اختلاف أنواعها . وهكذا انشغل دين المجوسية عن الدهاقين وأسلموا أيام أبي مسلم (٢) .

على أن ذلك الأمل كان أشد ما يكون في نفوس الخرمية (وهم المتطرفون من دعاة مذهب توحيد الآراء في الفلسفة) . ولا غرو فقد تعقب الولاة الأمويون أصحاب هذه العقيدة دون أن يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة . ومن ثم كان يمتد هؤلاء أن لا خلاص لهم إلا بزوال الدولة الأموية . لذلك

Fragmenta Hist. arab. p. 211

(١)

(٢) أنظر ما كتبه فون روزن (Von Rosen) عن أبي طاهر في

Mémoires de la Société russe d'archéologie III. I. p. 148-162 (tiré à part p. 10 n. 1)

لأنه من إذا رأيناهم يبادرون إلى الانضمام إلى أبي مسلم والانضواء تحت لواء ذلك الرجل الشديد الذي لا تعرف ملاذ الحياة إلى نفسه - سبيلا - فقد كان الشخص الوحيد الذي صادف عنده هؤلاء البائسون عطفاً في مذهبهم . وكان الكثيرون منهم يعتبرونه وحده الامام الحق (١) . بل ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فزعموا أنه « أشيدر باني » (Ochsterbani) أو « أشيدرما » (Ocheiderma) أحد أعقاب زردشت الذي ينتظر المجوس ظهوره كما ينتظر المسلمون ظهور المهدي (٢) ، حتى إن تلك الطوائف لم تعتقد بموت أبي مسلم بل كانوا ينتظرون رجوعه نجيلاً الأرض عدلاً ، حتى حين أن حول بعض أشياعه الامامة إلى ابنته فاطمة (٣) . وقد فر رجل يدعى أبا اسحاق الترك إلى بلاد ما وراء النهر بعد موت أبي مسلم ونسب نفسه داعياً له وزعم أن « مولاه » (أبا مسلم) احق بمدينة الري ، ثم زعم أنه نبى أرسله زردشت وأنه لا يزال حياً . ولا يزالون ينتظرون عودته إلى اليوم لينشرون زردشت ويرفع لواءه (٤)

خاتمة

وبعد عام من فتح مدينة مرو (١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢) استهل أبو العباس عبد الله المهدي (٥) أول خلفاء بني العباس خلافته بخطبة ألقاها بجامع الكوفة .

(١) الشهرستاني ص ١١٤

(٢) شرحه

(٣) المسعودي (طبعة دي غوريه) ج ٦ ص ١٨٦

(٤) الفهرست ص ٣٤٤

(٥) كتاب التنبية والاشراف للمسعودي ص ٣٣٨

وقد نوه في هذه الخطبة بتلك الآمال التي بعثها في النفوس اعتلاء تلك الأسرة الجديدة عرش الخلافة . وسنبين في الفصل الأخير من هذا الكتاب إلى أي حد تحققت هذه الآمال ومحت تلك الأحلام .

ولا يفوتنا أن نذكر أولاً أن ذلك المثل الأعلى للعدالة والمساواة قد ظل وهماً من الأوهام ، حتى إن حاجة الترقين اليوم إلى مهدي يعلأ الأرض عدلاً لم تكن أقل منها في عهد بني أمية .

ولم يكن جور النظام العباسي وعنه منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الأموي المختل حقراً للنفوس إلى التمسك بتعبدة المهدي والنظـم إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره . وتذكرنا شراة المنصور وأرشيد والمأمون وجشعهم وجور أولاد علي بن عيسى وهبـتهم بأموال المسلمين بـزمن الحجاج وهـدام يوسف بن عمر الثقفي . ولدينا البراهين الكثيرة على فجعة الناس في هذا العرش الجديد ومقدار انخداعهم به . من ذلك قول شريك الذي ثار ببغداد في خلافة أبي العباس السفاح (١) : « ما حي هذا أتيتمنا آل محمد : على أن نضلك الدماء وأنعمل بغير الحق » . كذلك الاضطرابات المستمرة في الجزء الشرقي للدولة العباسية (كخروج المذنب) وثورات الطوائف المتوالية ، وخروج يوسف البرم الذي لم يكن غرضه سوى « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . أنف إلى ذلك خروج رافع بن أمية لسوء سياسة علي بن عيسى . كل ذلك يبين لنا أن ما كان يشكو منه المسلمون من الجور والفساد لم يزل على ما كان عليه في عهد بني أمية الأول . وهكذا لم يكن أبو العطاء الشاعر وحده الذي نعى على ذلك النظام إذ يقول :

يأليت جور بني مروان عاد لنا يـأليت عدل بني العباس في النار (٢)

(١) الطبري ٣ : ٧٤

(٢) الأغانى ج ١٦ ص ٨٤

وأما أنبياء العلويين الذين كانوا يطعمون في إسناد الخلافة إلى آل علي فقد غابت آمالهم خيبة كبيرة. ولا غرو فإن العلويين لم يلقوا من الاضطهاد مثل ما لقوا في عهد الأولين من خلفاء بني العباس.

وقد قال الحسن بن الحسن بن علي بن عيسى بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن: «لم تيكى على بنى أمية وأنت تريد بنى العباس ما تريد؟» فقال: «واشع يا عم لقد كنا نتحنأ على بنى أمية ما قمنا. فما بنو العباس إلا أقل خونا لله منهم، وإن الحجة على بنى العباس لا واجب منها عليهم. ولقد كان للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر (المصور)» (١).

على أن هذا لا يحملنا على الجور في الحكم على ذلك النظام الجديد. فإن الخلافة العباسية، وإن كانت تعوزها تلك الصفات التي نعى عليها محمد ابن عبد الله العلوي حرمانهم منها، فقد أنجبت الكثيرين من الخلفاء الذين أناروا بحجاب التاريخ بما قاموا عليه من النظام وحب العلم كالمنصور والمأمون. وليس هذا كل ما كانت تتميز به الدولة العباسية. فإن اعتلاء العباسيين عرش الخلافة، وإن لم يحقق ذلك المثل الأعلى بامدال والمساواة الذي كان يشده الناس، فليس معنى هذا أن الحال قد ظلت كما كانت عليه أيام بنى أمية. نعم كان لا يزال هناك الشيء الكثير من الظلم والجور. ولكن لم يكن قوامه ذلك التنافر الشديد بين طبقات الأمة المختلفة، الذي كان صمد النظام الأداوى القديم في عهد بنى أمية. فلم نعد نرى طبقة التجار بين ذات الامتيازات الكثيرة في ناحية، ثم طبقة الزراع المضطهدين في ناحية أخرى. وبذلك أصبح الدين — دون الجنس — المرجع الوحيد في تحديد العلاقات بين الحكومة والزعة ثم بين أفراد الشعب، بعد أن فقد الاختلاف في الجنس بين طبقات الأمة المختلفة من العرب وغيرهم من الشعوب المحكومة أهمية. وكانت الحكومة لا تدخر وسعا في القضاء على الجيوش

العربية أو إقصائها من البلاد إذا ما أثبت النزول عن امتيازاتها القديمة التي كانت لها في عهد بني أمية. (١) وقد ساعد امتزاج العناصر المتباينة على ظهور نظم جديدة (كما كان الحال في العراق مثلاً). فقد حل محل النظام الذي سبّغه عمر بن الخطاب، ذلك النظام الذي يقضى بإعفاء العرب من دفع الجزية باعتبارهم حماة الإسلام، نظام جديد لا يفرق بين العرب والأعرس في خدمة الحكومة ويفرض على جميع على السواء مرتبات معينة، على الرغم من بقاء ذلك النظام القديم وعدم إلغائه صراحة.

ومنذ ذلك الحين أصبح الخراج - أيون من الأيرانيين أو النصف إيرانيين أشد الناس ولاءً لذلك للعرش الجديد. كذلك رفع الموالي المنطهدون الذين كانوا السبب في سقوط الدولة الأموية رءوسهم وأسندت إليهم المناصب الهامة في قصر الخليفة وفي الجيش والمالية، كما أسندت إليهم إمارة الولايات الإسلامية. حتى حشد العرب وقد أصبحوا أقل شأنًا منهم (٢)، أما الحروب التي كانت تسمر ناريها بين القبائل والتي كانت إحدى الأدوات المتأصلة في نفوس العرب، فقد خبت جذوتها منذ ذلك الوقت وأخذت تتسكش شيئًا فشيئًا حتى انحصرت في البلاد العربية الإسلامية (مثل سورية وشبه جزيرة العرب). وهكذا لم يصادف اندماج الجنس الحاكم بالأساس المحكومة في سبيل أمة عتية، ذلك الاندماج الذي بدأ منذ خلافة بني أمية ولم يحل دونه.

(١) اليمقوي كتاب البلدان (طبعة دي غويو) ص ٢٨٥ (س ٦ وما يليه)

(٢) الأغاني ج ١٨ ص ١٤٨، ج ١٢ ص ١٧٦. قصيدة مجابية ترجمها

فون كرىمر Von Krenner في كتابه Steilsteiger, p. ١١٠ suiv. وقد قرأ

الاستاذ فون كرىمر لفظ «تباين» في البيت الأول خطأ وصححتها تباين

(جمع تباين) التباس الخاس بالموالي. أنظر الأغاني ج ١٥ ص ٢١ والجوالي

(طبعة سخاو Sachau) ص ٦٧.

إتمامه سوى أولئك العرب المخلص لما كانوا يستثمعون به من حقوق
وامتيازات خاصة .

وقد ساعد قيام تلك الحكومة الجديدة على ظهور تلك النهضة الفكرية
التي تناولت جميع العالم الأسلاي ، والتي لم تلبث أن طاعت على الانسانية
كافة دون أن تقتصر على الدولة الاسلامية في الشرق .



تذييل

— ١ —

الشئون المالية في خراسان وإصلاحات نصر بن سيار

(أنظر ص ٢١) (ص ٥٠ من الترجمة)

من الصعب جداً أن يتف المؤرخ هل رأى صحيح فيما يتعلق بالضرائب بخراسان في عهد العرب . وقد ذكرنا قبل أن الجزية أو خراج الجزية (وهي الضريبة التي كان يدفعها الكفار) كانت جزءاً من تلك الضريبة التي كان يدفعها أهل خراسان للعرب ليكنوا عن قتالهم . من ذلك ما فعله مهوية صرزيان مرو . فقد أبرم مع علي بن أبي طالب معاهدة تعهد فيها بأن يدفع له الدهاقين والأسوار والدهسلار (ثلاث طبقات من أصحاب الضياع) الجزية (البلاذري - فتوح البلدان ص ٤٠٨ وما يليها) . كذلك لم يكف العرب عن قتال أهل هراة إلا بعد أن تعهد لهم أميرها بأن يدفع اليهم الجزية « وأن يقسم ذلك على الأرضين عدلاً بينهم » .

على أنه كان هناك في عهد نصر بن سيار (٧٢٠ — ٧٣٠ م) خراج آخر غير الجزية وغير ذلك المقدار الذي نص عليه في معاهدة الطلح . يتبين ذلك من الخطبة التي ألقاها نصر بن سيار يوم الجمعة بالمسجد بعد أن ناد من غزواته بنواحي بلخ وبلاد ماوراء النهر والتي نقلها بنصها عن الطبري (٢ : ١٦٨٨) : « ألا إن بهراميس كان مانح المجوس يمنهم ويدفع عنهم ويحمل أنقاعهم على المسلمين . ألا إن إشيداد بن جرمجود كان مانح النصارى . ألا إن عقيبة اليهودي كان مانح اليهود يفعل ذلك . ألا إنى مانح المسلمين أمنهم وأدفع

عنهم وأجمل أتعالمهم على المشركين . ألا إنه لا يقبل منى إلا توفى الخراج على ما كتب ورفع . وقد استعملت عليكم منصور بن عمرو بن أبي الخرقاء وأمرته بالعدل عليكم . فأما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من دأسه أو ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين ، فليرفع ذلك إلى منصور بن عمرو ، يحوله عن المسلم إلى المشرك .

ولم يكذب يحمى على ذلك أسبوع واحد حتى وقد على نصر بن سيار ثلاثون ألف مسلم ممن كانوا يدفعون الجزية وثمانون ألف رجل من الكفار ممن أعفوا منها ، فضرب نصر الجزية على الكفار وأعفى منها المسلمين . ثم كتب نصر قاعة للخراج وفق هذا النظام الجديد ، ثم وثق الوثيقة التي جرى عليها المصلح . وقد بلغ خراج مرو في عهد الأمويين مائة ألف درهم سوى ما كانت تفلح عليهم ضريبة الأرض .

ويوضح لنا من تلك العبارة أنه كان عمرو ضريبة عقارية (الخراج) بجانب ضريبة الرؤوس (الجزية) . وهي جزء من تلك الضريبة التي نص عليها في عهد المصلح . ولا غرو فقد فرق نصر (بكلمة أو) بين المسلمين الذين ضربت عليهم الجزية وغيرهم ممن فرض عليهم الخراج .

ويمكن تفسير هذا إذا اعتبرنا أن الجزية (ضريبة الرؤوس) التي كان يدفعها الكفار قد تحولت إلى خراج (ضريبة عقارية) من تحول هؤلاء إلى الإسلام . على أن هناك أمراً آخر من التفرقة يمكن ، وهو إعفاء ثمانين ألف من الكفار من الجزية التي كانت الحكومة لا تأو جهداً في جبايتها منهم . ويمكن تعليل هذا بأن الكثيرين من غير المسلمين قد استطاعوا بمعاونة أسياعهم في الدين — أن يشحولوا عن جزية الرؤوس إلى ضريبة أخرى عقارية (خراج) ، هذه الضريبة التي كانت — بلا ريب — أخف احتمالاً من الجزية . على أن هناك قرناً آخر لتعليل ذلك ، وهو أن الأرض التي تركها بعض الموالي (المسلمون من غير العرب) فراراً من ظلم بني أمية

قد منحت إلى غيرهم من آثروا البقاء على أن يدفعوا الخراج عنها .
 ونفس لنا اعتناق الكثيرين للإسلام تقعن خراج مرو الذي بلغ
 ٢٠٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ درهم على إثر الصلح الذي أبرمه حاتم بن نعيم (على ما رواه
 البلاذري من ٤٠٥ والطبري ١ : ٢٨٨٨) أو ١٠٠٠٠ و ١٠٠٠٠ درهم (٢٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠
 جريب من القمح والشعير أو ٢٠٠٠ و ٢٠٠٠ متقالا من الفضة على ما رواه
 غيرهما من المؤرخين) .

الأمويون يمثلون الجماعة الإسلامية

(أنظر من ٣٥) (من ٧٠ من الترجمة)

يقول الشهرستاني (من ١٠٣ س ١٤ وما يليه) : « والذين اعتزوا إلى جانب
 فلم يكونوا مع علي رضي الله عنه في حروبه ولا مع خصومه وقالوا لا ندخل
 في غمار الفتنة من المصاحبة : عبد الله بن عمر و - محمد بن أبي وقاص و محمد بن
 مسلمة الأنصاري وأسامة بن يزيد بن حارة الكلبي مولى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم . وقال فيس بن أبي حزم كنت مع علي في جميع أحواله وحروبه
 حتى قال يوم صفين : اتفروا إلى بيعة الأحزاب اتفروا إلى من يقول كذب
 الله ورسوله وأنتم تقولون صدق الله ورسوله ففرغت عين من كان يعتقد في
 الجماعة فاعتزلت عنه » .

يقول حزة الأصغاني (طبعة Gottwald) من ٢٤٧ وما يليه : « وصور روم
 (يريد صور الأمويون العلويين) عند أعتام عرب الشام بصورة الخوارج
 على أئمة العدل وقرروا عندهم أنهم شقوا المبدأ وأخرجوا أيديهم من الجماعة
 وحاولوا انتزاع الإمامة من إمام وليهم إمام (لعليها ولي عهد) ظالمين في أن
 يفسبوه على حق موروث جملة من تقدمه أولى به منهم حتى مال عليهم

أولئك الأتباع باليمن والافتراء وقالوا لهم نبأ لكم من معشر مفارقين للمنة والجماعة عاصين غلبة الله ثم غيروا قريبا من مائة سنة يحذرون الناس ناحيتهم يبتغونهم إلى النفوس ويهربون عن ملايتهم والاختلاط بهم حتى أتاه الله لهم منير الظلمة أبا مسلم صاحب الدولة فظهر منهم البلاد ونجى منهم العباد .
ويبين لنا من مقارنة هذه العبارة بالتي قبلها أن رأى حوزة في الأمين وعواطفه الممتدة نحوهم واعتباره إياهم ممثلين لجماعة المسلمين ، إنما يرجع إلى عاطفة وطنية طبيعية ، وأن الكثيرين من المسلمين في القرن الأول الهجري كانوا يشاءون قيس بن أبي حازم رأيه في هؤلاء الأمويين . أنظر ما ذكره صاحب الأغاني (ج ٦ ص ١٤١) في أول الدبل الثالث ، ثم الدبل الخامس (فيما يتعلق بموسى بن طلحة) .

أسباب ثورة أهل إفريقية

الطبرى ١ : ٢٨١٥

(أنظر من ١١ ، ٣٧) (من ٣٢ — ٣٣ ، ٧٢ — ٧٣ من الترجمة)

كان أهل إفريقية أكثر الولايات الإسلامية طاعة وخضوعا لبني أمية حتى خلافة هشام (بن عبد الملك) ، حيث اندس بينهم بعض الدعاة (١) الذين وقدوا عليهم من العراق ودفعوا إلى الثورة ، فقطعوا أوامر القلة التي كانت تربطهم بدار الخلافة ، ولا يزالون على ذلك إلى اليوم .
(١) يحتمل أن يكون هؤلاء من الخوارج . أنظر أيضا الخامس (طبعة Juynboll .

ج ١ ص ٣١٩ ، ٣٢٦)

× ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٩٤ م قبل إعلان الجمهورية التركية وزوال الخلافة سنة ١٩٢٣ .

والى القادى سبب هذا الاتصال :

طالما كان يرد هؤلاء البربر على الداعين الى الفتنة من دعاة المباسين بقولهم : « إنا لا نحالف الاثمة بما تجنى العمال ولا نحمل ذلك عليهم . فقالوا لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك . فقالوا لهم : لا نقبل ذلك حتى نبورم (٢) . فخرج ميسرة في بضعة عشر إنسانا حتى يقدم على هشام فطلبوا الأذن فصعب عليهم . فأتوا الأبرش فقالوا أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يفرزونا ويحتده ، فإذا أصاب نفلهم دوننا وقال : أحق به ، فقلنا هو أخلص الجهادنا لأننا لا نأخذ منه شيئا ، وإن كان لنا فهم منه في حل ، وإن لم يكن لنا لم ترده . وقالوا : إذا حاصرنا مدينة قال تقدموا وأخر جنده ، فقلنا تقدموا فإنه أزيد في الجهاد ومثلكم كفى أخوانه ، فوفيناهم بأنفسنا وكفيناكم .

ثم إنهم عمدوا إلى ما شئنا فعملوا يفترونها عن المخال يطلبون الزهراء البيضاء أمير المؤمنين ، فيقتلون ألف شاة في جلد ، فقلنا ما أيسر هذا لأمر المؤمنين ، فأحسنا ذلك وطلبناهم وذلك .

ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جملة من ثناتنا ، فقلنا هذا ليس في كتاب ولا سنة ، ونحن مسلمون . فأحسنا أن نعلم أعن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا . قال : (الأبرش) نعم . فلما مال عليهم وانعدت بنقاتهم كتبوا أسماءهم في رقاع ورفعوها إلى الوزراء وقالوا هذه أسماؤنا وأنسابنا ، فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه .

ثم كان وجههم إلى إفريقية ، فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على إفريقية ، وبلغ هشام الخبر وسأل عن الخبر ، فرقت إليه أسماؤهم ، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا وصنعوا .

CE Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne. I. 34 suiv.

الخوارج في عهد الأخيرين من خلفاء بني أمية

(أنظر ص ٣٧) (ص ٧٢، ٧٣ من الترجمة)

والى القسارى* طرفاً من هذه الخطبة التى خطبها فى مسجد المدينة ،
أبو حزة الخارجى من بلاد اليمن علّاه يثيب منها مبول هؤلاء المنشقين
ووجهة نظرم .

(الطبرى ٢: ٢٠٠٩ ، والأفغانى ج ٢٠ ص ١٠٤ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٩٠)
« أتعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرأ ولا
بطراً ، ولا عبثاً ولا طموا ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ، ولا نأثر
قديم نيل منا . ولكننا لما رأينا مصابيح الحق قد غطت ، وعنف القائل
بالحق ، وقتل القائم بالقسط ، ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعتنا داعياً
يدعو الى مناعة الرحمن وحكم القرآن ، فأجبنا داعى الله ، (ومن لا يجب داعى
الله فليس بمعجز فى الأرض) . (القرآن الكريم سورة ٢٦ آية ٣١) .

« فأقبلنا معه قبائل شتى ، النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم
يتماورون الخافوا ، فليلون مستضعفون فى الأرض . فآوانا الله وآيدنا
بنصره ، وأصبحنا والله بشمته إخوانا .

« ثم لقينا رجالاً بقديد ، فدعوناهم الى مناعة الرحمن وحكم القرآن ،
ودعوناهم الى مناعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان . فشتان لعمر الله ما بين
النقى والرشد . ثم أقبلوا يهرهون يزفون ، قد ضرب الشيطان فيهم بحرانه ،
وغلت بدماهم مراجله وصدق عليهم ظنه ، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب
بكل مهتد ذى رونق . فعدارت رحانا واستدارت رحام يضرب يرتاب

منه المبطلون

« يا أهل المدينة ! من زعم أن الله تعالى كلف نصراً فوق طاقتها أو سأل عما لم يؤتها ، فهو لله عدو ولنا حرب . يا أهل المدينة ! أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله في كتابه على القوى على حبه للضعيف ؛ تجاه التاسع وليس له منها ولا سهم واحد . فأخذ جميعها لنفسه مكابراً بما ربه . ما تقولون فيمن عاونه على فعله ؟ »

« يا أيها أهل المدينة ! لطفني أنكم تنتقصون أصحابي : قتلتم هم شباب أحداث وأحراب حفاة . وبيكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أحداثاً شباباً ، شباب واقع مكنهون في شبابهم ، غصية عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم . قد باعوا الله عز وجل أنفساً تموت بأنفس لا تموت . فقد حلقوا كلالهم بكلالهم وقيام ليالهم بصيام نهارهم »

« ولغات أيضاً بما نقله صاحب الأغاني (ج ٢٠ من ١٠٦) عن الخلفاء الراشدين ثم الأمويين :

« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الكتاب وبين له فيه ما يأتي ويذر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم وقد أدى القدي عليه ، لم يدعكم من أمركم في شبهة . ثم قام من بعده أبو بكر ، فأخذ بسنة مقاتل أهل الردة ، وشمر في أمر الله حتى قبضه الله إليه ، والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ومغفرته ! ثم ولي بعده عمر ، فأخذ بسنة صاحبيه وجند الأجناد ومصر الأمصار وحبلى النبي فقسمه بين أهله ، وشمر عن ساقه وحسر عن ذراعه وخرب في الحمر ثمانين . وقام في شهر رمضان ، وغزا العدو في بلادهم ، وفتح المدائن والحصون ، حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته ! ثم ولي من بعده عثمان بن عفان ، فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه ، ثم

أحدث أحداثاً ، أبطل آخرتها أولها ، واضطرب حبل الدين بمسدها ،
فطلبها كل امرئ لنفسه ، وأسر كل رجل منهم سريرة أبداها الله عنه ،
حتى مضوا على ذلك .

ثم ولي بن أبي طالب ، فلم يبلغ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مناراً
ومضى . ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابن لعينه ، وجلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، مؤلف مناقب .
فسفك الدم الحرام ، واتخذ عباد الله خولا ، ومال الله دولا ، ونفى دينه
عوجاً ودغلاً ، وعمل بما يشبه حتى مضى لسبيله . فعل الله به وفعل : ثم ولي
بعده ابنه يزيد الخور ويزيد الصنور ويزيد اليهود ويزيد الصيود ويزيد
القروء ، خالف القرآن واتبع الكهان ونادم القردة وعمل بما يشبه ، حتى
مضى على ذلك . لعنه الله وفعل به وفعل : ثم ولي مروان بن الحكم يزيد
لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وابن لعينه ، فالعنوه وألعنوا آباءه .
ثم تداولها بنو مروان بعده أهل بيت المنة ، فزاد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وآله ، وفقر من المقتطاع ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا
التابعين باحسان . فأكلوا مال الله أكلاً ، ولعبوا بدين الله لعباً ، واتخذوا
عباد الله عبيداً ، ويورث ذلك الأكبر منهم الأصغر . فبالها أمة ما أضعفها
وأضعفها ، والحمد لله رب العالمين !

ثم مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى ، قد نبذوه
وراء ظهورهم ، لعنهم الله فالعنوه كما يستحقون . وقد ولي منهم عمر بن
عبد العزيز ، فبلغ ولم يكده ، وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله ،
ولم يذكره بخير ولا شر . ثم ولي يزيد بن عبد الملك ، غلام ضعيف سفيه
غير مأمون على شيء من أمور المسلمين . لم يبلغ أشده ولم يؤانس رشده ،
وقد قال الله عز وجل (فان آستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم) (القرآن
الكريم سورة ٢ آية ٥) : فأمر أمة محمد في أحكامها وديانها أعظم من ذلك

كله ، وإن كان ذلك عند الله عظيما . . . يشرب الحرام ويأكل الحرام ويلبس الحرام ، يلبس بردين قد حيكتا له وقومتا على أهلها بألف دينار وأكثر وأقل ، قد أخذت من غير حلها وعرفت في غير وجهها بعد أن ضربت فيها الأبرار وحلقت فيها الأشعار ، واستحل ما لم يحل بعد صالح ولا نبي مرسل .

« ثم يجلس له بابه عن يمينه وسلامه عن شماله تغنياته بمزامير الشيطان ، ويشرب الخمر المراح المحرمة نعاً بعينها ، حتى إذا أخذت مأخذها فيه ، وغالطت روحه ولحمه ودمه ، وغلبت سورتها عن عقله ، مزيق حليته ثم الذنت إليها فقال : أتأذن لي أن أمير ؟ نعم ؟ فطار إلى النار إلى لعنة الله حيث لا يدرك الله » .

المهديون من غير آل البيت

(أنظر ص ٥٩ ، ٦٢) (ص ١١٦ ، ١٢١ من الترجمة)

روى ابن سعد حديثا جاء فيه أن موسى بن طلحة هو المهدي المنتظر . وقد أشرنا إليه عند كلامنا عن المخرج . وإلى القارئ نص هذا الحديث نقلا عن ابن سعد (الطبقات ١٠٨٢ ص ١٧٤٨ : God. Gath. 1748) :

(عن) « خالد بن سمير قال : قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة ، فهرب منه وجوه أهل الكوفة . فقدموا علينا هؤلاء البصرة وفيهم موسى بن طلحة ابن عبيد الله ، وكان الناس يرونه في زمانه هو المهدي . قال فقشيه ناس من الناس ، وقشيته فيمن قشيه ، فإذا شبع منويل السكوت قليل الكلام طويل الحزن والكآبة لي أن قال يوما : والله لأدركن أني أكون أعلم أنها فتنة لها اقتضاء أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا وأعظم الخطر . فقال رجل من القوم :

يا أبا محمد ! ما الذي ترهب وأنت أن تكون فتنة ؟ قال : أُرهب المهرج .
قال وما المهرج ؟ قال : الذي كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدثون : القتل بين يدي الساعة لا يستقر ناس على إمام حتى تقوم الساعة
عليهم . وهو كذات وأيم الله . إن كانت هذا فوددت أني على رأس جبل
لا أسمع لكم صوتا ولا أرى لكم داعيا حتى يأتيني داعي أبي . قال : ثم
سكت . ثم قال : رحمه الله عبد الله بن عمر أو أبا عبد الرحمن : بما سمع وإما
كناه . إني لأحسب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عهد إليه
لم يفتن ولم يتغير . والله ما استقر به فريش في فتنها الأولى . فذلك في نفسي
إن هذا ليرى على أبيه في مقلته قنوا وتحول موسى بن طلحة إلى الكوفة
ونزلها وهناك بها .

وقد ذكر ابن جرير (ج ٣ من ٩٩٠ . ٩٩٦) أن موسى بن طلحة هو
المهدي . كذا ورد حديث المهرج في « الفائق » لمؤرخي .
وقد جاء في تلك الأحاديث أنني نقلها عن ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز
هو ذلك الرجل الذي سبلا الأرض عدلا .

(عن) « جريدة » بن أسماء عن نافع قال عمر بن الخطاب : ليت من ذو الشين
من ولدي الذي سبلاها عدلا . (عن) نافع عن ابن عمر قال : كنت أسمع
ابن عمر كثيرا يقول : ليت شعري من هذا الذي من ولده عمر في وجهه علامة
ببلا الأرض عدلا ؟ قال ابن عمر : إنما كنا نتحدث أن هذا الأمر لا يفتني
حتى يبي هذه الأمة رجل من ولد عمر يسير فيها يسيرة عمر بوجهه شامة .
قال فكنا نقول هو بلال بن عبد الله بن عمر وكانت بوجهه شامة . قال حتى
جاء الله بعمر بن عبد العزيز وأمه أم عامر بنت عامر أم عمر بن الخطاب . قال
يزيد عمر بن دابة من دواب أبيه فتدجته . فلما دخل أروى يسح الدم ويقول
سمعت إن كنت أسمع بني أمية . وأخبرنا عبيد الله بن عبد الحميد الخنفي
قال يا عبيد الجبار بن أبي معن ! قال : سمعت سعيد بن المسيب وسأله رجل فقال :

يا أبا محمد ! من المهدي ! فقال له سعيد أدخلت دار مروان ؟ قال : لا . قال
فأذن عمر بن عبد العزيز للناس فأنطلق الرجل حتى دخل دار مروان فرأى
الأمير والناس مجتمعون . ثم رجع إلى سعيد بن المسيب وقال : يا أبا محمد !
دخلت دار مروان فلم أرا أحداً أقول هذا المهدي . فقال سعيد بن المسيب وأنا
أسمع : هل رأيت الأشج عمر بن عبد العزيز القاعد في السرير ؟ قال نعم ! قال
فهو المهدي . (عن) مسلمة بن عبد العزيز قال : سمعتُ العرزمي يقول : سمعتُ
محمد بن علي يقول النبي ما زال منا والمهدي من بني عبد شمس ولا فعله إلا
عمر بن عبد العزيز . قال وهذا في خلافة عمر بن عبد العزيز . أخيراً مسلم بن
إبراهيم قال : حدثني أبو بكر بن الفضل بن المؤتمر العكي قال : حدثني أبو
يعقوب مولى هند بنت أمية قال : قلت لعمد بن علي إن الناس يزعمون أن
فيكم مهدياً ، فقال إن ذاك كذاك ولكنه من بيت عبد شمس . قال كأنه
عني عمر بن عبد العزيز .

أنظر العنبري (٢ : ١٣٦٢) ص ١٢ وما يليه واليعقوبي طبعة Houtstam

ج ٢ ص ٣٦٩ ص ١٢ .

سليمان بن كثير والكفيلة

كتاب المتوفى الكبير للقريري مخطوط ، المكتبة الأهلية بباريس ،

ورقة ٨٠ ب .

وكان سليمان بن كثير الخزاعي من النقباء . فلما قدم أبو جعفر أخو أبي
العباس على أبي مسلم قال له : إنا كنا نحب تمام أمركم وقد تم بحمد الله ونعمته ،
فاذا شئتم قلبناها عليه . وكان محمد بن سليمان بن كثير خذاتياً فسكره تسليم
أبيه الأمر إلى أبي مسلم . فلما ظهر أبو مسلم وغلب على الأمر قتل محمد ثم

أبي سليمان الكيفية وعم الدين بإيموا على أن لا يأخذوا مالا وأن تؤخذ
أموالهم إن احتيج اليها، ويدخلون الجنة. ويقال لهم أعطوا كتبنا من الجنة
فسحوا الكيفية. وقال لهم: حفرنا نهرا بأيدينا ماء غيرنا فأحرق فيه الماء،
يعني أبا مسلم. فبلغ قوله أبا مسلم، فاستوحش منه وشهد عليه أبو تراب
الداعية ومحمد بن علوان المروزي وغيرهما في وجهه بأنه أخذ عنقود عنب
وقال اللهم سود - جه أبي مسلم كما سودت هذا العنقود واسق دمه. وشهدوا
أن ابنه كان خداسيا وأنه بال على كتاب الأئمة. فقال أبو مسلم ليهدهم:
خذ به وألفه بخوارزم. وكذبت كان يقول لمن أراد قتله، فقتل - ليأني
ابن كثير.

ولم ترد هذه المعلومات الشائقة المفضلة. وذلك التنبؤ الجزئية الصغيرة في
كتب الكثيرين من مؤرخي العرب. وقد انورد المقرري يذكر بعض
شذرات منها في كتابه «الزراع والتنامية فيها بين بني أمية وبني هاشم»
(طبعة ١٩٠٨ ص ٥٢). وما يؤسف له أن المقرري لم يشر إلى أي مصدر
من المصادر التي نقل عنها تلك المعلومات. وليس بعيدا أن يكون المؤرخون
المعاصرون للدولة العباسية قد حذفوا من كتبهم كل - مما أن يفت من
شأن هذه الدولة، من تلك التنبؤ والاخبار التي لم يرد يحنى المؤرخون
المعاصرون للمقرري في ذكرها جانب العباسيين.

﴿ انتهى ﴾



فهرس الكتاب

١ - الفهرس العربي

الراوندية (٩٨) قتله خدasha داعي الخرمية	١
ابراهيم بن عبد الله بن مطيع (١١٨) الاسرائيليان ١٠٧ - ١٣٥	
ابراهيم بن محمد (بن من المباسي) ٩٧ آسيا الصغرى ٤٤	
أبيورد ١٢٩	الانتراقية - أنظر اللاوردية
الأثرالك ٤٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٠ ، أشرس - والى بلاد ما وراء النهر ٥١	
٧٢ ، ٦١	٦٣ ، ٥٥ ، ٥٣ ، ٥٢
أثومغا ١٣ (اعتناق أهلها الاسلام) ابن الأشعث بن عبد الرحمن ٤٣ ، ٤٢	
ابن الأنير ٣٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١١٦ (خروج من بني أمية) ٨١ ، ٥٧ ،	
أجتاي (المفولى) ٩	١٢٠ ، ١٠٩
الأحزاب ١٨	الأصبغ - عبد العزيز ١١١
أدرقة ١٠٠	أصبغ ٤٧
براقس - نهر ١٣	اصطخر ٢٥ ، ١٢٠
أوتولد - الأستاذ المرحوم السير ٨ ، الأتاني - كتاب ٤٧ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٧١	
٨٦ ، ١٣ ، ١٠	٧٣ ، ٨١ ، ٩١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠
أزبك خان - زعيم القبيلة الذهبية ١٠ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤	
الاستخراج (أو التكشف) ٣٢	١٢٢ ، ١٣٩
ابن اسحق ١١٨	فريقه ١٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠ (أسباب نورشيم)
أسد بن عبد الله - والى خراسان ٣٨ ، الأفلانونية ٧٥	
٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٨٧ ، ٩٧ (قتله الأكلسة - أنظر آل ساسان	

الامام — الأمامية ٧٨ : ٧٢ : ٦٨	بخارا خودد ٨٧ : ٥٥ : ٥٤ : ٤٥
(عصمة الأئمة) ٩٣ : ٩٤ : ٩٨ : ١٠٠	البخارى ١١٧ : ١١٦
(الامام الثاني عشر) ١٠٣ : ١٣٨ : ١٤٧	بخارى ٩ : ١٣ : ٤٨ : ٤٩ : ٥٣ : ٥٤
انتشار الاسلام ٨٠ : ٦٤ : ١٢٤ : ١٦	٥٥ : ٦١ : ٦٦ : ٨٦ : ١٣٢ (تورقشريك)
انتشار الاسلام في أوروبا ١٠ — ١٤	بدر ٨٤
انتشار المسيحية والاسلام ١٤ : ٦ : ٥	بذ شمس ٤٦
الانجيل ١٢	أبو براء ١٧
أنس بن مالك ١١٨	براون ١٠٢
الانساب للبلاذرى ١٢٥ : ١٢٠ : ٥٧ : ٥٤	البربر ٧٢
الانساب لاسمعي ٩٥	بركة على المغولي ٩
آنداء (حميد كويلاي المغولي) ٩	شرويه (بلاد الروس) ١٠٠
إندو-كيث ٤٤	البصرة ٥٦ : ٥٧ : ٧١ : ٩٣ : ١١٦
أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ١١٧ : ١٤٤	
٨٤٧	بغداد ٨ : ٩٦ : ١٠٠
أوب — نهر ١١٣	البكتريان ٤٤
الأوس ٦	بكر — قبيلة ١٨
إيطاليا ١١	بكير بن ماهان ١٠٥
إيلياء ٣٥ : ٢٠ : ٧	البلاذرى ٢٣ : ٢٤ : ٢٥ : ٢٦ : ٢٧
	٢٨ : ٣٠ : ٣١ : ٣٨ : ٣٩ : ٥٤ : ٢٧
	٧٠ : ٧١ : ٨٠ : ١٢٠ : ١٢٥ : ١٣٦

ب

البابية ٩٧ : ١٠٠ : ١٠١ (تاريخهم) ١٠٢ : ١٣٨	
باذان — غامل كسرى عبيد الله ٧ : ٦ : ٧	بلغ ٤٧ : ١٢٧ : ١٢٩ : ١٣٦
الباطنية ١٠٢ : ١٠٣	بلال مؤذن الرسول ٨٣
البحري (كتاب شرح المنهج) ٩٠	بلال بن عبد الله بن عمر ١٢٥

الترمذى ١١٧، ١١٩	البلدان التي يقوى ١٣٤
تفصلاً - أمير بخارى ٤٨، ٤٩، ٥٤	البغفار ١١
٨٧، ٥٥	بنيامين (بقريرق القبط) ٢٠
تكو دار احمد - خان المغول ببلاد	أبو البهاء ١٠١
الفرس ١٠٤، ٩	البهائية ١٠٠
تجيم الدارى ١١٤	بطلان الخارجى ١٢٥
التنبؤ بالأشخاص والحوادث المعينة	البوذية - البوذيين ٩٧، ٨٣، ٨٢، ٩، ٨
١١٩ - ١١٤ (تصوير العالم)	بيت المال ١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥
التنبؤ بركة عيسى ١١٩	٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٩، ٥٠، ٥٣
التنبؤ والاشراف للمعروفى ١٢٠، ١٢	٥٤، ٥٥، ٥٨، ٥٩
ثيودوسيوس ٨٢	شعر معونة ١٧
التوراة ٧٥، ٨٢، ١٠٧	البيزنطية - الدولة ٧، ١٠
التوقف ٧٩	

ث

ثابت فطنة - ثورته في خراسان ٦٠ - ٦١

ج

جدة ١٥

جدة ١٥	تاجوت - ولاية ٩
جغرافيا - الى بلاد ماوراء النهر ٥١	التأويل ٨٨
جزيرة العرب - أنظر بلاد العرب	الثبت ٨٢
الجزيرة - أنظر الخراج	تبليط ١٢
جغرافيا الصادق ١١٣	تبيين - ابن امرأة كعب الأحمار ١١١
بلاد الجزيرة ٢٩، ٧٢، ٧٤، ٩٣	التنار - أو المغول - انتشار الاسلام جرجان ٢٣
	بينهم ٨ - ١٢، ٨٦
	تحيك ٤٥، ٤٤
	التركستان ١٢، ٤٤، ٤٥، ٨٢
	ترمذ ٦٣

جشكيزخان ٨	الخرء - موقمة ١١٨
الجبتيه - والى خراسان ٦٢	حروراء ٧١، ٧٤، ٩٣
أبو جهل ٨٣	حزب - أحزاب ٦٨ (حزب أهل
جهم بن صفوان - أحد رؤس المرجئة السنة)	
٦٥ (رأيه في الأيمان) ١٠٨	١٠٤ (الحزب الخراساني)
جوزجان ٤٦	حزب بني أمية ٦٩، ٧٠
جو شنع ١٢٩	حزب الخوارج ٦٨
جولدزير ٣٨، ٣٧	حزب الشيعة ٦٨
جيتويه ٤٦	الحسين بن الحسن بن علي ١٣٣
	الحسن بن علي ٨٠
	الحسين بن علي ٨٠، ١١١
ح	
الحارث بن سريج ٦٥-٦٧ (ثورته في ابن عبد الحكم ٢٧	
خراساني) ٧٢٤، ٩٤، ٩٥، ١٠٤، ١١١	حليمة السعدية - أم الرسول من
١٢٦، ١٢٥	الرضاع ٨٥
الحارث بن عبيد الله الجعدي الشاعر ١٢٢	حمزة الاصمغاني ٥٤، ١٣٨
حبابه - مغنية يزيد بن عبد الملك ١٤٤	أبو حمزة الخارجي ١٢٥، ١٤٠
الحبش - الاحباش ١١٦	الحبيقة ٩٣
الحجاج بن يوسف - فالتقى ٢٥، ٢٨، ٤٤	ابن حنبل - الامام ٩٠
٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٦، ٥٨، ٧٢، ٩٠	ابن الحنفية - محمد ٨٠، ٨١، ٨٢،
١١٢، ١٣٢	٩١ (الكلاء ما نسب اليه من احاطته
الحجاز ٧١، ٨٤، ١٠٩	بعلوم ما وراء الطبيعة)
ابن حجر السقلاقي ٨٦ - ١٤٥	أبو حنيفة - الامام ٩٨
الحديبية - صلح ١٨، ٨٥، ٩٥ (شجرة	أبو حنيفة الدينوري ١٢٩
الحديبية)	الحثيون ٤٤

١١٩ : ١٢٦

الدجال ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ -

ذ

١٢١ (ظهوره)

أبو ذر الغفاري ٢٢

دجلة ١١٢

أهل الذمة ٣٧

دحية بنت الأسيح بن عبد العزيز

الأموي ١١١

ر

الدردير - صاحب كتاب الترح - رأس الخالوت اليهودي ١١١

الكبير ٩٠

رافع بن ثابت ١٣٢ (خروجه من

الدعاية الإسلامية للمرحوم السير الميائين) .

توماس أرتولد ٨

الراوندية ٨١ ، ٩٦ ، ٩٧ - ٩٨

الدعوة - الدعاة ٧٩ ، ٩٢ (الدعوة) عقيدتهم وعبادتهم (أبا جعفر) ٩٩ ، ١٠٧

الهاشمية في العراق (٩٣ ، ٩٤) انظر لها - رتبيل - أمير مستان ٣٥ ، ٤٦

ولادة خراسان (الدعاة) ٩٤ - ٩٥ (أثر الزدة ٥ ، ٨٢ ، ٨٧ - ٩٠

الدعاة الميائين) ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ . الزجعة ٢٩

١٠٣ - ١٠٥ (انتقال الدعوة الميائية) بنو الرجيع - سرية ١٧

في خراسان (١٢٧ - ١٣٩

رسناق - رساتين ٣٠ ، ٤٥

دمشق ٢١ ، ٥٣ ، ٧١ ، ٩٣

ابن رستم ٧٠ ، ٨٠

ديزار - أمير نهاوند ٩٦

الرشيد ١٣٢

الدينوري ٩٤ ، ١٢٥ ، ١٢٩

رضوى - جبل ٨١

دهقان - دهاقين ٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ الرسول - انظر محمد صلى الله عليه وسلم

٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٢ رواب ٤٦

٩٣ ، ١٣٠ ، ١٣١

الرومية ١١٩ ، ١٣١

الديوان ٣٨

الروم - الروماني - بلاد ١٤ ، ١٩ ، ٢٠

ديوان الكرزدي ٧١ ، ٨١

٢٩ ، ٨٦

دومة ٢٢

الري ١٣١

ز

الزبير بن العوام ١١٦، ٦، ١١٦

زردشت ١٣٠، ٧٥، ١٥

الزحشرى (الفائق) ١٤٥

زمار - زمانير ٣٤

زهر الآداب ١١٨

زياد بن غنم - والى الجزيرة في عهد عمر

ابن الخطاب ٢٩

زيد بن غنم ١١٣

س

آل ساسان ١١٧، ١٠٠، ٩٣

ابن سبأ - السبئية ٧٩ - ٨٠ (عقبهم)

٨١ (الفرق بين عقيدة السبئية

والكيسانية) ٨١، ١٠٢

السيل ٤٦

سجستان ٤٦

سرخس ١٢٩، ٢٧

سرية - سرايا ١٦

سرية بنى الرجيع ١٧

ابن سعد صاحب الطبقات ٢٨، ٩١، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٥

١١٦، ١٢٤

سعد بن أبي وقاص ١٣٨، ٦

سعد بن عثمان ٢٣

سعيد بن الميبي ١٢٥، ١٢٦

السند ٤٦ - ٥١، ٥٢، ٥٣، ٦٠، ٦١

السفاح ١٣١، ١٣٢، ١٤٦

أبو سفيان ٨٤ - ٨٦ (حديثه مع

هرقل) ٩٣، ١٢٠

سفيان بن يحيى ٩٥، ١٢٧

سلافة - مغبة يزيد بن عبد الملك ١٤٤

بنو سليم ١٧

سليمان بن عبد الملك ٢٣، ٧١

سليمان بن كشير ٩٥، ١٠٣، ١٠٤

١٠٥، ١٤٦

السعافى (صاحب كتاب الأنساب) ٩٥

سمرقند ٢٣، ٢٤ (شكواها من معاملة

العرب) ١٦، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٦١، ٦٦، ٨٦

سمجان ٤٦

سمية أم عمار بن ياسر ٨٣

السق لآبي داود ١٢٦

سنت سيم ١٢٠

السواد ١٩، ٢١، ٢٦، ٣٩، ٤٢

٥٠، ٧٥، ١٢١ - ١٢٧، ١٢٩

سورية ١٥، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٥

٣٩، ٦٢، ٦٨، ٧١، ٩٣، ١٠٠

محيي البخاري ١٢٠، ١١٦، ٨٦

محيي سلم ١١٨، ١١٧

أبو صخر الهذلي الشاعر ٧٠

صفين ١٣٨، ١٢٦

صليب - صليان ٦٥، ٨، ٧

أبو الصياد - والي بلاد ما وراء النهر

١١٨، ١١٧، ٦١، ٦٠، ٥٣، ٥٢

الصين - الصينيون ١٠٨، ٨٣، ٤٦، ٤٨

ض

الضحاك بن عبد الرحمن - والي بلاد

الجزيرة في عهد عبد الملك ٢٩

الضريبة - الضرائب ٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩

٤٠، ٥٠، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥

١٣٧، ١٣٦، ١٣٥

الضريبة المقارية ١٣٧، ٢٠

ط

طالقان ١٢٩، ٤٦

طالوت - نهر ٧٧

الطائف ٦

طبرستان ٧١، ٢٣

الطبري ٢٣، ٢٢، ١٩، ١٧، ١٥، ٧

٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٦، ٢٥، ٢٤

١٣٨، ١٣٤، ١٢٢، ١١٨

سيرايا ١٤، ١٣

سيحون - نهر ٦٢، ٥٢

سيمون المجوسي ٧٥

ش

الشافعي - الامام ٩٠

الشام : بلاد - أنظر سورية

شبيب بن علي - أحد أنصار علي ٩٥

شريك (ثورته ببخاري) ١٣٢

شمس الدين السرخسي (صاحب كتاب

المبسوط) ٨٩

الشمري ١٣٨، ١٣١، ٩٠، ٨١، ٨٠

الشوري - أهل ٩٥

شرويه - كسرى فارس ٧

الشيعة ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٤، ٧٢ - ٧٩

(عقائد) ٢٩ - ٨٩ (طوائف الغالية)

٩٥ - ٩٠ (الشيعة الحاشمية) ١٥٠، ١٥٠

١٢٨، ١٢٢

ص

الصابئة ٩٦

صان بن صائد - أنظر أبا الصياد

صبيح الاعشى لثقلشندي ٩

عبد الرحمن بن عوف ٦	٤١، ٣٩، ٣٨، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣
عبد الله بن الزبير ٧١	٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٥
عبد الله بن سعد بن مروح ٢٦	٦٨، ٦٥، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٥٥، ٥٣
عبد الله بن العباس ١١٢، ٩٣	٨٠، ٧٨، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٩
عبد الله بن عمر ١٣٨، ١٤٥	١٠٢، ٩٨، ٩٧، ٩٥، ٩٤، ٩١، ٨٦
عبد الله بن يحيى الخارجي ببلاد اليمن ٧٣	١٢٨، ١٢٦، ١٢٤، ١١١، ١٠٥، ١٠٤
عبد الملك بن مروان ٢٩، ٣٢، ٤١	١٤٦، ١٤٥، ١٣٦، ١٣٢، ١٢٨، ١٢٦
عبد الله بن سعد ١١٦، ٩١ (في نظر الحزب الأموي) ٧٩	١١٦، ٩١
١٢٣، ٩٣	١٢٩، ٦٢، ٤٦، ٢٣
عبد الله بن زياد والي العراق ٣١	١١٧، ٧١
عثمان بن عفان ٢٥، ٦ (مقارنة عهده)	١٠١
عبد عمر ٢٧ (خراج مصر في عهده)	١٢٩، ٤٧
١٢٦، ٧٩، ٧١، ٧٠، ٦٨، ٦٤	
٧١ (العناية البصرية) ٧١	
العراق ١٨، ٢٤، ٣٩ (الضرائب)	عبد بن عابد بن (صاحب حاشية رد الفتنار)
٤٣، ٤٢، ٤١، ٣٩ (الاستثنائية)	٩٠
٩٣، ٧١، ٧٢، ٥٧، ٥٦، ٥٠، ٤٧	عاصم بن عبد الله - والي خراسان ٦٢
١٢٢، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣	عاصم بن الطنيل ١٧
١٢٩، ١٣٤	العباس بن عبد المطلب عم النبي ٩٢
المرب - بلاد ٦، ٩، ١٤ (موقعهم)	٩٧، ٩٣
٢١، ٢٠، ١٩، ١٦ (خيال الرسول)	العباسيون ٨ (خلافتهم) ٩٥، ٦٩، ٩٠
٤٠، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢	(تنظيم دعوتهم) ١٢٧، ١٢٦
٦١، ٦٠، ٤٩، ٤٨، ٤٥، ٤٤، ٤٣	(قيام دولتهم) ١٤٠، ١٣٣
١٢٢، ٩٣، ٨٨، ٧١، ٦٦، ٦٣	عباس بن الوليد الشاعر ١٢٣

ع

- ١٣٥ (ملاحقهم بالموالي) ١٣٦، ٨٢، ٨٨، ٩٣، ١١٨، ١٢٢، ١٣٢، ١٣٨، ١٣٧
 ١٤٥، ١٤٢
 عدي بن أرطاة ٢٨
 عمر بن عبدالعزيز ٢٣، ٢٨، ٢٩، ٥١
 العزى ٨٣ (وضعه الجزية عن أسلم) ٥٥، ٥٦
 العشر ٢٨
 العطاء ١٧، ١٩ (شرح اللفظ) ٣٨، ١١١، ١٢١ (تلقينه المهدي) ١٢٣، ٤٠، ٣٩
 المقدر الزيد لابن عبدربه ٣٢، ٣٧، عمرو بن يوسف النفق - والى العراق ١٣٢
 ٣٨، ٧٧، ٩٣، ١١٢، ١١٨، ١٢٦ ابن أبي العرصة ٤٢، ٥٣
 عكا ١٠٠، ١٠١ عمرو بن سعيد ١١١
 علاج - أعلام ٣٦، ٩٣ عمرو بن العاص ٢٠، ٢١، ٢٦ (خراج مصر في عهده) ٢٧
 العلويون ٣٨، ٣٩ عيسى عليه السلام ٥، ٩٧، ١٠٧، ٧٠
 (تكنيت أبا تراب) ٧١، ٧٣، ٧٥، ١١٩ - ١٢١ (رجته) ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٩٣، ٩٦، ٩٧
 عين الوردة ٧١ غ ١٢٢، ١١٨، ١١٦، ١١٣، ١١١، ٩٧
 ١٣٨، ١٣٧، ١٣٨، ١٢٧، ١٢٦ غ
 نبي بن عيسى ١٣٢ غزوة ٨٤
 عمار بن ياسر ٨٣ غزوة - غزوات ١٦
 عمدة القاري* (شرح البخاري معني) ٨٦ غزوة بني حليان ١٧
 عمر بن الخطاب ٧ (أمانه لأهل ايلياء) غزوة الخندق ١٧، ١٨
 ١٥، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢٩ (عهده لأهل غطفان) ١٨
 ايلياء ٢٥، ٢٦ (نظام الضرائب) ٢٧، غنيمة - غنائم ٤٩
 ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٥٨، ٥٩، غوزك - أمير السند ١٧، ٥٢، ٥٣

القبيلة ٧٩، ١٠٠ (القبيلة الصغرى) النقي ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢

ق ف

- فارس — بلاد ٧ : ١٤، ١٥، ١٨، ٢٨ القادسية ٢٥
 ٣٠، ٤٤، ٤٥، ٦٢، ٧٥ — ٧٦ (عقائد قانصوه — ولاية
 الفرس القديمة) ٨٢، ٨٨، ٩٧، القبط ٢٠، ٢٧، ١١٢
 ١٠٠ — ١٠١، ١٠٣، ١٢٠ القبيلة الذهبية ٩
 الفارسية ٨٢ ابن قتيبة ١١١، ١١٢
 فالتيان ٨٢ قتيبة بن مسلم ٢٣، ٥٤، ٩٣
 فتح البلادى (شرح البخارى) لابن الفرغنى — فى آسيا الوسطى ١٢ (نحوهم
 حجر المقلاني ٨٦ إلى الاسلام)
 فتوح البلادان ٢٣، ٣٨، القرم ١١
 ١٢٥، ١٣٦ بنو قريظة ١٨
 الفروزدق ٧١ فريش ١٦، ١٨، ٨٣ — ٨٤ (اضطهاد
 الفرس ٣١، ٧٥، ٨٢ (ديانهم)، المنضمين من المسلمين) ١٠٦
 ١٠٢، ١٣٠ فزاق ١٣
 فوغانة ٤٦ القضاء ٣٠
 الفرياب ٤٦ فطرى بن النجاء الخارجى ٧١ (وفاته
 ابن النقي ٧١، ٩٢، ٩٣ بطبرستان) ٧٧
 فلاديمير — ملك ازوسيا ١١ قحطان — قحطاني ٩٤، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢
 القلجا — نهر ١١ قحطبة — أحد النقباء ١٠٤
 فلسطين ٩٣ القسطنطينية ١٠٠
 القهرست — لابن النديم ١٢٠، ١٣١ قلاوون — سلطان المماليك فى مصر ١٠٩
 فون كرم ٢٧، ٢٩، ٣٧، ٣٨، ٤٤، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨، ١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦، ١٦٦٧، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٤، ١٦٧٥، ١٦٧٦، ١٦٧٧، ١٦٧٨، ١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥، ١٦٨٦، ١٦٨٧، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٠، ١٦٩١، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٦٩٤، ١٦٩٥، ١٦٩٦، ١٦٩

قوهستان ٤٧ الكوفة ١٣ ، ٤٠ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥

قيس بن أبي حازم ١٣٨ ، ١٣٩ ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٥ ،

١١٦ ، ١١٨ ، ١٤٤

ك

الكيانية ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ (عقيدتهم) ٨١

(الفرق بين عقيدتي السبئية والكيانية)

كابيل ٤٧

كاترين الثانية — ملدكة الروسية ١٢ ٩٦ (مذهبهم) ١٠٢

الكامل للميرد ٧٨ ، ١٢٤ ، ١٢٩

ل

ابن أبي كبشة — أبو الرسول من

الزناح ٨٥ اللادرية (أو الأشرافية) ٧٥ — ٧٦

كتاب البابا يوحنا الثاني إلى أريك (مذهبهم) ٨٢

خان ١١ . اللات ٨٣

كتاب الرسول إلى كسرى ٦

كثير عزة ٨١ ، ٩١

م

كر بلاه ١١١ المأمون العباسي ١٣٢ ، ١٣٣

الكرد — الأكراد ٢٨ المانوية (النوية) ٧٥ ، ٨٢ ، ٩٦

كش ١٢٩ ماوراء النهر ٣٣ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨

كعب الأخبار ١١٤ ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢

كرغز — والى بلاد فارس ٩ ٦٥ ، ٦٦ ، ١٢٦ ، ١٣١

الكفية — أو أهل الكف ١٢٧ — ١٢٨ المرد — صاحب الكامل ١٢٤ ، ١٢٦

١٤٦ ، ١٤٧ المثة ٣٤

كلب — إحدى قبائل الجين ١٢١ الميوسية ٨٢ ، ١٣٦

الكيت الشاعر ١٢٥ أبو الخلس ١٢٠ ، ١٣٩

كنيسة — كنائس ٧ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٧٥ محمد رسول الله ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ١٥

الكنيسة الاثوذكسية ١٢ ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٧

- ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٨، ٩٢، مرور و ٤٦، ٤٧، ١٢٧، ١٢٩
 ٩٥، ٩٧، ١١٦، ١١٧، ١٢٢، ١٢٥، مزدك - المزدكية ١٠١
 ١٢٦، ١٢٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، السمودي ٢٢، ٢٥، ١٢٠، ١٢٨
 محمد بن أبي حذيفة ١١٤، ١١٥ أبو مسلم الخراساني ٥٤، ٦٧، ١٢٧،
 محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس) ١٢٨، ١٢٩ (تقريره بين جند الأمويين)
 الزكية (١٣٣) ١٢٩، ١٣٠، ١٣١ (عقيدة الفرس
 محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ٩٣، فيه) ١١٦، ١١٧
 ٩٨، ١٠٥ المسيح الدجال ١١٥، ١١٧
 محمد بن مسلمة ١٣٨ المسيحية - المسيحيون ٨٥، ٩١، ٩١،
 المختار بن أبي عبيد ٤٠، ٤١، ٧٥، ١١، ١٤، ٦٥، ١١٤، ١١٥، ١٣٦
 ٨١، ٨٤ مصر ٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٧
 المرجنة ٦٤ (مقائمه) ٦٥، (في) (خراسان في عهد عمرو بن العاص)
 خراسان (٦٦، ٧٣، ٩٥) ٢٨ (في نظر الخلفاء الأمويين)
 أبو علف - المؤرخ ١٢٠ المضربة ٦٢، ٩٤، ١١٩، ١٢١، ١٢٢
 المدينة المنورة ٥، ٦، ٧، ١٦، ١٧، مطرف بن النخعي بن شعبة ٥٧ - ٥٨
 ١٨، ٦٩، ٧٦، ٩٣، ٩٥، ١١٧، (ثورته في بلاد الرافق)
 ١٤١، ١٤٢ المعارف لابن قتيبة ٨٠، ١١١
 مرو ٤٧، ٥٠، ٦٣، ٩٥، ١٠٤، ١٢٧، المعاون ١٩ (شرح المعنى)
 ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٧، ١٣٨ معاوية بن أبي سفيان ٢٧ (كتابه في
 مروان بن الحكم الأموي ٤٠، ٧١، (واليه عن مصر) ٣٠، ٤٢، ٥٤، ٦٤
 ٩٣، ١١٤، ١٢٣، ١٢٦، ٧٠، ٧١، ٧٣، ١٢٣
 مروان بن محمد الأموي ١١٣، ١١٤، معجم البلدان لياقوت ٨٣، ١٠٩
 ١٢٨، ١٢٩، ١٤١ المقول - أنظر التناثر
 الروائية ٧١ المقامات - نظام ٣٠

المقتدر العباسي ١١	المهرجان ٤٨، ٣٠
المقدس ٩٢	المهاب بن أبي صفرة ٢٤
مقدمة ابن خلدون ١٠٩، ١١٣، المراتي ٣٥ — ٣٨ (حاليهم الاجتماعية)	
١٢٦، ١٢٤	٣٧ — ٤٤ (حاليهم السياسية) ٤٥٥، ٤٥١
المقرئ ٢٧، ٦٥، ٧٠، ١٠٥، ٥٦ — ٦٠ (حاليهم في عهد عمر بن عبد العزيز) ١٢٨، ١١٢	
المحق الكبير للمقرئ ١٠٥، ١١٥، ١٢٨، ١٠٩، ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ١٣٢ — ١٣٥	
المقنع ١٣٢ (خروجه على العباسيين) (علاقهم بالعرب)	
الموقوف ٢٠، ٧	موسى بن خازم ٢٤
مكة المكرمة ١٨، ١٥، ٦٨، ٧٠، ٧١	موسى بن طلحة بن عبيد الله ١١٧،
٨٣، ٩٣، ٩٤	١٢١ (تلقبه بالمهدي) ١٣٩، ١٤١، ١٤٥
ابن ملجم ٧٩	المروية ١٣، ١٢
ملحة — ملاحم ١١٢، ١١٣	ميدبا ١٩، ٣٠، ١١٣، ١٠٦
المنذر بن عمرو ١٧	ميرزا محمد علي الشيرازي (مؤسس البابية) ١٠٠
المنصور العباسي ٩٦، ٩٧، ١٣٢، ١٣٣	
١٤٦	
منصور بن عمر بن أبي الخرق (عامل الخراج في عهد نصر بن سيار) ١٣٧	ن
منى ٨٣	نجد ١٧
المهدي المنشتر ٨٢، ٦١ (شرح التفسير) الرشدي صاحب كتاب وصف بخاري	
١٠٩، ١١٤، ١٢١ (تعريف الاسم) ٤٨، ٥٣، ٥٤، ٥٥	
١٢١ — ١٢٦ (عقيدة المهدي وأثرها) ترك مرخان ٤٦	
في سقوط الأمويين (١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩)	
١٣٠، ١٣٢، ١٤٥، ١٤٦ (المهدي في)	نصف ١٢٩
من غير آله البيت .	النصارى — أنظر المسيحيين

نصر بن سيار - والى خراسان ٤٨٨ هـ بنت أساء ١٤٦

٤٩ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩

١٣٨ ، ١٣٦ (اصلاحات)

و

واسط ١١٢

التصيرية ٩٧

الوثنية - الوثنيون ١٢ ، ١٣ ، ٨٢

بنو التظير ١٦

وردان - والى مصر في عهد معاوية ٢٧

نقيب - نقيب ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦

ورقة بن نوفل ٨٣

نلدكه ٤٥

وصف بخاري للرشطي ٤٨

نهاوند - موقعة ١١٨

الوليد بن عبد الملك ٤١ ، ٤٣ ، ٥٤

النيروز ٣٠

١٧١ ، ١٢٤

د

وهب بن منبه ١١٤

الهاشمية (أنصار أبي هاشم بن محمد بن

ي

الحنفية) ٨١ ، ٨٢ (مقيدتهم) ٩٠ ، ٩١

ياسر - أبو عمار ٨٣

٩٢ (العراق عهد دعوتهم)

ياقوت الطوسي ١٠٩

هذيل - ديوان ٧

يزيد ١٦

هراة ٤٥ ، ٤٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٦

اليرموك ٢٥

الهرج ١١٥ (إطلاق العتق) ١١٦ ، ١١٧

يزيد بن عبد الملك ٦٩ ، ١١٢ ، ١٢٥

١٤٥

يزيد بن معاوية ٧٩ (إباحة الحرم

هرقل ٧ ، ٨٤ - ٨٦ (حديثه مع

المكي) ٧٠ ، ١٤٣

أبي سفيان)

يزيد بن المهلب ٢٤ (ثروته) ٢٥ ،

الهرمزاني ٨٨

٦٥ ، ٦٠ ، ٤٢

ابن هشام ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١١٣

اليحوي ٢٢ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣

هشام بن عبد الملك ٥١ ، ٦٠ ، ٦٢

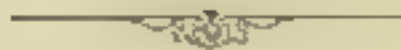
٣٩ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٩١ ، ١١٣

١١٨ ، ١١٣ ، ٧٧

١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٤٦

الهند - الهند ٨٢ ، ١٠٨

البحر — المجانية ٦، ٧، ٢٨، ٦٢، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٧، ١١٨،
 ٦٣، ٦٨، ٧٣ (خروج عبد الله بن ١٣١، ١٣٦، ١٤٠
 يحيى) ٩٤، ١٠٤، ١١٩، ١٢٠، يوسف الخرم (خروج عن العباسيين) ١٣٧
 ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩ يوسف بن عمر — والى العراق ٣٢، ٣٧
 اليهود — لليهودية ٨، ٩، ١٦، ١٨ — أبو يوسف الفقيه ٢٨، ٢٩، ٣٢
 (تأمره على قتل الرسول) ٦٥، ٧٥ (كتاب الخراج) ١٢٥،
 ٧٧، ٨٨، ٩٥ (مجلس الخوارج) ، اليونان — بلاد ١١



٢ — الفهرس الأفرنجي

A

Das Arabische Papier (Karabacek): 28, 34.

Arnold (Sir Thomas) (The Preaching of Islam): 8, 10, 11, 12, 86.

B

The Babel of Persia (Journal of the Royal Asiatic Society): 101.

Biblioth. (Yeog): 129.

Breschneider: 111.

Browne: 99, 100, 101.

Die Burgen und Schlösser Sid Arablens (D.H. Müller): 120.

C

Cassel (Encycl.): 76.

Chronologie Arabe (De Sacy): 111, 124.

Chresamathie Persane (Scheler): 48, 58.

Crania Ethica (Quatrefages et Hamy): 16.

Culturgegeschichte des Orients (Von Kremer): 19, 27, 29, 37, 38, 42, 58.

D

Darmesteter (Times): 109.

Description de Bokhara (Nerakhi): 23, 45.

Dozy: 111, 37, 111, 114, 140.

Drummond: 109.

E

Edersheim (Life and Times of Jesus the Messiah): 11.

Encycl. (Cassel): 76.

Encycl. (Larousse): 76.

Encyclopaedia Britannica: 111.

Ethnographie de la Perse (Khanikoff): 45.

Exposition de la Religion de Drusea (De Sacy): 99.

F

Fragmenta historicorum arabum, 29, 43, 72, 92, 93, 105, 113, 130.

G

Geschichte der Perser und Araber (Nöldeke): 45, 102.

Geschichte d. herrschenden Ideen (Von Kremer): 22, 36, 111.

Geschichte des Khalifen (Well): 22, 37, 98, 124.

Gobineau: 97, 98, 101.

De Goeje: 109.

Goldziher: 37, 70, 71.

H

Haarbrücker: 80.

Hamaker: 124, 125.

Herbelot (Bibliotheca Orientali): 98.

Histoire des Musulmans d'Espagne (Dozy): 28, 37, 140.

I

Der Islam in Morgen und Abendland (Müller): 58, 98, 99.

Islamische Studien (Goldziher): 37.

J

The Jewish Messiah (Drummond): 109.

Journal asiatique : 45, 62, 81, 105, 114.

Journal of the Royal Asiatic Society (The Babels of Persia) : 101.

K

Karabaceck (Das Arabische Papler) : 28, 34.

Khanikoff (Ethnographie de la Perse) : 48.

Kuenen : 109.

L

Larousse (Encycl.) : 76.

Legatum Warnerianum. 3.

Life and Times of Jesus the Messiah (Miersheim) : 109.

M

Der Mahdi (Snouck Hurgronje) : 109.

Le Mahdi depuis les origines de l'Islam jusqu'à nos jours (James Darmesteter) : 109.

Mémoires de la Société Russe d'archéologie : 130.

Mémoires sur les Carmathes du Bahrein et les Fatimides (De Goeje) : p. 109.

Mouradja d'Ohsson : 125.

Müller : 58, 98, 99, 120.

N

Nerchakhi (Description de Bokhara) : 23, 45.

The New History of the Bab (Browne) : 101.

Nicholson (Literary History of the Arabs) : 89.

Nöldeke (Geschichte der Perser und Araber) : 48.

O

Opkomst der Abbasiden in Khorasan : 1, 38, 40, 61, 103, 110, 124.

P

The Preaching of Islam (Sir Thomas Arnold) : 10, 11, 12, 86.

La Propriété territoriale et l'impôt foncier sous les premiers Khalifes (Van Berchem) : 11.

Q

Quatremère : 62, 105, 110.

Quatrefages et Hamy (Crania Ethica) : 45.

R

Réflexions critiques pour servir de réponse aux éclaircissements de M. Hammer (Hamaker) : 124.

Register genal. Tabel (Wustenfeld) : 111.

Religion et Philosophie dans l'Asie Centrale (De Gobineau) : 101.

Religion of Israel (Kuenen) : 109.

S

De Sacy : 99, 114, 124.

Scheler : (Chrestomathie Persane) : 24, 48.

Selecta Historiae Halebi : 97, 120.

Snouck Hurgronje (der Mahdi) : 78, 105.

Specht : 45, 53.

Sprenger (Das Leben und Lehre des Muhammad): 95, 116.

Streifzüge auf dem Gebiete des Islams (Von Kremer): 26, 36, 37, 43, 44, 124.

T

Tableau de l'Empire ottoman (Mouradja d'Osson): 125.

Theophilus: 97.

Trois ans en Asie (De Godineau): 97.

U

Ueber die Länderverwaltung unter dem Khalifat (Von Hammer): 27, 28.

V

V. Giet (l'Art Arabe): 70.

Van Berchem (La Propriété territoriale et l'impôt foncier sous les premiers khalifes): 19, 40, 48.

Van Gelder (Mokhtar): 37, 80.

Von der Revue Coloniale Internationale: 109.

Von Hammer (Ueber die Länderverwaltung unter dem Khalifat): 27, 28.

Von Kremer: 22, 26, 36, 38, 39, 41, 58, 134.

W

Weit (Geschichte der Khalifen): 22, 57, 80, 98, 110, 124.

Weilhausen: 70.

Wustefeld: 111.

Y

A Year Amongst the Persians (Browne): 99.

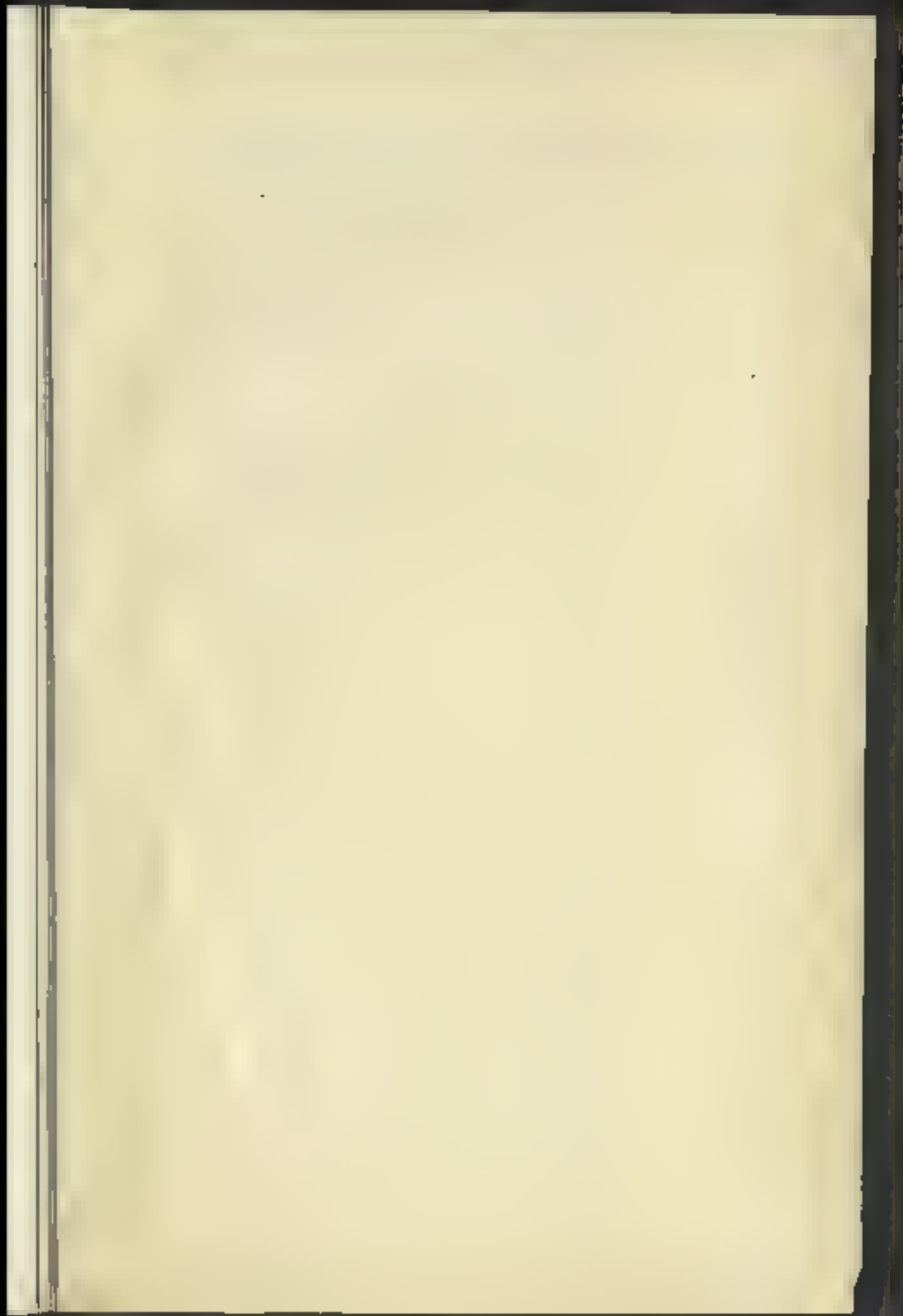
Yeog. (Biblioth.): 129.

Z

Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft: 64, 66, 97.

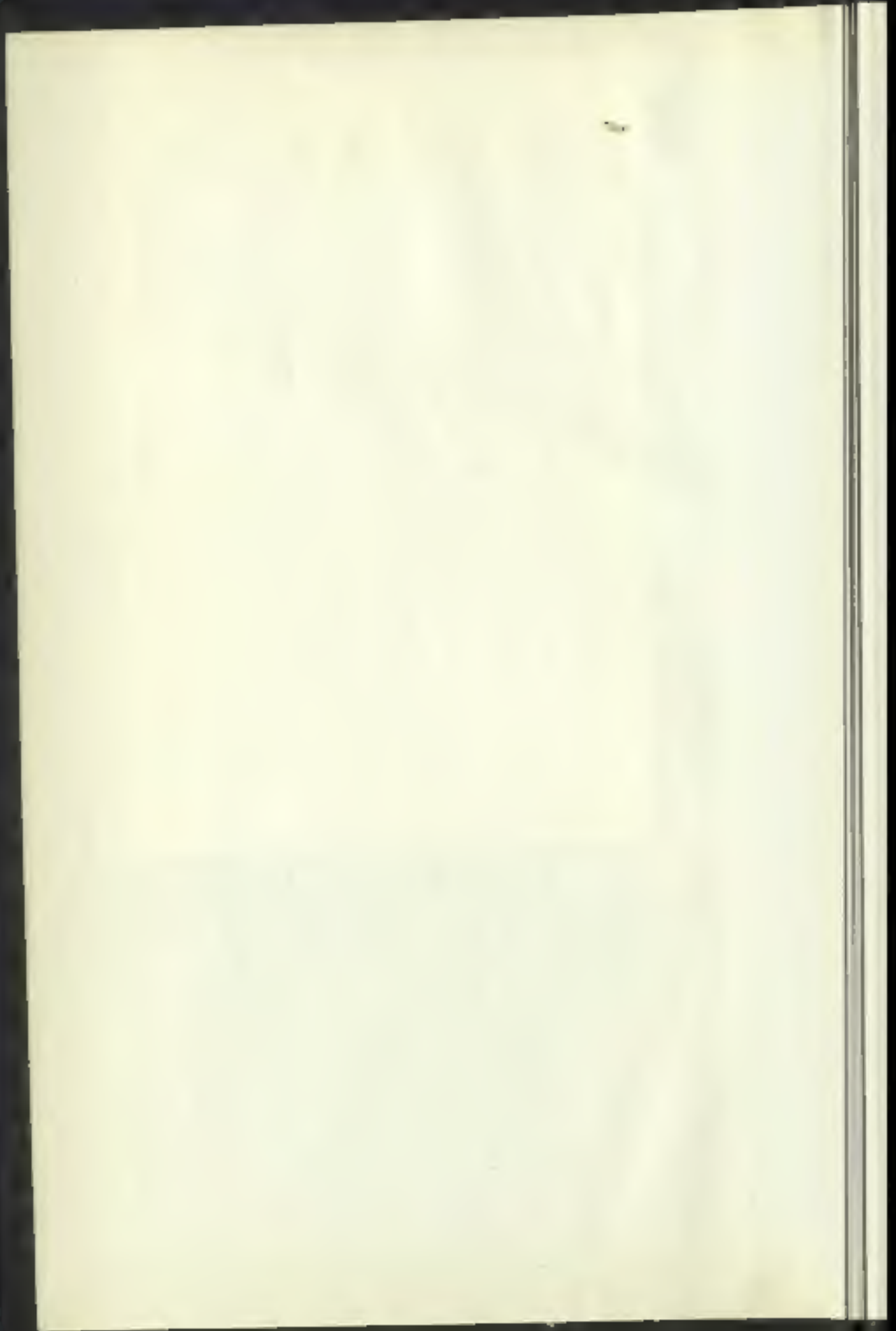
الخطأ والصواب

صواب	خطأ	صفحة	سطر
عسانا	حسانا	٢	١
فيها	لها	٣	١
نار فيه في خراسان	نار في خراسان	٤	١
الجدوى	الجدى	٣	٢
Culturgeschichte	Culturgeschichte	(١)	١٩
Nerchiki	Nerchiki	(٢)	٢٣
نغزوا	نغزوا	١٩	٣٠
لم يكن لا استعراضاً	لم يكن استعراضاً	٤	٣٥
Encyclopaedia	Encyclopaedia	(١)	٤٠
البلاذرى	البلاذرى	٦	٧٠
بكراته	لكراتهم	١٢	٨٧
مردوا	مروا	٢٠	٨٧
إذ	إذا	٧	٩٩
حسب زعمهم	حسب زعمهم في نظرم	٢٢	١٠٢
المصريين	المصريين	١٥	١٠٨
Carmathes	Carmathes	(٢)	١٠٩
وتقام به الشعائر	وتقام الشعائر	٧	١١٢
زيد	يزيد	١٢	١٣٨
خوزستان	خوزستان	١٩	١٥٢





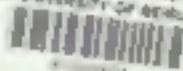




DATE DUE



مكتبة جامعة الكويت
الكويت



956.01
V871rA
c.1